دورية دولية محكمة

قضايا آسيوية

رقم التسجيل: VR.3373.6327.B

مجلة قضايا آسيوية

المركز الديمقراطي العربي

Asian issues

International scientific periodical journal

Germany: Berlin 10315
Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de

مـجلـة قـضـايا آسـيـويـة

قضايا
آسيوية

دورية دولية محكمة

Nationales ISSN-Zentrum für Deutschland

ISSN 2629-6616

المجلد الخامس، العدد الثاني والعشرون، أكتوبر 2024

البريد الإلكتروني:

asian@democraticac.de

الناشر:

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية

برلين – ألمانيا

لا يسمح بإعادة إصدار هذه المجلة أو أي جزء منها أو تخزينه في إطار استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من الناشر

جميع الحقوق محفوظة للمركز الديمقراطي العربي

All rights reserved No part of this book may by reproducted. Stored in a retrieval System or tansmited in any form or by any meas without prior Permission in writing of the publishe

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية

Democratic Arabic Center- Berlin – Germany

E-mail : https://democraticac.de

رئيس المركز

أ.عمار شرعان

رئيس هيئة التحرير

د. حورية قصعة – جامعة قالمة – الجزائر

نائب رئيس التحرير

د. زكرياء حلوي، تخصص علوم سياسية وعلاقات دولية، المغرب

رئيس اللجنة العلمية

د. معاذ صبحي محمد عليوي، دكتوراه العلوم السياسية والإدارة العامة، فلسطين

رئيس الهيئة الاستشارية

أ. د. هاني الحديثي، أستاذ السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، برلين، ألمانيا

د. حمزة الأندلوسي، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا

أعضاء اللجنة العلمية

د. سمير باي، دكتوراه علاقات دولية، الجزائر
د. محمد حسين يوسف سبيتي، دكتوراه في العلاقات الدولية والدبلوماسية، بيروت، لبنان
د. فراس عباس هاشم مجيد، دكتوراه في العلوم السياسية، العراق
د. أمجد سعد شلال محمد المحاويلي، دكتوراه تخصص تاريخ إيران المعاصر، العراق
د. أميرة عبداوي، علوم سياسية وعلاقات دولية، الجزائر
حيدر فاضل عبد الرضا سعيد، دكتوراه في الجغرافيا السياسية، العراق
د. عز الدين خميش، دكتوراه في علم السياسة والقانون الدستوري، المغرب
د. علي عبد الهادي الكرخي، دكتوراه في العلاقات العامة، العراق
د. جهاد عبد الكريم قدوره ملكة، دكتوراه في القانون العام تخصص سياسة وعلاقات دولية، غزة، فلسطين

أ.م.د علي محمد حسين العامري، سياسة خارجية وعلاقات دولية، جامعة بغداد، العراق
د. سلمى عثمان سيد أحمد الشيخ، دكتوراه علوم سياسية ودراسات إستراتيجية، السودان
د. محمود عزت عبد الحافظ السيد، دكتوراه في الدراسات الآسيوية، مصر
د. بلفكرات رشيد، دكتوراه علوم سياسية، الجزائر
د. معاذ صبحي محمد عليوي، دكتوراه العلوم السياسية والإدارة العامة، فلسطين
د. عبد القادر مزوار، دكتوراه علاقات دولية، المغرب
د. وفاء بوكروش، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب
د. سعد حميد إبراهيم، دكتوراه في العلوم السياسية، العراق
د. بوروينة إلهام، دكتوراه علاقات دولية، الجزائر
د. بلعور حمزة، دكتوراه استراتيجية وعلاقات دولية، الجزائر

د. ناصر عبد الله علي أبو زيتون، دكتوراه علم اجتماع، الأردن
د. محمد بن سالم بن حمود السعدي، دكتوراه في الاعلام الجديد والدبلوماسية، سلطنة عمان
د. مضوي أبكر عبد الله آدم عثمان، دكتوراه في الإعلام، السودان
أ. م.د. علي مولود فاضل، دكتوراه في علوم الاتصال والإعلام، العراق
د.عبد القادر مزوار، تخصص علاقات دولية، المغرب
Dr Faten RIDENE, Assistant Professor, Critic, Reviewer, Editor, in Audiovisual and Cinema – Tunisia
Dr. Belal Almasri, International Economics, Gaza, Palestine

د. نور محمد الكبيسي، دكتوراه في القانون الدولي العام، الأردن
د. أميرة عبد العظيم محمد عبد الجواد، دكتوراه في القانون العام،المملكة العربية السعودية.
د. عمرو أحمد صابر عبد الوكيل، دكتوراه قانون دولي، مصر
د. مرسي عبد الكريم محمود صالح عبد الرازق، دكتوراه في القانون العام، فلسطين
سليمان رمضاوي، دكتوراه في القانون العام، الجزائر
د. لونا سعيد فرحات، دكتوراه في القانون العام، لبنان
د. زعادي محمد جلول، دكتوراه في القانون، الجزائر
د. حلوز وفاء، رئيس قسم العلوم الإقتصادية النعامة،الجزائر
د. مكيكة مريم، دكتوراه في المياه العذبة والنزاعات الدولية، الجزائر
د.عبد الناصر بشير عبد الله الصغير، دكتوراه في الاقتصاد، رئيس قسم الأكاديمية الليبية، ليبيا
د. عماد سالم محمد أبو ميري، دكتوراه في فلسفة الاقتصاد، فلسطين
د. بوخاري هشام، دكتوراه في علم الاجتماع، الجزائر

أعزائي القـراء والباحثيـن

يسعدنا أن نضع بين أيديكم العدد الثاني والعشرون من مجلة "قضايا آسيوية"، وصولنا إلى هذا الإصدار يعكس التفاني المستمر لفريق المجلة ومساهميها في تقديم أبحاث ومقالات عالية الجودة، والتي تتنوع مواضيعها.

كما يعد هذا العدد خلاصة لجهود الباحثين والمختصين في ميادين متعددة، بحيث تضمن مجموعة من الأبحاث التي تسلط الضوء على التحولات والتطورات في المنطقة الآسيوية وما تواجهه من تحديات في الوقت الراهن، وهنا نتمنى أن تكون المقالات ضمن هذا العدد قد عالجت ولو جزءا ضئيلا من تلك التطورات وناقشت قضايا استراتيجية في الميادين السياسية والقانونية، تتخللها تحليلات اقتصادية.

وبالتالي نوجه شكرنا لجميع الباحثين والكتَّاب الذين شاركوا في هذا العدد بأعمالهم وبحوثهم القيمة، فمن خلال جهودهم المشتركة، نسعى إلى تعزيز فهمنا للعالم الذي نعيش فيه والعمل على تطوير حلول مستدامة لتحدياتنا المشتركة.

نأمل أن تكون هذه المجلة مصدر إلهام للقراء والباحثين، وأن تسهم في توسيع معرفتهم وفهمهم للمواضيع المتعددة التي تمس حياتنا اليومية، ونرحب دائمًا بمشاركاتكم المستقبلية.

هيئة التحرير

د.حورية قصعة

فهرس المحتويـات | Contents

	مؤلف/مؤلفو المقال	عنوان المقال	الصفحات
	Author(s)	**Title**	**Page Range**
01	علاء حسان غرز الدين	الصراع الأمريكي-الصيني في منطقة المحيط الهادي (بؤرة الحرب العالمية الثالثة) The American-Chinese Conflict in the Pacific Region (The Epicenter of World War III)	45-09
02	فاضل عبد علي حسن	التنافس الأمريكي- الصيني- الروسي في آسيا الوسطى (دراسة جيوسياسية) American-Chinese-Russian Rivalry in Central Asia (A Geopolitical Study)	66-46
03	زياد طارق عبد الرزاق إيلاف رعد تركي	محددات صنع السياسة الخارجية الروسية في ظل قيادة الرئيس فلاديمير بوتين (نموذج الحالة الأوكرانية) Determinants of Russian Foreign Policy Under President Vladimir Putin (The Case of Ukraine)	93-67
04	سارة زكي غضبان	ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية: عاصفة الصحراء 1991 أنموذجاً Information Revolution in Military Affairs: The Gulf War 1991 as a Model	116-94
05	علاء رزاك فاضل النجار	الموقف الأمريكي من الهجوم الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي عام 1981 (دراسة في الوثائق الأمريكية)	

		The American Stance on the Israeli Attack on the Iraqi Nuclear Reactor in 1981 **(A Study of American Documents)**	140-117
06	**نهى جاسم حسين**	**تداعيات التدخل الخارجي على أمن واستقرار العراق بعد سنة 2003** **The Implications of Foreign Intervention on Iraq's Security and Stability After 2003**	173-141
07	**محمد المهدي أحمد** **ابن عمر عمر عبيد الله**	**مظاهر العلاقات العمانية الشرق إفريقية** **Features of Omani-East African Relations**	190-174
08	**راغب صافي رمضان**	**تبييض الأموال وتأثيره على التنمية الاقتصادية في القارة الأمريكية** **(المكسيك أنموذجاً)** **Money Laundering and Its Impact on Economic Development in the Americas** **(The Case of Mexico)**	216 -191

مقالات الرأي

09	**د. محمود عزت عبد الحافظ**	**حلف شمال الأطلسي وأمن الخليج العربي** **رؤية للعلاقات الاستراتيجية مع مجلس التعاون الخليجي في ظل التحديات الإقليمية** **NATO and Gulf Security** **A Strategic Vision for Relations with the Gulf Cooperation Council Amid Regional Challenges**	223-217

الصراع الأمريكي-الصيني في منطقة المحيط الهادي

"بؤرة الحرب العالمية الثالثة"

The US-China Conflict in the Pacific Region
"The Epicenter of World War III"

علاء حسان غرزالدين*

باحث في العلوم السياسية والعلاقات الدولية- سوريا

Alaagharzaldin3@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/09/20 تاريخ النشر: 2022/10/31

****

ملخص الدراسة

تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على تطورات العلاقات الأمريكية-الصينية في ضوء التصاعد السريع للقوة الاقتصادية والعسكرية للصين، وبروز الكثير من التحديات التي تطرأ على النظام الدولي. وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الجيوبوليتيكي البريطاني هالفورد ماكيندر (Halford Mackinder) كان قد تنبأ في مقالته الشهيرة "المحور الجغرافي للتاريخ"، بخطر الصين كقوة جيواستراتيجية، معتبراً أنها قد تضيف بعداً محيطياً إلى موارد القارة الأوراسية، وهو ما كانت روسيا تفتقر إليه. اليوم، وقد تحققت هذه التنبؤات في ظل الصعود الصيني المتسارع، يبقى التساؤل مفتوحاً حول ما إذا كان هذا الصعود سوف يؤدي إلى صراع مسلح أم سيبقى سلمياً في إطار الحرب الباردة.

شهدت السياسة الدولية تغيرات كبيرة منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، الذي أتاح للولايات المتحدة بممارسة القوّة المهيمنة عالمياً دون منافس، هذه الأحادية القطبية بدأت تتصدع منذ الأزمة المالية العالمية عام 2008، حيث برزت قوى صاعدة، أبرزها الصين، التي أصبحت تشكل تهديداً لدور القيادة

*علاء حسان غرزالدين

الأمريكية، من خلال تعزيز نفوذها في شرق آسيا، ما أثار قلق الدول المجاورة وأدى إلى تشكيلها تحالفات مع أمريكا لاحتواء الصين.

تتميز العلاقات الأمريكية-الصينية بتداخل المصالح التجارية والسياسية، ولكنها تعاني من توترات تتعلق بحقوق الإنسان والنزاع التجاري، والقضايا الجيوسياسية في المحيط الهادئ. لهذا تقدم الدراسة الحالية سيناريوان: الأول، يفضّل التعاون الاقتصادي مع التحوط من الجوانب الأمنية، والثاني، يرى أن العلاقات الثنائية بين الطرفين دخلت في حرب باردة قد تتحول إلى صراع ساخن، وبالنتيجة توصل البحث إلى أن هناك حرباً باردة جديدة تلوح في الأفق، مع ضرورة متابعة دقيقة لتفاعلات القوى العظمى وتفهم الديناميات الجيوسياسية المعقدة.

الكلمات المفتاحية

الولايات المتحدة الأمريكية؛ الصين؛ المحيط الهادي؛ بحر الصين الجنوبي؛ تايوان؛ الهندو باسيفيك.

Abstract

The current study seeks to shed light on the developments in US-China relations in light of the rapid rise of China's economic and military power, and the challenges facing the international system. In this context, it is worth noting that the British geopolitician Halford Mackinder had predicted in his famous article "The Geographical Pivot of History" the danger of China as a geostrategic power, considering that it might add a peripheral dimension to the resources of the Eurasian continent, which Russia lacked.

Today, these predictions have been fulfilled in light of the accelerating Chinese rise, but the question remains open as to whether this rise will lead to armed conflict or will remain peaceful.

International politics has undergone major changes since the collapse of the Soviet Union, which allowed the United States to play the role of the world's dominant power without a major competitor. However, this unipolarity began to crack since the global financial crisis in 2008, as emerging powers emerged, most notably China, which has become a threat to the role of American leadership. China has been able to strengthen its influence in East Asia, which

has raised concerns among neighboring countries and led to the formation of new American alliances to contain China. US-China relations are characterized by overlapping commercial and political interests, but they suffer from tensions related to human rights, trade disputes, and geopolitical issues in the Pacific. Therefore, the current study presents two scenarios: the first, which favors economic cooperation while hedging security aspects, and the second, which sees that bilateral relations between the two parties have entered a cold war that may turn into a hot conflict. As a result, the research concludes that a new cold war is looming on the horizon, with the need to closely monitor the interactions of the great powers and understand the complex geopolitical dynamics.

Key word

USA; China; Pacific Ocean; South China Sea; Taiwan; Indo-Pacific.

1.مقدمة

في السنوات الأخيرة، ازدادت الكتابات التي تستعرض إمكانيات الصين الاقتصادية وقدراتها العسكرية، بوصفها قوة صاعدة ذات طموحات إقليمية، خاصة في جوارها القريب، وقد سلطت هذه التحليلات الضوء على السياسة الخارجية للصين تجاه أهدافها المستقبلية، مما يثير تساؤلات حول تأثيرها المحتمل على الأمن الإقليمي والعالمي، إذ يُعتقد أن هذه التحولات قد تُعيد تشكيل الخارطة الجيوسياسية في شرق آسيا وما بعدها، مما يضع تحدياً أمام الهيمنة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة.

تتمتع الصين بمقومات عديدة تُمكّنها من لعب أدوار إقليمية ودولية بارزة، هذا ما أكدته النظريات الجيوبوليتيكية، ومن بينها نظرية "قلب العالم" التي طرحها **هالفورد ماكيندر**، الذي أشار إلى الأهمية الجيوبوليتيكية للصين بوصفها قوة قارية تمتد إلى القلب الاستراتيجي للاتحاد السوفييتي السابق، الغني بالثروات النفطية والمعدنية. إضافة إلى ذلك، تمتلك الصين سواحل طويلة تصل إلى تسعة آلاف ميل، مما يمنحها نفوذاً كبيراً على ممرات الشحن الرئيسية في المحيط الهادي. (السلام، 2019)

تأتي الأهمية الجيوسياسية للصين في السياسة الدولية من موقعها الجغرافي المميز، فمجال نفوذها الناشئ في أوروبا وآسيا وإفريقيا، الذي يُعرف بالجزيرة العالمية وفقاً لتصنيف **ماكيندر**، يتنامى بطريقة تتناسب مع عالم ما بعد الحرب الباردة وانتشار العولمة، بعيداً عن النزعات التوسعية الإمبريالية للقرن

التاسع عشر، فعبر تنامي احتياجاتها الاقتصادية، تُحدث الصين تحولاً في ميزان القوى لصالحها في النصف الشرقي من العالم، مما يثير قلق الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة.

في هذا السياق، يتصاعد التنافس بين الولايات المتحدة والصين في عدة مناطق جيوسياسية، وخاصة في حوض المحيط الهادي. ويمكن القول إن هذا التنافس، الذي يمتد إلى الحواف الأوراسية، له تأثير عميق على مستقبل النظام الدولي، نظراً لأهمية المنطقة وتنافس القوى الفاعلة فيها، بما في ذلك الولايات المتحدة، والصين، واليابان، والهند.

تعدّ العلاقات الأمريكية-الصينية في فترة ما بعد الحرب الباردة مثيرةً للجدل، إذ تجمع هذه العلاقات بين التعاون والتنافس في ظل صعود الصين كلاعب جيواستراتيجي رئيسي على الساحة الدولية، حيث تمتلك الصين المقومات التي تؤهلها للعب هذا الدور، ما دفع الولايات المتحدة لمحاولة احتوائها ومنعها من أن تصبح قوة إقليمية مهيمنة.

تتجلى أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على التنافس الأمريكي-الصيني في منطقة حوض المحيط الهادي، وهي منطقة ذات أهمية جيواستراتيجية كبيرة. إذ إن هذا التنافس لا يؤثر فقط على تلك المنطقة، بل يمتد تأثيره ليشكل جزءاً من الصورة الأوسع لمستقبل النظام الدولي.

يكتسب هذا التنافس في منطقة المحيط الهادي أهمية خاصة، حيث تسعى الصين إلى تطبيق مفهوم يشابه مبدأ مونرو الأمريكي في القرن التاسع عشر، عندما فرضت الولايات المتحدة سيطرتها على الأمريكيتين، مما مهد لتحولها إلى قوة عظمى. (أسود، 2020) من هنا، تنبع إشكالية البحث من السؤال المحوري: هل ستؤدي التطورات في العلاقات الأمريكية-الصينية إلى صراع غير مرغوب فيه؟ وما مدى خطورة هذه التطورات في ظل توتر عالمي يفاقمه أزمة اقتصادية تقترب من الانفجار؟

وعليه يمكن أن نحدد فرضيتين للوصول إلى الإجابة عن هذه الأسئلة هما:

- ✓ هناك فرصة للصين لتحسين مكانتها الدولية في ظل نجاحاتها على المستويات الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية.
- ✓ رغم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الاحتوائية اتجاه الصين، إلا أنها تضع خيار الصدام العسكري على طاولة الخيارات في سياساتها مع الصين، لما لمنطقة المحيط الهادي من بؤر توتر

جيوسياسية قابلة للانفجار.

كما ويهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية، وهي:

- ✓ دراسة التغيرات التي طرأت على النظام الدولي بعد نهاية الحرب الباردة، والتركيز على التحولات في بنيته ومنظومته القيمية.
- ✓ مقاربة صعود الصين ضمن إطار نظريات العلاقات الدولية.
- ✓ تحليل التنافس الأمريكي-الصيني في منطقة حوض المحيط الهادي وتداعياته.

2.أثر متغيرات النظام الدولي على العلاقة الأمريكية-الصينية بعد الحرب الباردة

يرى العديد من خبراء العلاقات الدولية أن النظام الدولي ليس إلا نتاجاً لأنماط التفاعلات بين الوحدات السياسية المكونة له، بمعنى آخر، فإن بنية النظام هي حصيلة سلوك هذه الوحدات، وغالباً ما يتأثر هذا السلوك بكيفية توزيع مصادر القوة والنفوذ بين الدول، وما يترتب على ذلك من تأثيرات في صياغة أنماط السلوك الدولي.

يصف **"ديفيد إيستون"** (David Easton) النظام السياسي الدولي بأنه هيكل مفتوح يستقبل مدخلات من البيئة الخارجية، تسعى هذه المدخلات لإحداث توازن مع العناصر البنائية داخل النظام، ونتيجة للتفاعل بين المدخلات والعناصر البنائية تنتج مخرجات تؤثر على الوحدات المكونة للنظام وعلى الإطار الذي تنتظم فيه. (السيد، 2021) وعليه قدّم خبراء العلاقات الدولية العديد من الدراسات التي تركّز على وصف وتحليل جوهر النظام السياسي الدولي وعناصره الفاعلة التي تمنحه الهوية والاستمرارية.

أما **"موريس إيست"** (Maurice Alden East)، فقد عرّف النظام الدولي على أنه يمثل أنماطاً من التفاعلات بين الفاعلين السياسيين، خاصة الدول، خلال فترة زمنية محددة. (المرعشلي، 2016) بينما عرف **"مورتون كابلان"** (Morton Kaplan) النظام الدولي بأنه مجموعة من الوحدات المترابطة التي تعتمد على قواعد سلوكية تميز العلاقات فيما بينها، وتعتمد على مجموعة من المتغيرات الخارجية. وقد ركز بعض الباحثين في تعريفهم للنظام الدولي على الأبعاد السلوكية المتفاعلة، مثل الأمم والدول، إضافة إلى المنظمات فوق القومية كالأمم المتحدة.

فالنظام الدولي في هذا السياق يمثل إطاراً بنيوياً يتألف من وحدات متعددة (دول، منظمات، شركات متعددة الجنسيات)، تتفاعل وفق أنماط سلوكية منتظمة وتنتج نتائج تؤثر على هذه الوحدات والإطار الذي تنظم فيه.

بناءً على ذلك، يقوم مفهوم النظام الدولي على أمرين: **الأول**، نمط التفاعلات السائدة بين الوحدات المكونة للنظام؛ **والثاني**، أن هذه التفاعلات تعكس علاقة تأثير متبادل بين الوحدات وبين النظام ذاته. ويشير بعض أساتذة العلاقات الدولية إلى وجود نوع من الخلط بين مفهومي "النظام" و"النسق" في العلاقات الدولية، فالنظام يعبّر عن تفاعل وحدات معيّنة ينتج عنها مخرجات تؤثر على سلوك الوحدات الأخرى، بينما يشير النسق إلى وجود تراتبية أو نسقية بين وحدات معينة قد تشكل نظاماً.

فيما يتعلق بتغير النظام الدولي على مستوى البنية، فإن المقصود ببنية النظام هو الشكل الذي يتخذه من خلال تراتبية الوحدات التي يتألف منها، ويمكن تحليل بنية النظام الدولي بدلالة أنماط القوة وطرق توزيعها وإدارتها، حيث تترتب درجات الهيمنة والنفوذ بين الوحدات داخل النظام، حيث أن الوحدات التي تملك عناصر القوة وتوظّف بفاعلية تكون أكثر قدرة على أداء أدوار عالمية مؤثرة، بينما تفتقر الوحدات الأخرى إلى هذه القدرات، مما يجعلها أكثر عرضة للتأثر. (السياسية، 2012)

وبناءً على توزيع مصادر القوة والنفوذ، يتم تحديد الأقطاب الفاعلة في النظام الدولي، ومن ثم تمييز أنماط البنية الهيكلية للنظام الدولي، مثل النظام الأحادي القطبية، المتعدد الأقطاب، والثنائي القطبية.

بعد نهاية الحرب الباردة، شهد النظام الدولي بروز الولايات المتحدة كقوة عظمى تسعى لتكريس أحاديتها القطبية، إلا أن الأزمة المالية في عام 2008 أثّرت على مركزها الدولي (دحدح، 2010، الصفحات 2-4)، دون أن تعني انهياراً لمكانتها كقوة عظمى، خاصة في المجال العسكري، انعكس هذا التغير في بنية النظام الدولي على المنظومة القيمية للنظام، ولم يقتصر التغير الذي حدث مع نهاية الحرب الباردة على بنية النظام فقط، بل امتد ليؤثر على القيم السائدة في العلاقات الدولية، فانهيار الاتحاد السوفييتي أدى إلى تراجع الأيديولوجية الشيوعية، مما فسره منظرو الفكر الليبرالي، مثل **فرانسيس فوكوياما** (Francis Fukuyama)، كدليل على انتصار الديمقراطية الليبرالية، وأصبحت هي المسيطرة في الفكر السياسي والاقتصادي، حيث أكدت تطورات الأحداث صحة افتراضاتها، التي بدورها دعمت التوجه المتفائل بشأن التقدم البشري، الذي كان محور اهتمام الفلاسفة الليبراليين منذ **"جون لوك"** (John Locke)، إذ كان

لديهم إيمان راسخ بإمكانية التقدم داخل مجتمع مدني حديث واقتصاد رأسمالي في دولة تضمن الحرية الفردية.

عززت أحداث ما بعد الحرب الباردة هذا الانتصار الليبرالي، مما أدى إلى انتشار النظام الليبرالي ليشمل أجزاء كبيرة من العالم، فتجسدت هذه الفكرة فيما يعرف بـ "نهاية التاريخ"، حيث أصبحت الديمقراطية الغربية الليبرالية تُعتبر الشكل النهائي للحكم، وبدأ النظام الدولي يتحول نحو الليبرالية والديمقراطية، وأصبح النظام الدولي يميل إلى أن يصبح أكثر سلماً وتعاوناً طالما أن الديمقراطيات تتعاون فيما بينها ولا تلجأ إلى القوة ضد بعضها البعض.

في ظل هذه البيئة الدولية التي سادت بعد انتهاء الحرب الباردة، استغلت الصين الفرص التي أتاحتها العولمة لتنهض اقتصادياً، فتحولت إلى قوّة اقتصادية صاعدة، وسعت إلى استثمار هذه القوة لتعزيز قدراتها العسكرية، وهو ما أثار قلق الولايات المتحدة، ونتيجة لذلك، أصبحت العلاقات الأمريكية-الصينية محكومة بتوازن دقيق بين القوة المهيمنة (الولايات المتحدة) والقوة الصاعدة (الصين). (الرحمن، 2015، الصفحات 67-69)

فمع أفول الحرب الباردة، اتخذت الولايات المتحدة خطوات لبناء نظام دولي يرسخ هيمنتها ويحقق مصالحها الاستراتيجية، وفي هذا السياق، كان من الطبيعي أن تنشأ خلافات وصراعات بينها وبين القوى الأخرى في النظام الدولي، بما في ذلك الصين، ومن بين هذه القضايا، تبرز بعض المسائل مثل التدخل لحماية الحريات وحقوق الإنسان، التي أصبحت من أبرز القضايا الشائكة في العلاقات الصينية-الأمريكية، فالغرب ينتقد أوضاع حقوق الإنسان في آسيا ويدعو للالتزام بالمعايير العالمية، بينما ترى الصين أن هذه الانتقادات هي أداة للتدخل في شؤونها الداخلية، فبعد أحداث ميدان تيان أن مين في عام 1989، اتهمت الصين الولايات المتحدة باستخدام حقوق الإنسان كوسيلة للضغط عليها وتغيير نظامها السياسي.

كما هناك القضية التايوانية التي سوف نقوم بدراستها لاحقاً في هذا البحث، وإلى جانب قضية تايوان هناك قضايا أخرى تعدّ مثار خلاف بين الصين والولايات المتحدة، مثل الملف النووي الإيراني، والمسألة الخلافية الأبرز بين البلدين تكمن في اختلاف الرؤية الاستراتيجية والفكرية حول شكل وبنية النظام الدولي، فبينما تسعى الصين كقوة صاعدة إلى تعديل هذا النظام، تعمل الولايات المتحدة بتكريس هيمنتها بوصفها القوة المهيمنة الحالية.

3.انتقال ميزان القوى من الغرب إلى الشرق

يناقش الباحث **فريد زكريا** التحولات التي شهدتها مراكز القوة العالمية عبر خمسة قرون مضت، مشيراً إلى ثلاث تحولات جوهرية: (Zakaria، 2008، صفحة 2)

- ✓ **التحول الأول**: شهد صعود العالم الغربي وبروز عصر الحداثة الذي امتد من القرن الخامس عشر حتى أواخر القرن الثامن عشر، حيث بدأت أوروبا تشكل ملامح القوة العالمية من خلال التطورات العلمية، الصناعية، والفكرية.
- ✓ **التحول الثاني:** تجلّى في صعود الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر، حيث فرضت هيمنتها على الاقتصاد العالمي والسياسة والعلوم والثقافة، بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الحديث.
- ✓ **التحول الثالث:** يتمثل فيما يعرف بصعود "البقية"، حيث شهدت العقود الأخيرة صعود قوى جديدة، لا سيّما في آسيا، التي أصبحت تنافس على القوة العسكرية والاقتصادية، في تحول يعكس انتقال مراكز القوة من الغرب إلى الشرق.

يشير المفكر الأمريكي **روبرت كيوهن** (Robert Lawrence Kuhn) إلى أن العولمة أفرزت ظاهرة "انتقال القوة"، إذ أن النظام الدولي الذي أسسته الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية لم يعد قادراً على مواكبة التحولات الجارية في العلاقات الدولية. ونتيجة لذلك، انتقلت مراكز القوة الدولية من المنطقة الأطلسية التقليدية (أوروبا وأمريكا الشمالية) إلى منطقة المحيط الهادي (اليابان، الصين، كوريا، وأستراليا). (سكينلسكي، 2023)

هذه المنطقة الصاعدة تفرض تحديات كبيرة على الولايات المتحدة التي قد تجد نفسها مضطرة لتقاسم قيادة العالم، لا سيّما في المجال الاقتصادي.

في سياق الحديث عن انتقال مركز القوة من الغرب إلى الشرق، تبرز نظرية "تحول القوة" بوصفها قادرة على تفسير هذه الظاهرة بوضوح، إذ تشير هذه النظرية إلى أن الدولة المهيمنة تفقد موقعها القيادي لصالح دولة جديدة سريعة التنامي، ولكي يحدث هذا التحول، يتعين على الدولة الصاعدة أن تحصل على مصادر للقوة تؤهلها للعب هذا الدور، وقد قدم "**أورغانسكي**" (Organski) نموذجاً لتصنيف الدول حسب

درجة قوتها: الدول القوية والقانعة، الدول القوية وغير القانعة، الدول الضعيفة وغير القانعة، والدول الضعيفة والقانعة. وفقاً لهذه النظرية، الدول القوية وغير القانعة، مثل روسيا والصين، هي التي تسعى لتغيير النظام الدولي القائم. (محمد، 2015)

كما يؤكده "**ولتر راسيل ميد**" (Walter Russell Mead) في دراسته على عودة التنافسات الجيوسياسية، مشيراً إلى صعود روسيا والصين كقوتين عالميتين، وإيران كقوة إقليمية، تسعى جميعها إلى إعادة تشكيل النظام الدولي الذي نشأ بعد الحرب الباردة.

يُعتقد أن القرن الحادي والعشرين سيكون قرن المحيط الهادي بالنسبة للولايات المتحدة، كما أشارت إلى ذلك وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة **هيلاري كلينتون** عام 2011 (العربية، 2011)، حيث تدرك الولايات المتحدة أهمية الصعود الصيني وتأثيره المحتمل على هيمنتها الدولية، ويعكس هذا الوعي الأمريكي الكم الهائل من الكتابات التي حذرت من خطورة هذا الصعود، بما في ذلك أعمال **بريجينسكي**، التي تعكس القلق الأمريكي من هذا التحول.

في الوقت نفسه، يواجه النظام الدولي الحالي اضطرابات ناتجة عن صعود الصين اقتصادياً وروسيا سياسياً وعسكرياً، مما يشكل تحدياً مباشراً للهيمنة الأمريكية، وقد تأثر هذا الوضع بتراجع الأولويات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط نتيجة الأزمة المالية التي ضربت الولايات المتحدة عام 2008، والتي تفاقمت مع انهيار عدد كبير من المؤسسات المالية الكبرى.

تلك الأزمة الاقتصادية لم تؤثر فقط على الاقتصاد الأمريكي، بل تجاوزت ذلك إلى المجالين السياسي والعسكري، مما أدى إلى تقليص خيارات الإدارة الأمريكية في التعامل مع القضايا الدولية، وقد دفع ذلك الرئيس الأمريكي الديموقراطي الأسبق باراك أوباما إلى التركيز على السياسة الداخلية وتقليص التوسع العسكري العالمي.

4.الصورة النمطية للتنافس الدولي الأمريكي- الصيني بداية القرن الواحد والعشرين

منذ الأزمة المالية العالمية في عام 2008، بات واضحاً أن الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي بدأت تتآكل، في ظل صعود قوى عالمية جديدة تسعى لإعادة تشكيل بنية هذا النظام، بما يؤدي إلى تغيير الترتيب الهرمي للقوى الكبرى، وتعتبر الصين من أبرز هذه القوى الصاعدة.

يشكل بروز الصين، خاصة منذ مطلع الألفية الثالثة، محوراً مثيراً للجدل في مجال العلاقات الدولية. ففي مقاله المعروف "المحور الجغرافي للتاريخ"، أشار الجغرافي البريطاني **هالفورد ماكيندر** (Halford Mackinder) إلى أن الصين تمثل قوة جغرافية خطيرة على النظام العالمي، حيث رأى **ماكيندر** في الصينيين تهديداً للعالم الحر، نظراً لإمكانياتهم في إضافة واجهة بحرية شاسعة إلى موارد أوراسيا الهائلة، وهي ميزة تفتقر إليها روسيا، التي كانت آنذاك تسيطر على المنطقة المحورية في أوراسيا لكنها تفتقر إلى واجهة بحرية فعّالة بسبب الجليد الذي يحيط بسواحلها الشمالية. (هنداوي، ب.ت)

فباعتبارها قوة قارية، تتمتع الصين بامتداد جغرافي يصل إلى قلب الاتحاد السوفييتي السابق، مع كل ثرواته من النفط والمعادن، وتمتد إلى ممرات الشحن الرئيسية في المحيط الهادي، ومع سواحل تمتد لأكثر من تسعة آلاف ميل، تمتلك الصين موقعاً استراتيجياً بالغ الأهمية، وعليه في كتابه "المثل الديمقراطية والواقع"، الذي نُشر عام 1919، توقع **ماكيندر** أن الصين، إلى جانب الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ستقود العالم نحو حضارة جديدة، تجمع بين الشرق والغرب.

تكمن الأهمية الجيوسياسية للصين في موقعها ضمن قلب أوراسيا، حيث تنمو مناطق نفوذها في أوروبا وآسيا وإفريقيا، وعلى الرغم من أن هذا النفوذ لا يتخذ الطابع الإمبريالي التقليدي، إلا أن تنامي احتياجات الصين الاقتصادية يدفعها لتغيير ميزان القوى في النصف الشرقي من العالم، مما يثير قلق الغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة.

وبدعم من موقعها الجغرافي، يمتد نفوذ الصين من آسيا الوسطى إلى الشرق الأقصى الروسي ومن بحر الصين الجنوبي إلى المحيط الهندي، مما يجعلها قوة قارية صاعدة.

1.4.استراتيجية الصين الجيوسياسية

استغلت الصين موقعها الجغرافي لتعزيز نفوذها في آسيا الوسطى، حيث أصبحت من القوى المؤثرة في تلك المنطقة منذ استقلال الجمهوريات عن الاتحاد السوفييتي السابق في عام 1991. كما أقامت علاقات اقتصادية وثيقة مع دول جنوب شرق آسيا من خلال منطقة التجارة الحرة مع رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان)، ما عزز من موقفها التفاوضي واستفادت من الفجوة التجارية المتزايدة لصالحها.

لم تكتف الصين بتعزيز نفوذها الاقتصادي، بل سعت أيضاً إلى تطوير قدراتها العسكرية، خصوصاً البحرية، فعملت على تحديث أسطولها البحري وتطوير غواصاتها النووية والهجومية، وتسعى لامتلاك قدرات تشغيل حاملات الطائرات.

هذه الجهود العسكرية تعكس استراتيجية الصين الرامية إلى منع الولايات المتحدة من الوصول بحريّة إلى مناطق كبيرة من غرب المحيط الهادي، فالصعود الصيني التدريجي كقوة كُبرى يُعد سمةً بارزةً في النظام العالمي الجديد، وحقيقة لا يمكن تجاهلها في سياق إعادة هندسة أوراسيا في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. فبفضل قوتها الديموغرافية ومساحتها الشاسعة، إلى جانب مكانتها الاقتصادية العالمية، أصبحت الصين لاعباً أساسياً في النظام الدولي، خاصة وأنها تمارس دبلوماسية الأموال السائلة بشكل غير مسبوق، مما يوسّع من مصالحها الحيوية عالمياً.

وعليه يمكن القول أن الصين جاءت بمعايير للصعود والتطور والتنافس مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموماً وفق استراتيجية ناعمة، تعتمد بالأصل على التطور الاقتصادي والتقني والعسكري والأمني دون وصولها الى الصدام الناري مع منافسيها، وهو ما تجلى في علاقات متنوعة مع القوى العالمية والإقليمية.

بالمقابل من ذلك، تدرك الولايات المتحدة أن المنافسة الصينية التي كوّنها النمو المتسارع على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية، خطر على هيمنتها للعالم، ولهذا بدأت تتبنى استراتيجيات متعددة المستويات.

2.4.استراتيجية الولايات المتحدة الاحتوائية

على المستوى العسكري استخدمت واشنطن استراتيجية الاحتواء من خلال شبكة حلفاء آسيويين، ونشر القواعد العسكرية لتطويق القوة الصينية الصاعدة. أما على المستوى الاقتصادي فقد حاولت بما تسميه (Selective Engagement Strategy) إدماج بكين ضمن نطاق السوق الليبرالية. (Kissinger، 2011، الصفحات 93-104)

في عهد الرئيس باراك حسين أوباما تبنّت واشنطن ما يعرف بـ (Rebalance Strategy) والتي تقوم على إعادة التوازن بين الصين وأمريكا في منطقة شرق أسيا والذي عرف بـ (Pivot Asia)، وأيضاً (Strategic

Competition Strategy)، حيث بدأت مجموعة من مفاهيم الحروب الباردة بين القوتين العالميتين مثل: حرب الرقائق وأشباه الموصلات، وحرب العملات، وحرب الملكية الفكرية، وحرب الرسوم الجمركية.. (يوسف، 2016، صفحة 23)

اعتمدت الولايات المتحدة على سياسة إنشاء التحالفات الاستراتيجية لاحتواء الصعود الصيني، ففي 2017 قام تحالف "كواد" في عهد الرئيس السابق ترامب، وتحالف "أكوس" عام 2021 في عهد الرئيس جو بايدن، واستضافت واشنطن مؤتمر آسيان في 2022.

نجحت الولايات المتحدة على مر السنوات بردع الصين عن التمدد بالمحيط الإقليمي الخاص بها (الهندوباسيفيك) وحماية حلفاء واشنطن من التهديد الصيني، خاصة في تايوان، عبر منع بكين من غزوها مقابل منع تايوان من إعلان الاستقلال رسمياً، والحفاظ على الأمن الإقليمي في مضيق تايوان ودعمها في قضية أشباه الموصلات وحرب الرقائق الإلكترونية.

مقابل ذلك، لم تنجح الولايات المتحدة من نقل الصين الى الديموقراطية الليبرالية، كما وفشلت هذه السياسات الأمريكية في لجم الصعود الصيني الاقتصادي، وتركزت سياسة الاحتواء الأمريكية على الجانب الدفاعي والعسكري لإعادة التوازن في منطقة المحيط الهادي. (اللطيف، 2024، صفحة 314)

5.مظاهر التنافس الأمريكي-الصيني في منطقة المحيط الهادي

يمكن القول إن التنافس بين الولايات المتحدة والصين في منطقة المحيط الهادي يمثل أحد أعظم التحديات الجيوسياسية التي تواجه العالم اليوم. فخلال العقود الأخيرة، تصاعدت حدة الصراع بين البلدين، حيث سعى كل منهما إلى ترسيخ نفوذه وتعزيز تأثيره في هذه المنطقة الحيوية.

وفي القلب من التنافس الأمريكي-الصيني يتمتع المحيط الهادي بأهمية جغرافية واستراتيجية فائقة، كونه أكبر مسطح مائي على وجه الأرض، يحتضن نصف إجمالي المياه العذبة، ويربط بين قارات ودول محورية، فضلاً عن ذلك، يضم المحيط الهادي جزراً ومضائق وممرات بحرية ذات أهمية استراتيجية بالغة.

تسعى الصين إلى تعزيز نفوذها الإقليمي من خلال مبادرة "الحزام والطريق"، التي تهدف إلى إنشاء شبكة من البنية التحتية لتعزيز التجارة والتأثير الاقتصادي، كما تعمل على تعزيز قدراتها العسكرية في

المحيط الهادي، لا سيّما من خلال تطوير قواتها البحرية والجوية والصاروخية.

من جهة أخرى، تسعى الولايات المتحدة إلى الحفاظ على نفوذها في المنطقة والحد من التوسع الصيني، عبر تعزيز تحالفاتها الاستراتيجية مع دول حليفة مثل اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا، بالإضافة إلى تعزيز وجودها العسكري وتبنّي تدابير تجارية تهدف إلى مواجهة النفوذ الاقتصادي الصيني.

يمتد التنافس بين البلدين إلى مجالات حيوية أخرى، منها الأمن السيبراني، التجارة العالمية، حقوق الإنسان، والمناخ. وقد أسفر تصاعد التوترات بين واشنطن وبكين عن تأجيج العديد من النزاعات الإقليمية، مثل تلك المتعلقة ببحر الصين الجنوبي، تايوان، وكوريا الشمالية.

1.5. التنافس الأمني والعسكري

في سياق التنافس بين الولايات المتحدة والصين، يشكل تعزيز القدرات العسكرية في منطقة المحيط الهادي محوراً رئيسياً للصراع، مما يثير مخاوف متزايدة من تصاعد التوترات واحتمال نشوب نزاعات مسلحة.

يتمحور هذا التنافس حول السيطرة على الممرات المائية والجزر والمناطق الاستراتيجية ذات الأهمية الحيوية، مثل جزر سبراتلي وباراسيل في بحر الصين الجنوبي، وجزر دياويو في بحر الصين الشرقي، وجزر فوكاتشيما في بحر اليابان. (الحرة، 2024)

في هذا الإطار، تعزز الولايات المتحدة تحالفاتها العسكرية مع دول مثل اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا، وتستمر في نشر قواتها العسكرية في قواعد استراتيجية في المنطقة، مع التركيز على استخدام القوة البحرية والجوية والصاروخية لضمان تواجد عسكري فعال في المحيط الهادي.

بالمقابل تواصل الصين تعزيز قدراتها العسكرية من خلال استثمارات ضخمة في القوات البحرية والجوية والصاروخية، إضافة إلى بناء قواعد عسكرية جديدة في الجزر والمناطق الاستراتيجية، وتعتمد الصين على استراتيجية تهدف إلى حماية أمنها القومي وضمان السيطرة على الأمن البحري في المحيط الهادي، هذا التنافس العسكري المكثّف بين البلدين يثير المخاوف من تصعيد التوترات إلى مستوى قد يهدد الأمن الإقليمي والدولي.

2.5. التنافس الاقتصادي التجاري

يمتد التنافس بين الولايات المتحدة والصين إلى المجال التجاري، حيث يسعى كل منهما إلى السيطرة على الأسواق والموارد الاقتصادية في منطقة المحيط الهادي، مما يؤثر بشكل مباشر على التجارة العالمية ويؤدي إلى فرض رسوم جمركية وحظر تجاري متبادل.

يركز هذا التنافس بشكل خاص على قطاعات الصناعات الثقيلة والتكنولوجيا الحديثة، مع سعي كل منهما إلى توسيع حصصهما في الأسواق العالمية وزيادة الربحية.

تعد الصين من أكبر الدول المصدرة للبضائع والمنتجات الصناعية في العالم، بينما تعتبر الولايات المتحدة واحدة من أكبر المستوردين، وتحاول الصين تعزيز تصدير منتجاتها إلى الولايات المتحدة ودول أخرى في المنطقة، في حين تسعى الولايات المتحدة إلى تعزيز إنتاجها المحلي وتحقيق توازن تجاري مع الصين.

تثير هذه التوجهات التجارية المتعارضة مخاوف من احتمال اندلاع حرب تجارية تؤثر سلباً على الاقتصاديات العالمية والصناعات الثقيلة، فعلى الرغم من التوصل إلى اتفاقات تجارية مؤقتة بين البلدين، مثل اتفاق التجارة الأولي في عام 2020، إلا أن التوترات التجارية لا تزال قائمة وتشكل تحدياً كبيراً للعلاقات الدولية. (الجزيرة، 2020)

إضافة إلى ذلك، تستخدم الصين سياسات التحفيز الحكومي لتعزيز قطاعاتها الصناعية والتكنولوجية، مما يزيد من تنافسيتها في الأسواق العالمية ويؤدي إلى تفاقم الضغوط التجارية مع الولايات المتحدة، وقد تجلى ذلك في فرض الولايات المتحدة سلسلة من الرسوم الجمركية على البضائع الصينية على مدى عدة سنوات مضت كان آخرها رسوم بقيمة 18 مليار دولار في 14 أيار 2024 (العربية، 2024)، أدت هذه السياسات الأمريكية إلى ردود فعل مماثلة من الصين بفرض رسوم جمركية مضادة على بضائع أمريكية 10% من البضائع المستوردة. (NEWS، 2019)

كما أن أحد أبرز مصادر التوتر في العلاقات الأمريكية-الصينية كان تصاعد اتجاه بعض الدول، وعلى رأسها الصين، إلى تسعير عقودها التجارية بالعملات المحلية بدلاً من الدولار، ومع خطط الصين لتسعير جميع عقود مبادرة الحزام والطريق باليوان الصيني، بدأ وضع الدولار كعملة احتياط عالمية يواجه تهديدًا، مع العلم أن، استخدام الدولار الأمريكي كعملة احتياط عالمية كان من بين أبرز أسباب التفوق الاقتصادي

للولايات المتحدة، حيث يُستخدم في تسعير حوالي 70٪ من التجارة العالمية، خاصة العقود الكبيرة لواردات النفط، بالإضافة إلى ذلك، تعتمد معظم العمليات الدولية للبنوك على الدولار الأمريكي، حتى في الحالات التي لا تكون فيها هذه العملة مستخدمة بين البائع والمشتري بشكل مباشر.

واتهمت الولايات المتحدة الصين بالتلاعب بعملتها المحلية، اليوان الصيني، لجعل صادراتها أقل تكلفة مقارنة بالواردات الأمريكية التي تصبح أكثر تكلفة، هذا التلاعب منح الشركات الصينية ميزة غير عادلة في السوق العالمي. (أشرف، 2023)

رغم هذه التوترات، شهدت العلاقات الاقتصادية بين البلدين بعض التحسن، حيث تم التوصل إلى اتفاقات تعاون في مجالات الاستثمار والتكنولوجيا الحيوية والطاقة المتجددة، وتبقى العلاقات التجارية بين الصين والولايات المتحدة حاسمة للاقتصاد العالمي، حيث يمثل البلدان أكبر اقتصادين في العالم، وتعد منطقة المحيط الهادي أكبر منطقة تجارية. (أرمسترونغ، 2023)

3.5. التنافس الثقافي والديني

في إطار المنافسة المتعددة الأبعاد بين الولايات المتحدة والصين، يبرز التنافس الثقافي والديني كعنصر حاسم يؤثر على التعاون الإقليمي ويزيد من التوترات بين الدول.

تسعى كل من الدولتين إلى نشر قيمها وثقافتها في منطقة المحيط الهادي والعالم، فتحاول الصين تعزيز نفوذها الثقافي من خلال مبادرات مثل برامج تعليم اللغة الصينية (الماندرين)، وهي اللغة الأكثر تحدثاً في العالم، كما تقدم الصين منحاً دراسية للطلاب الأجانب لدراسة لغتها وثقافتها، مما يساهم في توسيع انتشار الثقافة الصينية عالمياً.

بالمقابل، تركز الولايات المتحدة على تعزيز تأثيرها الثقافي عبر الترويج للغة الإنجليزية والثقافة الغربية، بالإضافة إلى نمط الحياة الأمريكي، كما تعمل الولايات المتحدة على تعزيز نفوذها الديني من خلال إرسال المبشرين والمتطوعين الذين يقدمون خدمات إنسانية وينشؤون مراكز للتعليم والرعاية الصحية في المنطقة.

لا يقتصر التنافس بين البلدين على اللغة والدين فحسب، بل يمتد أيضاً إلى مجالات الفنون والرياضة والإعلام والتكنولوجيا الحديثة، فتحاول كل من الصين والولايات المتحدة تعزيز حضورها ونفوذها في هذه المجالات على الصعيدين الإقليمي والعالمي.

رغم أن التنافس الثقافي والديني يتسم أحياناً بتبادل الانتقادات الحادة، كانتقاد الولايات المتحدة الصين بشأن حقوق الإنسان والقمع السياسي، وانتقاد الصين للولايات المتحدة بالتدخل في شؤونها الداخلية، إلا أن الأهمية تكمن في التعامل مع هذا التنافس بشكل مسؤول وبناء، عبر تعزيز الحوار والتفاهم المتبادل بين البلدين في مجالات الثقافة والدين، وتجنب التوترات السياسية والانتقادات السلبية، وهو السبيل الأمثل لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة والعالم.

4.5. التنافس في مجال الابتكاروالتكنولوجيا

في مشهد التنافس بين الولايات المتحدة والصين، يشكّل الابتكار التكنولوجي والصناعي ميداناً رئيسياً يؤثر على تطور التكنولوجيا العالمية وحرية الأفراد والشركات في استخدامها.

تشهد منطقة المحيط الهادي تنافساً شديداً في هذا المجال، حيث تسعى كل من الصين والولايات المتحدة لتطوير صناعاتها وتعزيز قدراتها التكنولوجية، فتركز الولايات المتحدة على المجالات الرئيسية للتكنولوجيا المتقدمة مثل الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية والروبوتات والبيانات الضخمة والأمن السيبراني، كما وتسعى إلى استخدام هذه التكنولوجيا كجزء من استراتيجيتها لتعزيز التنافسية والتنمية الاقتصادية.

من جانبها، تركز الصين على تطوير الشبكات اللاسلكية، وخاصة الجيل الخامس من الاتصالات اللاسلكية، بالإضافة إلى التصنيع الذكي والطاقة المتجددة، وتهدف الصين من خلال هذه الابتكارات إلى التحول من دولة صانعة إلى دولة مبتكرة.

رغم ذلك، فإن التحديات التي تواجه البلدين في هذا المجال، مثل قضايا الأمن السيبراني وحماية الملكية الفكرية، تتطلب معالجة جادة وفعّالة لضمان تنافس صحي وعادل.

بدأت الولايات المتحدة حربها مع الصين في مجال الرقائق عام 2018، حيث كانت بدايةً جزءاً من

الحرب التجارية الأوسع نطاقاً، وتمحورت هذه الحرب بنقطتين، **أولاً**: مكافحة التجسس الصناعي والاقتصادي، **وثانياً**: منع الصين من جذب الخبراء والمتخصصين من الخارج.

مع مرور الوقت، توسّعت القيود الأمريكية لتشمل شركات التكنولوجيا الصينية، خاصةً التي تعمل في مجال الذكاء الاصطناعي، وذلك بسبب المخاوف من تعزيز القدرات العسكرية الصينية في مواجهة الولايات المتحدة.

في هذا السياق، تم فرض عقوبات على الشركات الصينية، مثل شركة هواوي، التي أدرجت على "قائمة الكيانات" المحظورة من قبل وزارة التجارة الأمريكية عام 2019.

تصاعدت القيود حيث أضافت واشنطن في عام 2021 سبع شركات صينية متخصصة في الحوسبة الفائقة للقائمة إلى أن وصل عدد الأفراد والمؤسسات الصينية المدرجة على هذه القائمة إلى أكثر من ألفين.

شكّل عام 2022 منعطفاً مهماً في هذا الصراع التكنولوجي، فقد أصدرت واشنطن قانون "الرقائق والعلوم"، الذي خصص حوالي 53 مليار دولار لدعم الشركات الأمريكية ومنعها من التوسع في الصين، وفي الوقت نفسه، وسّعت واشنطن قائمة الكيانات المحظورة وفرضت حظراً على بيع معدات تصنيع الرقائق المتقدمة للصين.

لكن نقطة التحول الحاسمة في هذه الحرب جاءت في 7 أكتوبر 2022، عندما أعلنت الولايات المتحدة عن مجموعة جديدة من القيود على تصدير التكنولوجيا إلى الصين، شملت هذه القيود رقائق متقدمة، ومعدات تصنيعها، ومواد كيميائية تستخدم في تصميمها، مما أضعف بشكل كبير قدرة الصين على تطوير قوتها الحاسوبية اللازمة للذكاء الاصطناعي، مما يمثل نقطة تحول هامة في المنافسة الجيوسياسية بين البلدين.

ومن جهة أخرى، تسعى الولايات المتحدة إلى تحويل القيود التجارية أحادية الجانب إلى ضوابط متعددة الأطراف، عبر إشراك أكبر الدول المنتجة لأشباه الموصلات، مثل اليابان وهولندا، لضمان تأمين سلاسل التوريد ومنع الصين من تحقيق التفوق في هذه التكنولوجيا المتقدمة.

في مارس 2022، اقترحت الولايات المتحدة إنشاء تحالف يُعرف بـ"Chip 4" ، كجزء من استراتيجية أوسع لتعزيز أمن واستقرار سلاسل توريد أشباه الموصلات، الهدف من هذا التحالف هو تقليل اعتماد العالم على الرقائق المصنعة في الصين، ويضم اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان، وكل منها تمتلك تفوقًا في قطاعات محددة من هذه الصناعة.

كما ويهدف التحالف إلى إعادة هيكلة سلاسل التوريد العالمية لأشباه الموصلات لتقليل الاعتماد على الصين من خلال تنويع مواقع التصنيع جغرافيًا بعيدًا عن بكين، بالإضافة إلى حماية حقوق الملكية الفكرية للشركات الأعضاء، والتنسيق فيما يتعلق بفرض قيود على تصدير التكنولوجيا إلى الصين.

من الجدير بالذكر أن العلاقات الأمريكية-التايوانية تعتمد بشكل كبير على التعاون في مجال صناعة الرقائق الإلكترونية. تُصدر الولايات المتحدة نحو 45٪ من معدات تصنيع أشباه الموصلات إلى تايوان، بينما تصدّر تايوان إلى الولايات المتحدة رقائق بقيمة بلغت حوالي 28.8 مليار دولار في عام 2020. وتعد شركة تايوان لصناعة أشباه الموصلات (TSMC) أكبر منتج لأشباه الموصلات في العالم، حيث تسهم بنحو 60٪ من الإنتاج العالمي، و90٪ من الرقائق المتقدمة على مستوى العالم. (أشرف، 2023)

ومن ناحية أخرى، أفاد تقرير اقتصادي مستقل أجرته "لجنة دراسة القرصنة الفكرية" الأمريكية في عام 2017، أن الاقتصاد الأمريكي يتكبد خسائر تصل إلى 600 مليار دولار سنوياً بسبب القرصنة الفكرية، وأكد التقرير أن انتهاك حقوق الملكية الفكرية الأمريكية لا يزال يشكل تهديداً كبيراً للاقتصاد الوطني. هذه الخسائر التي تقدر بأكثر من 250 مليار دولار، تنعكس في شكل سلع مقلدة، وبرمجيات مقرصنة، بالإضافة إلى سرقة الأسرار التجارية، مما يؤدي إلى زيادة التكلفة الإجمالية لتصل إلى 600 مليار دولار. (العكيلي، 2018)

وعليه قامت الولايات المتحدة رسمياً بفتح تحقيق تجاري حول الممارسات الصينية المتعلقة بالملكية الفكرية والنقل القسري للتكنولوجيا الأمريكية، استجابةً لطلب الرئيس دونالد ترامب، يهدف إلى مراجعة سياسات الصين التي قد تضر بحقوق الملكية الفكرية الأمريكية وتعرقل الابتكار والتطور التقني.

يستند هذا التحقيق إلى البند 301 من القانون التجاري الأمريكي المتعلق بالملكية الفكرية، الذي يمنح الرئيس سلطة فرض رسوم جمركية أو قيود تجارية بشكل أحادي ضد دول أجنبية، حيث كان هذا البند يُستخدم بكثافة خلال الثمانينيات وبداية التسعينيات لمواجهة انتهاكات الملكية الفكرية. (العكيلي، 2018)

من المهم أن يكون التعامل مع هذه التحديات والفرص المتاحة في مجال التكنولوجيا والابتكار بشكل متوازن ومستدام. يجب أن يسعى البلدان إلى تعزيز الحوار والتعاون المتبادل لضمان مساهمة التكنولوجيا في تحسين حياة الجميع، وتحقيق المصالح المشتركة لجميع الأطراف.

6.بؤرالتوترالأمريكي- الصيني في منطقة المحيط الهادي

يشكّل صعود الصين ظاهرة بارزة في مشهد العلاقات الدولية، مدعومةً بقدراتها الاقتصادية والعسكرية المتنامية، ما أثار قلق الولايات المتحدة بشكل كبير وهو يعكس ما يمكن تسميته بجدلية القوة المهيمنة والقوة الصاعدة التي أصبحت تحكم العلاقات بين البلدين.

توضّح هذا القلق الأمريكي في العديد من الدراسات والأبحاث التي تناولت صعود الصين، ولم يتردد المسؤولون الأمريكيون في التعبير عن عنه في الساحة الرسمية.

في هذا السياق، تتصدر منطقة المحيط الهادي الاهتمام الاستراتيجي بوصفها الساحة الرئيسية للتنافس الأمريكي-الصيني في حقبة ما بعد الحرب الباردة، هذه المنطقة التي تحتوي على العديد من النطاقات الجيوسياسية الهامة، وبؤر التوتر الاستراتيجي مما يجعلها محور اهتمام القوى الكبرى.

عند الحديث عن التنافس بين الولايات المتحدة والصين في منطقة المحيط الهادي، تبرز منطقة الهندو-باسيفيك كمنطقة ذات أهمية استراتيجية متزايدة، حيث حلّت منطقة الهندو-باسيفيك، في السنوات الأخيرة، محل مصطلح آسيا-الباسفيك في الأدبيات الاستراتيجية للقوى الكبرى، وبات التنافس يستلزم عدم الفصل بين المحيط الهادي والمحيط الهندي، إضافة إلى بحر الصين الجنوبي، الذي أصبح محوراً للتنافس المتزايد، لاسيّما بين الولايات المتحدة والصين، وكذلك، يعتبر الخلاف حول وضع جزيرة تايوان، استمراراً للصراع الأيديولوجي والحرب الباردة بين البلدين.

1.6. بؤرة الهندو- باسيفيك (The Indo –Pacific Region)

يُعتبر نطاق الهندو-باسيفيك أحد النطاقات الجيوسياسية الحديثة التي تطورت عبر الفكر الاستراتيجي نتيجة لتداخل الأبعاد الاقتصادية والسياسية والثقافية، حيث تحظى بأهمية متزايدة في الدراسات الأكاديمية والعسكرية والسياسية، وتتأثر أهميتها بمدى التفاعل العالمي والرهانات الدولية

ضمنها.

يرجع أول استخدام لمفهوم "الهندو-باسيفيك" في السياق الجيوسياسي إلى الأستاذ الألماني **كارل هاوسهوفر** (Karl Haushofer) في عام 1920، ولكن لم يتم اعتماده بشكل واسع في أدبيات العلاقات الدولية حتى بدايات القرن الحادي والعشرين. (فرحات، 2020)

تزايد الاهتمام بالمفهوم مع تصاعد النقاشات الأكاديمية والمبادرات الدولية، مثل مبادرة الانتشار الأمني التي طرحتها إدارة الرئيس السابق للولايات المتحدة **جورج بوش** (George Bush) في عام 2003، واستخدام الأكاديمي النيوزيلندي **بيتر كوزينز** (Peter Cozens) هذا المصطلح في عام 2005، والذي أشار فيه إلى أن المحيطين الهادي والهندي يشكلان كياناً استراتيجياً واحداً، لكن الاستخدام الأبرز جاء على يد رئيس الوزراء الياباني الأسبق **شينزو آبي** (Shinzo Abe) في عام 2007، عندما طرح فكرة "قوس الحرية والرخاء في آسيا الموسعة" The Arc of Freedom and Prosperity in the Broader Asia، مشيراً إلى مصالح مشتركة بين القوى الدولية الرئيسية، مثل الهند، الولايات المتحدة، أستراليا، واليابان، دون ذكر الصين، ما عكس أبعاداً سياسيةً كامنةً وراء هذا المفهوم. (Seas، August 22, 2007)

في عام 2010، استخدمت وزيرة الخارجية الأمريكية آنذاك **هيلاري كلينتون** (Hillary Diane Rodham Clinton)، هذا المفهوم في سياق التأكيد على أهمية التعاون البحري بين الولايات المتحدة والهند، وأخيراً مع وصول إدارة **دونالد ترامب** (Donald John Trump) إلى السلطة، شهد المفهوم تحولاً كاملاً، حيث اعتمد بدلاً من مصطلح آسيا-المحيط الهادي، واستخدمه ترامب بشكل مكثف خلال زيارته لآسيا في عام 2017، وبعدها تفاعلت أستراليا بسرعة مع هذا التحول، ودمجت المفهوم في وثائقها الرسمية.

أما في منطقة جنوب شرق آسيا، فقد ألقى وزير خارجية إندونيسيا كلمة هامة في "المركز الأمريكي للدراسات الاستراتيجية والدولية" (CSIS)، مقترحاً فيها مجموعة من المبادئ التي يجب أن تحكم السياسات الدولية والإقليمية في المنطقة، مثل بناء الثقة المتبادلة وحل النزاعات سلمياً. (Ram، 2015، الصفحات 22-31)

من الناحية الجغرافية، يعرّف رئيس الوزراء الهندي "**ناريندرا مودي**" (NARENDRA MODI) منطقة الهندو-باسيفيك بأنها تشمل المناطق الممتدة من إفريقيا غرباً إلى الأمريكيتين شرقاً، مما يعني أنها تشمل جميع الدول الساحلية المشاطئة للمحيطين الهندي والهادي. (MODI، 2018)

تتوزع دول هذه المنطقة على ثمانية أقاليم فرعية، تشمل شرق آسيا، جنوب شرق آسيا، جنوب آسيا، أمريكا الشمالية، أمريكا اللاتينية، الشرق الأوسط، شرق إفريقيا، وأوقيانوسيا.

تحظى هذه المنطقة بأهمية استراتيجية بالغة تتجلى في اهتمام القوى الكبرى بها، وعلى رأسها الصين والولايات المتحدة، فلكل منهما سياسات أمنية واقتصادية تسعى من خلالها إلى تعزيز نفوذها في هذه المنطقة الحيوية، فمن جهة الصين تسعى لفرض سيطرتها عبر استراتيجيات سياسية واقتصادية وأمنية متكاملة. وعلى الجانب الآخر، تتحالف الولايات المتحدة مع الهند واليابان وأستراليا، مكونة ما يُعرف بالمربع الاستراتيجي لمواجهة توسع النفوذ الصيني. (مآلات دولية، 2021)

1.1.6. التوسع الصيني متعدد الأبعاد

في إطار سعيها لبسط نفوذها في منطقة الهندو-باسيفيك، أعطت الصين لجيش التحرير الشعبي في عام 2004 مهمة تاريخية جديدة تتضمن حماية المصالح القومية والتنموية، الأمر الذي أدّى إلى تحول جذري في العقيدة البحرية الصينية، حيث انتقلت من الدفاع عن البحار القريبة إلى الدفاع عن البحار البعيدة، وفق استراتيجية بحرية متدرجة عبر ثلاث مراحل: (كوبر، 2016)

- ✓ المرحلة الأولى (2000-2010): السيطرة على المياه داخل السلسلة الجزرية الأولى الممتدة من أوكيناوا إلى الفلبين؛
- ✓ المرحلة الثانية (2010-2020): بسط السيطرة على السلسلة الجزرية الثانية التي تربط بين جزر "أوقازاوارا" و"جوام" وإندونيسيا؛
- ✓ المرحلة الثالثة (2020-2040): المرحلة النهائية التي تطمح فيها الصين لإنهاء الهيمنة الأمريكية في المحيطين الهندي والهادي، باستخدام حاملات الطائرات كعنصر أساسي في قوتها البحرية.

حالياً، لا تستطيع أي من دول الآسيان منافسة القوة البحرية الصينية، حيث تفوقت الصين على جيرانها في عدد الغواصات والمدمرات وسفن الدوريات، فمنذ عام 2007، أدى بناء الصين لقاعدة بحرية في جزيرة هانيان إلى توترات إقليمية، خاصة مع تطوير الصين غواصات نووية من طراز "Type-093B " (روسيا اليوم، 2024)، زيادةً على امتلاك الصين غواصات روسية قادرة على القيام بعمليات طويلة المدى، وتوسيعها لقاعدة غواصاتها في جزيرة هانيان (الحافظ، 2022)، وهو ما أعطى الصين صفة القوة البحرية

الأكبر في آسيا، مع تطويرات شملت الصواريخ العابرة للقارات وأسلحة استراتيجية أخرى.

بالإضافة إلى قدراتها العسكرية، تشكل الصين قوة اقتصادية عالمية، فمنذ سبعينيات القرن الماضي، وبدءاً من عهد الرئيس الصيني الأسبق "**دينغ شياوبينغ**" (Deng)، حققت الصين قفزات هائلة في اقتصادها، ما جعلها في عام 2010 تتفوق على ألمانيا في التجارة الخارجية وتصبح ثاني أكبر اقتصاد عالمي بعد الولايات المتحدة.

2.1.6.دول المربع الاستراتيجي في مواجهة الصين

أدّى وصول الرئيس السابق **دونالد ترامب** إلى الرئاسة الأمريكية إلى إعادة التركيز على منطقة الهندو-باسيفيك في الاستراتيجية الأمريكية. حيث جعلت إدارة ترامب انخراط الولايات المتحدة في هذه المنطقة أولوية قصوى.

في تقريرها "الهندو-باسيفيك الحرة والمفتوحة: تطوير رؤية مشتركة"، أكدت الولايات المتحدة على أهمية هذه المنطقة التاريخية والاستراتيجية، مشددة على أن التنافس مع الصين في هذه المنطقة يتطلب إدارة دقيقة لتفادي الأضرار بالمصالح الأمريكية. (دندن، 2020، صفحة 18)

استجابة لهذه التحديات، أنشأت الولايات المتحدة القيادة الأمريكية للهندو-باسيفيك في هونولولو بجزر هاواي في عام 2018، وفي حزيران 2019 كشف البنتاغون عن استراتيجيته الجديدة تجاه المنطقة، مؤكداً على الارتباط الوثيق بين الولايات المتحدة ومنطقة الهندو-باسيفيك، مع اعتبار الصين التحدي الأكبر. (للاطلاع)

تستند الاستراتيجية الأمريكية إلى تحالفات مع 21 دولة في المنطقة، لكن التركيز الأساسي ينصب على الهند، اليابان، وأستراليا، حيث تُعد الهند ركيزة هامة في الاستراتيجية الأمريكية نظراً لموقعها الجغرافي وتاريخها مع الصين، مما يجعلها حليفاً أساسياً في مواجهة التوسع الصيني. بالمقارنة مع اليابان، التي تربطها بالصين علاقات تاريخية متوترة، تُعد أيضاً حليفاً استراتيجياً مهماً لأمنها وازدهارها الاقتصادي، خاصة مع أهمية خطوط المواصلات البحرية في منطقة الهندو-باسيفيك. أما أستراليا، فقد كانت أول دولة تدرج مصطلح الهندو-باسيفيك في وثائقها الرسمية، مؤكدةً على أهميته في استراتيجيتها الدفاعية والأمنية.

باستخدام هذه التحالفات، تسعى الولايات المتحدة إلى مواجهة التوسع الصيني وتحقيق مكاسب اقتصادية في منطقة الهندو-باسيفيك، التي تشكل نقطة التقاء بين المحيط الهادئ والمحيط الهندي، وتعتبر من أبرز المناطق الجيوسياسية المتنازع عليها في القرن الحادي والعشرين.

2.6. بؤرة بحر الصين الجنوبي

يعد بحر الصين الجنوبي منطقة محورية للصراع الإقليمي بين عدة دول تتنازع على سيادة أجزاء منه، وعلى الرغم من أن هذه القضية لم تكن محور نقاش مباشر بين الولايات المتحدة والصين في البداية، إلا أن التوترات بين القوتين تصاعدت تدريجياً إلى مستوى استراتيجي نتيجة السياسة التوسعية للصين، حيث قامت ببناء مطارات وقواعد عسكرية على الجزر المتنازع عليها من خلال استصلاحها واستثمارها.

هذه التحركات أثارت مخاوف الولايات المتحدة، خاصة في ظل سعي الصين لفرض نظام دفاع جوي يمكن أن يغير الوضع الجيوسياسي القائم في المنطقة، ما قد يمنحها سيطرة فعلية على منطقة تعدّ ذات أهمية استراتيجية كبيرة للولايات المتحدة وحلفائها، هذا السيناريو قد يفتح الباب لمواجهة مباشرة بين القوتين في المستقبل. (نوح، 2023)

يأتي هذا التصعيد في ظل أهمية بحر الصين الجنوبي الجيوسياسية والاقتصادية، فهو يعدّ شرياناً حيوياً للتجارة العالمية، حيث تمر عبره أكثر من نصف السفن التجارية في العالم، ويحتوي على ثروات طبيعية ضخمة من النفط والغاز. إضافة إلى ذلك، يحتل هذا البحر موقعاً استراتيجياً في جنوب شرق آسيا، يمتد من مضيق ملقا في الجنوب الغربي إلى مضيق تايوان في الشمال الشرقي، ما يجعله نقطة تقاطع رئيسية لطرق المواصلات الأكثر كثافة في العالم، كما وأن هذه الأهمية الجيوسياسية تتعزز بوجود دول كبرى تطل على هذا البحر، مثل الصين، فيتنام، الفلبين، وغيرها.

تبلغ مساحة بحر الصين الجنوبي حوالي 3.5 مليون كيلومتر مربع، وتتناثر فيه أكثر من 250 جزيرة، أبرزها أرخبيلات بارسيل وسبراتلي التي تحتل مكانة خاصة في التفكير الاستراتيجي منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، نظراً لقيمتها الاستراتيجية في السيطرة على حركة التجارة من وإلى الصين وشمال شرق آسيا. (الجزيرة، 2023)

فعلى الرغم من أن السيطرة على هذه الجزر في المستقبل القريب قد تبدو بعيدة المنال، إلا أن الدولة

التي تسيطر على أكبر عدد من هذه الجزر ستتمكن من بسط نفوذها على الموارد المحيطة بها، مثل الثروات البحرية والنفط والغاز الطبيعي.

وبالنظر إلى الأهمية البيولوجية والتجارية لبحر الصين الجنوبي، حيث يمر به أكثر من نصف أسطول ناقلات الطاقة العالمية وتجارة تقدر بحوالي 5 تريليونات دولار سنوياً، فإنه ليس من المستغرب أن يصبح هذا البحر أحد أهم بؤر التوتر في القرن الحادي والعشرين.

في هذا السياق، تنظر الصين إلى بحر الصين الجنوبي ليس فقط كمساحة استراتيجية لإقامة القواعد العسكرية والتسهيلات الدفاعية، بل كعنصر أساسي في تأمين اقتصادها المتنامي فهي تنقل عبر هذا البحر أكثر من 39% من تجارتها و80% من وارداتها النفطية، لهذا من الضروري لها تأمين مصالحها في مواجهة التفوق البحري الأمريكي في المنطقة، وتحويله إلى مجال حيوي لها، رغم التحديات التي تفرضها الولايات المتحدة وحلفاؤها. (الجزيرة، 2023)

تستند الرؤية الجيوسياسية الأمريكية، التي تتأثر بآراء مفكرين مثل **نيكولاس سبيكمان** (Nicholas J. Spykman)، على أهمية السيطرة على حواف أوراسيا، التي تشمل بحر الصين الجنوبي، كوسيلة للتحكم في مصير العالم، وبالتالي، يظل بحر الصين الجنوبي جزءاً لا يتجزأ من الاستراتيجية الجيوبوليتيكية للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين، إذ يمثل شرياناً حيوياً للأسطول الأمريكي السابع، ويربط بين المحيطين الهادي والهندي.

من هنا، تتبنى الولايات المتحدة شبكة واسعة من التحالفات الأمنية في المنطقة، وتسعى بشكل مستدام إلى منع الصين من تحويل هذا البحر إلى منطقة نفوذ حصرية، خاصة في ظل سعي الصين المستمر لبناء وتعزيز قدراتها الدفاعية.

في إطار استراتيجيتها، تسعى الولايات المتحدة إلى منع أي تحالفات إقليمية مناوئة لمصالحها، معتبرة أن تحالفاتها التقليدية، التي تأسست خلال الحرب الباردة واستمرت بعدها، تلعب دوراً حاسماً في تحقيق التوازن الإقليمي وردع الصين من التحول إلى قوة مهيمنة في المنطقة.

بالمقابل، ترفض الصين بشكل قاطع الوجود العسكري الأمريكي في بحر الصين الجنوبي، وتدعو إلى إلغاء التحالفات التي تعكر توازن القوى في المنطقة، وترى أن هذه التحالفات تضر بالسلام والاستقرار

الإقليميين، وتعتبر أن بحر الصين الجنوبي جزءٌ لا يتجزأ من سيادتها الوطنية.

منذ عام 1992، أصدرت الصين قانوناً يعتبر بحر الصين الجنوبي جزءاً من مياهها الداخلية، ويشمل القانون أحكاماً تجيز استخدام القوة العسكرية لحماية السيادة الصينية في هذه المنطقة، وقد زادت الصين من وتيرة استصلاح الأراضي في الجزر المتنازع عليها، ما أثار قلق الولايات المتحدة. وفي هذا السياق، عبر الرئيس الأمريكي الأسبق **باراك أوباما** عن قلقه من أن الصين تتجاوز القوانين والأعراف الدولية لاستعراض قوتها وإجبار الدول الأخرى على الرضوخ. (منصة ادراك للدراسات والاستشارات، 2016)

يتمحور الخلاف بين الولايات المتحدة والصين في بحر الصين الجنوبي حول أنشطة المراقبة الأمريكية في المنطقة الاقتصادية الخالصة، فترى الولايات المتحدة أن القانون الدولي يسمح بأنشطة عسكرية سلمية، وأن الجزر والمياه في بحر الصين الجنوبي مناطق متنازع عليها، وأن حرية الملاحة الدولية فيها مكفولة. وفي الوقت ذاته، ترفض الانحياز لأي طرف في النزاع، وتدعو إلى اللجوء للتحكيم الدولي بدلاً من القوة لحل هذه النزاعات، بينما تعتبر الصين هذه الأنشطة تهديداً مباشراً لأمنها. هذا الخلاف ظهر بوضوح في عدة مناسبات وتصادمات بين الطرفين.

مع تزايد القوة الاقتصادية والعسكرية للصين، تبددت صورة الصين كقوة غير مهددة لمصالح الولايات المتحدة، ما جعل واشنطن ترى أن الصين تسعى لتحل محلها كقوة مهيمنة في آسيا، وهذا يزيد من حدة التوتر بين البلدين.

شهد عام 2020 تصاعداً في التوترات عندما رفضت إدارة الرئيس السابق دونالد ترامب مطالب الصين في بحر الصين الجنوبي، مما أدى إلى تصعيد إضافي في العلاقات المتوترة بين البلدين، بالمقابل، قامت الصين بتعزيز وجودها العسكري في المنطقة، من خلال وضع صواريخ ومعدات عسكرية على الجزر التي استصلحتها، بهدف تأكيد هيمنتها على البحر وردع أي محاولات من دول أخرى لاستغلاله، هذه الديناميكية تجعل بحر الصين الجنوبي ساحة لصراع مستمر بين الولايات المتحدة والصين، حيث تسعى كل منهما إلى تأكيد سيطرتها في واحدة من أهم المناطق الجيوسياسية في العالم.

3.6. بؤرة تايوان

تعود المسألة التايوانية إلى أواخر القرن التاسع عشر عندما تنازلت الصين عن تايوان لليابان، ومع

نهاية الحرب العالمية الثانية، عادت تايوان إلى الصين، لكن بعد استيلاء الحزب الشيوعي على الحكم في الصين عام 1949، لجأ القادة غير الشيوعيين إلى تايوان وأسسوا حكومة الصين الوطنية، التي اعترفت بها الولايات المتحدة، رغم انتهاء الحرب الباردة، لا تزال القضية التايوانية تشكل عقبة في العلاقات الصينية-الأمريكية. (الجزيرة نت، 2022)

تتأثر القضية التايوانية بعدة عوامل، منها الاستراتيجية الأمريكية تجاه آسيا في القرن الـ21، حيث تعتبر تايوان محوراً للاستقرار النسبي في المنطقة، والموقع الجغرافي الهام لتايوان بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة. ومن المنظور الصيني، تعتبر تايوان جزءاً لا يتجزأ من أراضيها، وتستند في مطالبها إلى الحق التاريخي والتفسيرات القانونية.

تشكل قضية تايوان محوراً جوهرياً للأحداث في منطقة الشرق الأقصى نظراً لتعقيداتها الجيوسياسية والعسكرية والاقتصادية، خاصةً فيما يتعلق بالصين، التي تعتبر تايوان جزءاً تاريخياً وثقافياً من وطنها الأم والبر الرئيسي.

على الرغم من الاعتراف الدولي، بما في ذلك الولايات المتحدة، بمبدأ "الصين الواحدة" من الناحية النظرية، فإن تحقيق إعادة توحيد تايوان مع الصين ليس أمراً سهلاً. فعلى أرض الواقع، تقف الولايات المتحدة ودول أخرى، مثل اليابان وكوريا الجنوبية والفلبين، عائقاً أمام هذه العملية وتدعم بشكل أو بآخر استقلال تايوان.

مع بدء العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا في فبراير 2022، تزايدت التكهنات حول إمكانية قيام الصين بعمل مماثل في شرق آسيا، تجاه تايوان، هذا التوتر المتصاعد بين الصين والولايات المتحدة يعكس بيئة دولية مضطربة تشهد تزايداً في عدم الاستقرار.

إن تايوان، التي تقع في غرب المحيط الهادئ بين اليابان والفلبين، تعدّ جزيرة ذات أهمية كبيرة على الصعيدين الجيوسياسي والاقتصادي. تبلغ مساحتها 36,197 كم² ويقطنها 23.5 مليون نسمة وفقاً لإحصاءات يونيو 2021. عاصمتها تايبيه، وتقع على بعد حوالي 180 كم من الساحل الجنوبي الشرقي للصين، تشكل مجموعة عرقية الهان أكثر من 95% من سكانها، وتتميز بنظام حكم ديمقراطي متعدد الأحزاب وتدير شؤون دفاعها وفقاً لدستورها، ويمثل مضيق تايوان، الذي يبلغ طوله نحو 180 كم، جزءاً استراتيجياً من بحر الصين الجنوبي ويتصل ببحر الصين الشرقي، ولطالما كان هذا المضيق بؤرة للتوتر

والصراعات المسلحة بين جمهورية الصين الشعبية (البر الرئيسي) وتايوان منذ نهاية الحرب الأهلية الصينية عام 1949. (الجزيرة نت، 2022)

تحظى تايوان بمكانة بارزة في الاقتصاد العالمي، إذ تُصنّف ضمن الدول المتقدمة في صناعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتعدّ مورداً رئيسياً للبضائع الصناعية. في عام 2021، كانت تايوان في المرتبة 22 عالمياً بين أكبر الدول المصدرة، وبلغ احتياطها من النقد الأجنبي 561 مليار دولار، كما سجل الناتج المحلي الإجمالي للفرد 28,371 دولاراً، وبلغ إجمالي حجم التجارة التايوانية 631 مليار دولار، حيث مثلت الصادرات 345.2 مليار دولار. (العربية نت، 2023)

تحتفظ تايوان بعلاقات تجارية قوية مع عدة دول، أبرزها الصين (28%)، ورابطة دول جنوب شرق آسيا (15.4%)، والولايات المتحدة (14.7%)، واليابان (6.5%)، والاتحاد الأوروبي(6.6%) ، وهونغ كونغ 14.1%، وتهتم تايوان بعدة صناعات استراتيجية حيوية، تشمل تكنولوجيا المعلومات، والأمن السيبراني، والدفاع الوطني، والتكنولوجيا الحيوية والطبية، والطاقة الخضراء والمتجددة، مما دعاها لتقديم طلب الانضمام إلى "الاتفاق الشامل والتقدمي للشراكة العابرة للمحيط الهادئ" التجاري، الذي يشمل 11 دولة من آسيا والمحيط الهادئ ويمثل نحو 13.5% من الاقتصاد العالمي. (العربية نت، 2022)

تحتل تايوان أهمية كبيرة في الحسابات الاستراتيجية لكل من الصين والولايات المتحدة. بالنسبة للصين، تايوان قضية مركزية، حيث تعتبرها جزءاً من أراضيها القومية المقتطعة، وتعدّ استعادتها أمراً غير قابل للنقاش، كما وترى الصين أن استمرار انفصال تايوان يشكل تهديداً لسيادتها وهيبتها الوطنية، وأن عودتها تحت سيادتها يضمن لها تعزيز نفوذها الإقليمي والعالمي، وما يثير قلق بكين هو اعتبار تايوان قاعدة استراتيجية حيوية للولايات المتحدة وحلفائها.

أما بالنسبة للولايات المتحدة، فإن تايوان تشكل جزءاً مهماً من استراتيجيتها في منطقة شرق آسيا، حيث ترى واشنطن أن ضم الصين لتايوان سيتيح لها بسط نفوذها العسكري في غرب المحيط الهادئ، مما يشكل تهديداً لقواعدها العسكرية ويؤثر على التوازن الإقليمي.

تعتمد السياسة الأمريكية تجاه تايوان على "الغموض الاستراتيجي"، حيث تعترف بمبدأ "صين واحدة" لكنها ترفض استعادة تايوان بالقوة المسلحة، فتقدم الولايات المتحدة دعماً عسكرياً كبيراً لتايوان،

وتؤكد على حرية الملاحة في بحر الصين الشرقي كجزء من التزامها بالحفاظ على النظام الدولي القائم.

بالتالي، تُعد تايوان نقطة اشتعال محتملة في الصراع بين الصين والولايات المتحدة، حيث يمكن أن يؤدي التوتر حولها إلى تصعيد عنيف في العلاقات بين القوتين العظيمتين.

رغم أن الولايات المتحدة والصين، كقوتين نوويتين واقتصاديتين رائدتين عالمياً، تخوضان حرباً باردة عبر ملفات متعددة، إلا أن قضية تايوان تبقى الأكثر احتمالاً لإشعال مواجهة مسلحة بينهما، فقد تصاعد التوترات مؤخراً، مع تكثيف الصين لتحركاتها العسكرية حول تايوان، خاصة من خلال توغلات جوية لمقاتلاتها، ما قد يؤدي إلى تحوّل الصراع البارد إلى حرب شاملة.

هذه الخطوات الاستفزازية دفعت الولايات المتحدة للإعلان عن استعدادها للدفاع عن تايوان إذا هاجمتها الصين، مما يعكس تحولاً جذرياً في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه هذه القضية. (نصر، 2022)

7.سيناريوهات مستقبل العلاقة الأمريكية- الصينية

يُعزى التوتر السائد في العلاقات الأمريكية-الصينية بشكل رئيسي إلى القلق الذي يساور واشنطن من النمو الاقتصادي المتسارع للصين وتنامي قوتها السياسية المترتب عليه، ولذلك هناك هاجس عميق في دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة مفاده أن الصين تشكل العملاق الجديد الذي يقترب من انتزاع القيادة الاقتصادية والسياسية العالمية من الولايات المتحدة، وهو ما يثير مخاوف من أن تترقب الصين اللحظة المناسبة للانقضاض على هذه القيادة.

بالتالي، أصبح من الثوابت الأساسية في السياسة الأمريكية السعي لتحجيم الصين وكبح طموحاتها المتنامية، يشمل هذا السعي انتهاج استراتيجيات متعددة تتراوح بين التنافس والاحتواء، ولكن أيضاً تقديم فرص للتعاون وفقاً لسياسات محددة.

1.7.فرصة السلام العالمي واستقرار العلاقات الدولية

شهدت الصين في السنوات الأخيرة قفزات ملحوظة في مختلف المجالات، ما يعكس صعودها السريع كمُقدِّم رئيسي للقوة العالمية، ويمكن تلخيص مؤشرات هذا الصعود كما يلي:

- ✓ **النمو الاقتصادي:** احتلت الصين الصدارة عالمياً في معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي، حيث تراوح هذا المعدل بين 6.11% و11% سنوياً من عام 2004 حتى 2019، وصولاً إلى 5% في النصف الأول من 2024. (وهبي، 2024)
- ✓ **القوة الاقتصادية:** أصبحت الصين ثاني أكبر قوة اقتصادية بعد الولايات المتحدة، حيث بلغ ناتجها المحلي الإجمالي حوالي 8.65 تريليون دولار في النصف الأول من 2024، كما تمتلك الصين قوة بشرية هائلة تجعلها أكبر سوق عالمي من حيث الاستهلاك والإنفاق على السياحة. (وهبي، 2024)
- ✓ **الاحتياطي النقدي:** تحتل الصين المرتبة الأولى عالمياً من حيث الاحتياطي النقدي الأجنبي الذي بلغ 3.22 تريليون دولار في 2024. (الناصر، 2024)
- ✓ **القدرات السياسية والعسكرية:** الصين من الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، مما يتيح لها تأثيراً كبيراً في الشؤون العالمية، ولديها قوة عسكرية متنامية تتماشى مع قوتها الاقتصادية المتزايدة.

تترتب على هذه القدرات المتنامية مخاوف من أن تكون الصين قوة مهيمنة كامنة قد تؤثر بشكل كبير على استقرار السلم العالمي، خصوصاً في منطقة المحيط الهادئ حيث يظهر التنافس الأمريكي-الصيني بوضوح.

رغم القلق الأمريكي من الصعود الصيني، هناك اتجاه في السياسة الخارجية الأمريكية يدعو إلى اعتماد سياسات معتدلة لتشجيع اندماج الصين التدريجي في النظام الدولي، حيث يدعو أنصار هذا الاتجاه إلى:

- ✓ **تشجيع السياسات الإيجابية:** دفع الصين نحو تبني سياسات تعزز الأمن والاستقرار العالمي، مثل وقف بيع التكنولوجيا والأسلحة المتطورة إلى دول معارضة للسياسة الأمريكية مثل إيران وكوريا الشمالية.
- ✓ **السياسة الإقليمية:** تحفيز الصين لتبني سياسة إقليمية معتدلة والحد من طموحاتها في فرض الهيمنة على شرق آسيا والمحيط الهادئ.
- ✓ **الاندماج الاقتصادي:** تشجيع الصين للانضمام للنظام الاقتصادي العالمي وتحقيق تحولات

سياسية باتجاه الليبرالية.

منذ نهاية الحرب الباردة، ساد منطق الليبرالية في السياسة الأمريكية، الذي افترض أن نشر الديمقراطية وتعزيز الاقتصاد الدولي المفتوح وتقوية المؤسسات الدولية ستؤدي إلى زيادة السلام والازدهار العالميين. في هذا الإطار، اعتمدت واشنطن سياسة دمج الصين في الاقتصاد العالمي على أمل أن تصبح دولة ديمقراطية تحترم الحقوق العالمية وتكون فاعلاً مسؤولاً.

خلال إدارة الرئيس **أوباما**، استمر العمل بسياسة "الاندماج ولكن مع التحوط"، حيث أقامتا وزارتا الخارجية والخزانة الأمريكية علاقات تعاونية مع الصين، رغم الانتقادات التي أحيانا توجّه للصين بسبب ممارساتها التجارية والمالية.

من جهة أخرى، تحرص وزارة الدفاع وأجهزة الاستخبارات للحفاظ على التفوق العسكري وتعزيز الروابط الدفاعية مع الحلفاء لمواجهة التهديد المحتمل من الصين، هذا المنطق لم يقتصر على الإدارات الأمريكية فقط، بل دعمه رجال أعمال، ووسائل إعلام، وشخصيات أكاديمية مرموقة مثل **زبيغنيو بريجينسكي وهنري كيسنجر**، الذين رأوا في دمج الصين فرصة لتقليل خطر الصراع.

تتعدد الرؤى حول ما إذا كان صعود الصين سيؤدي إلى مواجهة مسلحة مع الولايات المتحدة، وتختلف هذه الرؤى في تقييم التهديدات التي قد تطرأ، فتقدم الواقعية الدفاعية رؤية أكثر تفاؤلاً، حيث ترى أن النظام الدولي الفوضوي يخلق ظروفاً تدفع الدول لزيادة قوتها كي تكفل ضمان بقائها، لكن ذلك يزيد من قلق الدول المجاورة، بما في ذلك حلفاء الولايات المتحدة، الذين سيسعون للتوازن ضد الصين، مع استعداد واشنطن إلى تعزيز هذه التحالفات والدخول كطرف فيها لموازنة قوة الصين، مما يقلل من احتمالات الصراع الشديد.

كما تعتبر الأسلحة النووية عاملاً مهماً في هذا السياق، حيث تجعل من الصعب على أي قوة عظمى توسيع نفوذها عندما تواجه دولاً نووية أخرى، لهذا من المرجح أن تشكل الدول النووية نواة لتحالف توازني، ما يدفع الصين إلى التصرف بحذر لتجنب صراع قد يصل إلى مستوى نووي.

إلى جانب ذلك، فإن نفوذ الصين ينمو بسرعة دون الحاجة إلى الغزو العسكري، وهو ما يثبت أن الغزو ليس ضرورياً لزيادة الثروة، فالتجارب السابقة في أفغانستان والعراق تشير إلى أن تكلفة الغزو في

عصر القومية تتجاوز فوائده المحتملة.

بهذا يمكن أن يؤدي صعود الصين إلى تشكيل بنية دولية ثنائية مسالمة نسبياً، تشبه ما شهدته فترة الحرب الباردة من حيث عدم وقوع حروب مباشرة بين القوى الكبرى، وهنا يبرز دور العولمة والاعتماد المتبادل اللذان يقدمان سياقاً يدعو إلى التعاون بدلاً من الصراع، ما يجعل سيناريو السلام والاستقرار هو الأكثر ترجيحاً، مع تقييد التصعيد المحتمل من كلا الطرفين.

2.7. الاتجاه نحو الصراع العالمي واختلال العلاقات الدولية

على النقيض من التصورات التي تستبعد تصاعد التوتر بين الولايات المتحدة والصين وتحذر من التهديد المحتمل للسلم العالمي، يظهر اتجاه يتنبأ باندلاع حرب باردة جديدة قد تتصاعد إلى صراع ساخن وصدام مباشر بين القوتين، مما قد يؤدي إلى اضطراب شديد في العلاقات الدولية.

في هذا السياق، يقدم المفكر الواقعي **جون ميرشايمر**، الذي يُعد من أبرز منظري الواقعية الهجومية، حججاً قوية تدعم فرضية انزلاق العالم نحو حرب باردة ثانية بين الولايات المتحدة والصين، وهي حرب قد تكون أكثر خطورة من تلك التي نشبت بعد الحرب العالمية الثانية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي السابق، فيشير **ميرشايمر** إلى أن هذا الصراع قد يتطور إلى حرب ساخنة بسبب الضغوط البنيوية التي تفرضها بنية النظام الدولي على سياسات القوى العظمى.

يعتقد **ميرشايمر** أن احتمال وقوع الحرب سيزداد مع استمرار الصين في نموها الاقتصادي، إذ من المتوقع أن تسعى الصين إلى استغلال مكاسبها الاقتصادية والتكنولوجية لبناء قوة عسكرية قادرة على تحدي الهيمنة الأمريكية، وبالتالي ستسعى الصين، كما تفعل القوى العظمى عادةً، إلى هيمنة إقليمية في منطقة الشرق الأقصى، مما سيؤدي إلى طرد أي قوة خارجية تسعى للهيمنة على تلك المنطقة، وإذا نجحت الصين في تحقيق هذه الهيمنة الإقليمية، فإنها سوف تسعى إلى مضايقة الولايات المتحدة في محيطها الإقليمي، مما يهدد الهيمنة الأمريكية في جوارها القريب.

توضح الواقعية الهجومية أن القوى الكبرى غالباً ما تسعى إلى الهيمنة الإقليمية بدلاً من العالمية، ليس لأن الهيمنة العالمية غير مرغوب فيها، ولكن لأنها تتطلب تفوقاً عسكرياً هائلاً، وهو ما يعتبره كثيرون غير عملي في ظل المسافات الواسعة بين القارات. لذا، تسعى القوى المهيمنة إقليمياً للحفاظ على التوازن في

مناطقها المحيطة ومنع ظهور قوى مهيمنة جديدة قد تهدد أمنها.

في المقابل، تتحدى الواقعية الهجومية النظريات التي تدعو إلى الاندماج الاقتصادي بين القوى العظمى، والتي ترى أن المصالح المشتركة تفوق أسباب التنافس.

هنا يرى **ميرشايمر** أن هذه الدعوات ليست ذات جدوى، وأن التنافس بين الولايات المتحدة والصين مرشح للتحول إلى حرب باردة ثانية، تتفوق فيها الصين على الاتحاد السوفييتي من حيث القوة الاقتصادية والبشرية، إذ أن الصين اليوم تتفوق على الاتحاد السوفييتي في ذروته من حيث عدد السكان والثروة الاقتصادية، مما يعزز قدرتها على بناء جيش قوي يتجاوز قوة الجيش الأمريكي.

من حيث التاريخ العسكري، فإن الاختلافات بين الحرب الباردة الأولى والثانية واضحة، ففي ذروة الحرب الباردة الأولى، كان الاتحاد السوفييتي يتعافى من الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية، بينما الصين لم تشهد حرباً كبرى منذ حرب فيتنام في 1979.

كما أن الجغرافيا تلعب دوراً مهماً في تحديد إمكانية التصعيد، حيث كانت الحرب الباردة الأولى محصورة في أوروبا، بينما آسيا تفتقر إلى خطوط فاصلة واضحة، ما يجعل النزاعات المحتملة أكثر عرضة للتحول إلى صراعات ساخنة.

تتعزز هذه الفرضية في ظل التحولات الحالية في السياسة الدولية، مثل تشكيل تحالف **الأوكوس** (AUKUS)الذي نشأ بعد الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، ويجمع بين الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا، ويهدف إلى استعداد الولايات المتحدة لمواجهة الصعود الصيني من خلال تعزيز التعاون العسكري والتكنولوجي مع حلفائها، ما يؤدي لزيادة التوترات في منطقة المحيط الهادئ، وتهديد السلم والاستقرار الدوليين.

8.الخاتمة

في ختام مقالته الشهيرة "المحور الجغرافي للتاريخ"، أشار الجيوبوليتيكي البريطاني **هالفورد ماكيندر** إلى ملاحظة جوهرية حول الصين، فبعد تأكيده على أن الجزء الداخلي من أوراسيا يمثل مركز القوة الجيواستراتيجية للعالم، افترض **ماكيندر** أن الصين قد تشكل ما أسماه "الخطر الأصفر" على الغرب،

واعتبر أن الصين قد تضيف واجهة محيطية إلى موارد القارة العظيمة، وهو ما كانت روسيا، التي تسيطر على المنطقة المحورية في أوراسيا، تفتقر إليه.

فبينما تمثل روسيا قوة برية، مع واجهتها المحيطية المسدودة بالجليد في القطب الشمالي، تأتي الصين كقوة قارية تمتد إلى القلب الاستراتيجي للاتحاد السوفييتي السابق في آسيا الوسطى، إضافة إلى الممرات البحرية الرئيسية في المحيط الهادئ.

ويبدو أن التحذيرات التي أطلقها **ماكيندر** قبل أكثر من مئة عام قد تجسدت اليوم في ظل الصعود الاقتصادي والعسكري للصين، فقد هيأ الواقع الجغرافي للصين أن تكون لاعباً رئيسياً في العلاقات الدولية، ما يثير تساؤلات حول ما إذا كان صعودها سيكون سلمياً أم لا، خاصة في ظل القلق المتزايد من قبل الولايات المتحدة.

التطورات التي شهدتها السياسة الدولية منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، أبرزها انهيار الاتحاد السوفييتي، أدت إلى تغيرات كبيرة في بنية النظام الدولي إثر انهيار النظام الثنائي القطبية وبروز الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة دون منافس موازن.

هذا الوضع بدأ بالتغير بعد الأزمة المالية العالمية عام 2008، حيث بدأت الأحادية القطبية بالتصدع، وبرزت قوى صاعدة تهدد الدور القيادي للولايات المتحدة في النظام الدولي، تعد الصين من أبرز هذه القوى بفضل قدراتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية المتنامية.

مع بداية القرن الحادي والعشرين، نجحت الصين في تعزيز حضورها بشكل ملحوظ في شرق آسيا، مستفيدة من قدراتها الاقتصادية والعسكرية لتحقيق أهدافها، وأصبح ميزان القوى الإقليمي يميل بشكل كبير لصالح الصين، مما أثار قلق دول المنطقة، خاصة تلك المحاذية لبحر الصين الجنوبي، وفي هذا السياق، بدأت الولايات المتحدة نسج شبكة من التحالفات مع دول آسيوية قوية لتعزيز توازن القوى في شرق آسيا ومنطقة المحيط الهادئ.

تتسم العلاقات الأمريكية-الصينية بطبيعة مزدوجة، حيث تتداخل المصالح التجارية والاقتصادية والسياسية بشكل كبير، مما يفرض ضرورة التعاون بين الطرفين، لكن هذا التعاون لا يخفي التوترات القائمة حول قضايا مثل حقوق الإنسان، النزاع التجاري، الموقف من الأزمة السورية، والملف النووي

الإيراني، بالإضافة إلى التنافس الجيوسياسي في منطقة المحيط الهادئ.

في ختام الدراسة، يمكن أن نستخلص بعض النتائج الرئيسية:

- ✓ بالرغم من الهيمنة الأمريكية، فإن فرص الصين في تحسين مكانتها الدولية واضحة، خاصة في ظل نجاحاتها الاقتصادية التي عززت قدراتها العسكرية والتكنولوجية، ما قد يؤدي إلى نشوء نظام عالمي متعدد الأقطاب.
- ✓ تعدّ منطقة المحيط الهادئ، بما تحتويه من بؤر توتر جيوسياسية، المنطقة الأهم التي تشهد تنافساً أمريكياً-صينياً، وقد تحدد ملامح النظام الدولي الجديد.
- ✓ يتنامى داخل الولايات المتحدة، اتجاه واقعي هجومي ينتقد النهج الليبرالي تجاه الصين، حيث يدعو إلى احتواء الصين ويعتبر العلاقات الأمريكية-الصينية في حالة حرب باردة قد تكون أكثر خطورة من سابقتها.
- ✓ إذا ما قورن سلوك الصين بسلوك الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، فإن الصين قد تسعى إلى تحقيق هيمنة إقليمية قبل فرض نفوذها العالمي.
- ✓ يتعزز المنطق الواقعي الهجومي، في ظل التغيرات التي تحدث على أرض الواقع من خلال التحالفات الأمنية والعسكرية التي تقيمها الولايات المتحدة، مثل تحالف "**أوكوس**"، لمواجهة صعود الصين.
- ✓ على الرغم من صعوبة التنبؤ بمستقبل التنافس الأمريكي-الصيني، يبدو أن هناك حرباً باردة جديدة تلوح في الأفق، وأن العلاقات بين الولايات المتحدة والصين باتت محكومة بجدلية القوة المهيمنة والقوة الصاعدة أكثر من أي وقتٍ مضى. بذلك، يتضح أن المستقبل يحمل في طياته تفاعلات معقدة بين القوتين العظيمتين، مما يقتضي متابعة دقيقة ودراسات مستمرة لفهم ديناميات هذا الصراع المتنامي.

9. قائمة المراجع

1.9. المراجع باللغة العربية

- BBC NEWS عربي، الحرب التجارية الصينية الأمريكية: الصين تعتزم زيادة الرسوم الجمركية على بضائع أمريكية، 2019، الموقع على الإنترنت: https://www.bbc.com/arabic/business-49445568 .

- RT العربية، كلينتون تعتبر القرن 21 قرن المحيط الهادي بالنسبة لواشنطن، تاريخ النشر 11-11-2011، الموقع على الإنترنت : https://linksshortcut.com/yYBPK .
- إذاعة الحرة، "نقطة اشتعال محتملة لحرب عالمية".. ماذا يجري في بحر الصين الجنوبي، واشنطن، 2024، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/DDfuZ .
- إسلام حسين، حسن وهبي، 5% معدل نمو إجمالي الناتج المحلي للصين في النصف الأول من 2024، وكالة أنباء الإمارات "وام"، أبو ظبي، 2024، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/uciQe .
- بسام عبد السميع، زكريا محي الدين، فراس الناصر، 3.22 تريليون دولار احتياطيات الصين من النقد الأجنبي بنهاية يونيو، وكالة أنباء الإمارات- وام، أبو ظبي، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/vrqxr .
- تامر محمد سامي عبد اللطيف، الاستراتيجية الأمريكية تجاه طموحات الصعود الصيني، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، المجلد9، العدد18، جامعة الإسكندرية، مصر، 2024.
- تيموثي آر هيث، كريستين غانيس، كورتيز إي كوبر، إعادة تطوير الصين وجيش التحرير الشعبي: الاستراتيجية العسكرية واستراتيجية الأمن القومي ومفاهيم الردع والقدرات القتالية، مركز راند للأبحاث، 2016، الموقع على الإنترنت: https://2u.pw/T7Nmz
- الجزيرة من، بحر جنوب الصين.. يمر عبره ثلث الشحن البحري في العالم وتتنازع على سيادته 6 دول، 2023، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/PDwco .
- الجزيرة نت، تايوان.. بؤرة التوتر بين الصين ومحيطها، تاريخ النشر 2022، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/gxZGt .
- الجزيرة، تايوان.. بؤرة التوتر بين الصين ومحيطها، 2022، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/gxZGt .
- الجزيرة، كل ما تحتاج معرفته عن اتفاق التجارة الأمريكي الصيني.. من انتصر في الحرب؟، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/MgzkL .
- حكمات العبد الرحمن، الصعود السلمي للصين، مجلة سياسات عربية، العدد14، الدوحة، 2015. الموقع على الإنترنت: https://2u.pw/c605EF3A
- حميداني يوسف، القواعد العسكرية وأثرها على العلاقات الدولية، مجلة الدراسات السياسية، المجلد18، العدد الرابع، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 2016.
- دلال العكيلي، حرب الملكية الفكرية، مركز النبأ الوثائقي، بغداد، 2018، الرابط الإلكتروني: https://annabaa.org/arabic/economicreports/15291
- رحاب وائل السيد، نظرية النظم لـ ديفيد إيستون (وحالة تطبيقه "الواقع الإفريقي")، المركز الديموقراطي العربي، برلين، 2021، الموقع على الإنترنت: https://democraticac.de/?p=76543
- روبرت سكيدلسكي، العولمة تخوض معاركها الأخيرة، صحيفة نداء الوطن، العدد 1323، بيروت، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/nCwBz .

- روسيا اليوم، الصين تطور غواصات نووية جديدة، 2024، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/GyIvA
- زينب حسن عبد أسود، التوسع الأمريكي في القارة اللاتينية وفق مبدأ مونرو وسياسة العصا الغليظة وسياسة دبلوماسية الدولار (1833-1913)، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة بابل، المجلد 27، العدد الرابع، 2020، الموقع على الإنترنت: https://2u.pw/5MTX5E1E
- سمية نصر، الصين وتايوان: هل يتخلى جو بايدن عن سياسة "الغموض الاستراتيجي" التي تتبناها واشنطن؟، BBC عربي، لندن، 2022، الموقع على الإنترنت: https://2u.pw/r6a1U6Po
- شادي عبد الحافظ، التنين في المحيط.. لماذا تخشى أميركا من البحرية الصينية؟، الجزيرة، 2022، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/Oopyz .
- ضياء نوح، الردع المتبادل.. لماذا تتصارع القوى الكبرى على بحر الصين الجنوبي؟، القاهرة الإخبارية، مصر، 2023، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/dgoMl .
- عبد القادر دندن، التحول في تشكيل التوازنات الاستراتيجية: آسيا الباسيفيك إلى الهندو- باسيفيك، مجلة السياسة الدولية، العدد222، المجلد 55، القاهرة، 2020، الموقع على الإنترنت: https://2u.pw/fdgZc1b3
- العربية نت، أكثر 10 دول امتلاكاً لاحتياطي النقد الأجنبي.. بينها بلد عربي واحد، دبي، 2023، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/HKkAy .
- العربية نت، ما هي الأهمية الاقتصادية لـ تايوان، دبي، 2022، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/lvCJr
- العربية، أمريكا ترفع الرسوم الجمركية على منتجات صينية بقيمة 18 مليار دولار، نشرت بتاريخ 14 أيار 2024، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/FxpWJ .
- علاء عبد الحفيظ محمد، تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في إطار نظرية تحول القوة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2015، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/azEoY .
- فيصل براء متين المرعشلي، النظام الدولي، الموسوعة السياسية، بدون مكان للنشر، 2016، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/EBdCR
- كاثرين أرمسترونغ، BBC NEWS عربي، المحادثات الأمريكية الصينية "خطوة الى الأمام" رغم وجود "خلافات كبيرة"، 2023، الموقع على الإنترنت: https://www.bbc.com/arabic/articles/cg6eyp6xnkno .
- للاطلاع على الرابط التالي: https://2u.pw/zX49byuu
- مآلات دولية، تحالف "أوكوس" الصراع الصيني الأمريكي يدخل مرحلة جديدة، العدد 24، 2021، الموقع على الإنترنت: https://linksshortcut.com/eThjn .
- محمد عبد السلام، علم الجيوبوليتيكا: علم هندسة السياسة الخارجية للدول، رقم الإيداع بدار الكتب 2019/13446، الترقيم الدولي 978/977-90-6442-0، بدون دار للنشر، بدون مكان للنشر، 2019، الموقع على الإنترنت: https://booksjadid.top/?embed=MTgwNzE= .

- محمد فايز فرحات، "الإندو-باسيفيك" بوصفه مسرحاً جديداً للسياسات الدولية وتأثيره في منطقة الخليج العربي، مركز الإمارات للسياسات، أبو ظبي، 2020، الموقع على الإنترنت: https://2u.pw/C5GJHA8m .
- معهد البحرين للتنمية السياسية، ما هو النظام الدولي؟، 2012، الموقع على الإنترنت: https://www.bipd.org/publications/Articles/1106153.aspx
- منصة إدراك للدراسات والاستشارات، عقيدة أوباما: الترجمة الكاملة لمقابلة رئيس الولايات المتحدة مع "أتلانتيك"، 2016، الموقع على الإنترنت: https://idraksy.net/the-obama-doctrine/ .
- مؤسسة هنداوي، قلب القارة والجزيرة العالمية: السير هالفورد ماكندر ج1 (كتب غيرت العالم)، القاهرة، بدون تاريخ النشر، الموقع على الإنترنت: https://www.hindawi.org/books/58379627/9/ .
- نبيل جورج دحدح، تداعيات الأزمة المالية العالمية على أوضاع المالية العامة في الدول العربية المصدرة للنفط والغاز الطبيعي، دراسة قدمت لندوة "الأزمة المالية العالمية وانعكاساتها على قطاع النفط والغاز الطبيعي في الدول العربية" التي نظمتها (أوبك) في دمشق، صندوق النقد العربي، أبوظبي، 2010.
- نسيبة أشرف، الحرب التجارية الأمريكية – الصينية والتنافس على الهيمنة التجارية، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، مجلة قضايا ونظرات، العدد الثلاثون، 2023، الرابط الإلكتروني: https://linksshortcut.com/tWMNL .

2.9. المراجع الأجنبية

- “Confluence of the Two Seas", Speech by H. E. Mr. Shinzo Abe, Prime Minister of Japan at the Parliament of the Republic of India, New Delhi, August 22, 2007. Available at: https://www.mofa.go.jp/region/asia-paci/pmv0708/speech-2.html
- Fareed Zakaria, The Post - American World, W.W. Norton & Company ,New York, First Edition 2008,.
- Henry Kissinger, On China, The Penguin Press, New York, 2011.
- KEYNOTE ADDRESS OF SHRI NARENDRA MODI, PRIME MINISTER OF INDIA, AT THE 17th ASIA SECURITY SUMMIT: THE IISS SHANGRI-LA DIALOGUE, 1st JUNE 2018. Available at: https://2u.pw/7a4AwZLN
- Vignesh Ram, “The Proposal for an Indo-Pacific Treaty of Friendship and cooperation: A Critical Reassessment”, Journal of ASEAN Studies, Vol. 3, no. 1, 2015. Available at: https://2u.pw/Mp6D9Eks

التنافس الأمريكي- الصيني- الروسي في آسيا الوسطى

(دراسة جيوسياسية)

American-Chinese-Russian rivalry in Central Asia

(Geopolitical study)

أ.م.د. فاضل عبدعلي حسن*

رئيس قسم الدراسات الاستراتيجية، جامعة ذي قار، العراق

Fadhelabd2014@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/09/07 تاريخ النشر: 2022/10/31

****

ملخص الدراسة

بعد التحولات الجيوسياسية التي شهدها النظام الدولي ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، والانتقال من النظام الدولي ثنائي القطب إلى أحادي القطب، وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم والهيمنة في العلاقات الدولية، الأمر الذي حدا بهذه الأخيرة وغيرها من الدول الكبرى كالصين وروسيا للسعي عن مناطق ذات تأثير استراتيجي لتوسيع مناطق نفوذها من خلال فرض الهيمنة والسيطرة عليها، وهذا ما يمكن توصيفه من خلال التنافس بين هذه القوة في منطقة آسيا الوسطى، فالولايات المتحدة تعتقد بأنها القوى الأكبر في العالم ولا بد من فرض وجودها هناك، وروسيا ترى في منطقة آسيا الوسطى امتداد لأمنها القومي ومنطقة نفوذ استراتيجية تابعة لها، ولا بد من الحفاظ عليها، أما الصين فهي تنظر للمنطقة باعتبارها من أهم المناطق استراتيجياً واقتصادياً في العالم، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تفرط بها لتتفرد بها الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا هو جزء من التنافس الدولي بينهما.

* أ.م.د. فاضل عبدعلي حسن

الكلمات المفتاحية

التنافس؛ الولايات المتحدة الأمريكية؛ روسيا؛ الصين؛ جيوسياسية.

Abstract

After the geopolitical transformations that followed the dissolution of the Soviet Union, and the transition from a bipolar international system to a unipolar one, the United States emerged as the sole superpower, leading the world and dominating international relations. This situation prompted the U.S. and other major powers like China and Russia to seek strategically significant regions to expand their influence by imposing dominance and control. This can be illustrated through the competition between these powers in Central Asia. The United States believes it is the largest power in the world and must assert its presence there, while Russia views Central Asia as an extension of its national security and a strategically vital area that must be preserved. China sees the region as one of the most important areas strategically and economically in the world, and it cannot afford to let the U.S. dominate it. This reflects part of the international competition between them.

Keywords

competition; United States; Russia; China; geopolitics.

1. مقدمة

انتج تفكك الاتحاد السوفيتي فراغاً سياسياً وأمنياً كبيراً ومهماً في منطقة آسيا الوسطى وجمهورياتها، لأن تلك الجمهوريات المستقلة لم تستطع تأسيس دول آمنة وقادرة في الدفاع عن نفسها وسيادتها، الأمر الذي جعل تلك المنطقة مسرحاً كبيراً للتنافس والصراع الاقليمي والدولي كون تلك المنطقة تتمتع بموقع استراتيجي متميز بالإضافة الى امتلاك جمهورياتها النفط والغاز فضلاً عن الموارد الطبيعية الأخرى، فكان التنافس والصراع حول مسألة السيطرة على انتاج النفط والغاز والسيطرة على مخرجاته في المنطقة بالإضافة الى السيطرة على خطوط الأنابيب الناقلة لمادة النفط الى الأسواق العالمية، فان

استراتيجيات التنافس الاقليمي والدولي متغيرة حسب رؤية تلك الدول ومصالحها، إلا أن هذا التنافس لم يكن مؤثراً على المنطقة حسب الدراسات بل كانت مخرجات التنافس تشكل عاملاً ايجابياً مهماً حيال المنطقة كونه كان ذا فائدة كبيرة اقتصادياً للمنطقة، وهذا ما سنوضحه من خلال هذه الدراسة، التي ستتكون من ثلاثة مباحث.

- **أهمية الدراسة**

تكمن أهمية هذه الدراسة بأن منطقة آسيا الوسطى تعد ممن بين أهم المناطق الاستراتيجية في العالم والأكثر تواجداً للطاقة المتمثلة بالنفط والغاز، ما يجعل البحث والدراسة لهذه المنطقة أكثر أهمية بسبب التنافس الاقليمي والدولي هناك، بالإضافة الى أن هذه المنطقة تمثل منطقة قلب العالم ومن يسيطر عليها يسيطر على العالم حسب تعبير (ماكندر).

- **الاشكالية والتساؤلات**

بما أن منطقة آسيا الوسطى تمثل البعد الاستراتيجي للدول المتنافسة فيها فان تلك الدول المتنافسة تنفذ استراتيجياتها بدقة متناهية بما يتلاءم مع مصالحها، ولكن هنالك تساؤلات حيال ما يجري في تلك المنطقة من صراعات دولية وتنافس محموم.

- ✓ هل تتعاطى جمهوريات المنطقة مع هذا التنافس الدولي بشكل يتناسب ومصلحتها أم أنها تنظر الى هذا التنافس بأنه يؤثر على استقلالها؟
- ✓ ما مدى قدرة الولايات المتحدة الأمريكية في فرض استراتيجيتها في المنطقة أزاء الاستراتيجيات الأخرى سيما أن روسيا والصين وعدد من دول المنطقة قد انظموا الى منظمة شنغهاي للتعاون؟
- ✓ إلى أي مدى تكمن الأهمية الاستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى كي تكون مكاناً للتنافس والصراع الدولي وفرض الاستراتيجيات؟

- **الفرضية**

ومن خلال هذه الاشكالية وهذه التساؤلات في موضوع الدراسة من الممكن الإجابة عليها عبر هذه الفرضية، فان منطقة آسيا الوسطى تعد مكاناً بارزاً ومهماً ومؤثراً استراتيجياً واقتصادياً وسياسياً وأمنياً

لذا لا يمكن التفريط به من قبل الأطراف المتصارعة والمتنافسة هناك، وأن فرض الاستراتيجيات لا يمكن أن يكون حاضراً بسبب عدم مقدرة جميع الأطراف المتنافسة على فرض استراتيجية معينة، من هنا فان التوازن الدولي بات متفاوتاً في المنطقة ولم يكن ثابتاً، لذا من الممكن أن يتغير في حال تغير الظروف الدولية والعطيات الحالية.

2. الأهمية الاستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى وقدراتها الاقتصادية

تعد منطقة آسيا الوسطى وموقعها الجيوسياسي من بين أهم المناطق في العالم كمكان للتنافس الدولي ما بين الدول الكبرى، فباتت المنطقة تشكل هاجساً كبيراً بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا الاتحادية، كونها محاطة بقوى اقليمية وفواعل رئيسة على الساحة الدولية كروسيا والصين وإيران وتركيا، الأمر الذي يجعلها منطقة رئيسة للتحكم في طرق المواصلات والتجارة في أوراسيا، مما جعلها تكتسب أهمية كبيرة وتعد محطة مهمة للتنافس الدولي.

برزت الأهمية الاستراتيجية الى منطقة آسيا الوسطى بشكل جلي ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي نهاية ثمانينيات القرن العشرين، إذ أدى هذا الحدث الى اشتداد المنافسة الدولية حيال تلك المنطقة كونها تمتلك أهم موارد الطاقة وخاصة النفط والغاز والتي باتت مصدراً للصراع الدولي في المنطقة، وتعد منطقة آسيا الوسطى من بين أهم المحاور الرئيسة التي تهم الدول الكبرى بسبب ميزة المنطقة الجيوسياسية التي تتمتع بها، وتمتلك بعض جمهوريات المنطقة اسلحة استراتيجية نووية وتمتلك دولاً أخرى فيها أسلحة تكتيكية نووية، بالإضافة الى وجود خام اليورانيوم في اراضيها وعدد كبير من الخبراء في المجال النووي، وتضم المنطقة أيضاً دول غنية بالموارد الطبيعية، وتحد منطقة آسيا الوسطى من الشمال روسيا ومن الغرب بحر قزوين، وإيران وباكستان من الجنوب والصين ومنغوليا من الشرق(صباح جابر كريم، 2024، ص468)، وسندرس كل جمهوريات منطقة آسيا الوسطى بشكل منفرد على مستوى الموقع والاقتصاد والمكانة عبر المحاور التالية وفق ما يلي :

1.2. جمهورية كازاخستان

هو البلد الأكثر اتساعاً بين بلدان آسيا الوسطى، حيث تعادل مساحته خمسة أضعاف مساحة فرنسا، وتبلغ أراضيه التي تحتل قلبها هضبة كازاخستان الوسطى سهل سيبيريا الغربي في الشمال وشبه

صحارى شواطئ بحر أورال في الجنوب الغربي غير أنه يضم حافة جبلية في جزئه الشرقي، حيث تبلغ مساحته نحو 2،724،900 مليون كم2(حيدر شفيق، 2012، ص 57)، أما عدد السكان فيصل نحو 19،900،170 مليون نسمة، ويصل حجم الناتج المحلي الإجمالي السنوي نحو 261،42 مليار دولار، في حين يصل معدل النمو السنوي للناتج المحلي 5,1% وتعتمد كازاخستان على الزراعة والصيد البحري والطاقة والصناعة والسياحة(حيدر شفيق، مصدر سبق ذكره، ص76).

وتمتد حدود جمهورية كازاخستان من نهر الفولغا الى الصين، فهي تقع الى الجنوب من روسيا الاتحادية ومن الشرق تحدها الصين وقيرغيزستان وكل من أوزبكستان وتركمنستان تحدانها من الجنوب ويحدها من الغرب بحر قزوين، وتعد مدينة (الما أتا) عاصمتها، وتعد ثاني أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وتمثل تركيبتها الديموغرافية عدد من الجماعات العرقية وهي (الكازاخ والروس والألمان والتتار والأوجريون والبيلورس والكوريون ويشكل الكازاخ النسبة الأكبر فيها وتصل نسبتهم نحو 40% من مجموع السكان ويشكل الروس نحو 38% ايضاً، ويدين الكازاخستان بالدين الإسلامي، أما من الجانب الاقتصادي فتعد كازاخستان مكاناً ثرياً للمعادن اذ تمثل المرتبة الأولى في العالم تكوينات الكروم بالإضافة الى انها تمتلك الرصاص والنحاس والزنك فضلاً عن ثروتها من الفحم والفضة والنفط والثروة الحيوانية، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي بقيت السياسة الكازاخية تتميز بخصوصيتها وفتحت الباب للاستثمارات الغربية وعقد الصفقات مع الشركات هناك في قطاع الطاقة، وتسعى كازاخستان عبر اتفاقياتها الدولية الى كسب الأصدقاء والدخول في علاقات متوازنة من أجل البقاء في وضع دولي مستقر لا يعيدها الى ما قبل 1991(نوار محمد ربيع الخيري، 2012، ص 3-4).

2.2.جمهورية قيرغيزستان

بلد مطوق وجبلي في القسم الأكبر من أراضيه وإنه يمثل جزءاً من (تيان شان)، وتصل مساحة دولة قيرغيزستان نحو199,900 ألف كم2، وعدد السكان يصل نحو 7 مليون نسمة، أما مستوى الناتج المحلي الإجمالي السنوي فيصل نحو 13،22 مليار دولار، فضلاً عن معدل النمو السنوي للناتج الإجمالي فيصل نحو 6,3%، وتعتمد قيرغيزستان في اقتصادها على الزراعة والصناعة والطاقة فضلاً عن السياحة(أطلس لاروس، مصدر سبق ذكره، ص76).

ومدينة بشكيك هي العاصمة الى جمهورية فيرغيزستان، وتعد الزراعة هي عماد ثروة الدولة بالإضافة الى الأراضي الخصبة المخصصة للزراعة، وتمثل الزراعة نسبة 35% من اجمالي الناتج المحلي، وتعد قيرغيزستان بلد غير ساحلي وجبلي ولديها من الصادرات كالذهب والزئبق واليورانيوم والغاز الطبيعي، وقد سعت الجمهورية الى الاستثمارات الأجنبية لتنهض باقتصادها وتوسيع صادراتها بما في ذلك بناء السدود الكهرومائية، وكما تعد قيرغيزستان من بين أكثر المناطق توتراً بسبب الصراع القائم بين القرقيز والأوزبك، إذ تعد القرقيز قبائل بدوية وغير مستقرة والأوزبك هم حضر ومدنيون ويمتلكون جميع وسائل الانتاج على الرغم من انهم يمثلون أقلية في الجمهورية، بالإضافة الى طوبوغرافية البلاد الجبلية والمعقدة الأمر الذي سبب عزلة اقتصادية واجتماعية وسياسية داخلية، ويشكل التهديد الأمريكي للمصالح الصينية الروسية فيما لو وضعت يدها على قيرغيزستان، وهنا بادرت الحكومات القيرغيزستانية على هذه الورقة عبر تأجير قاعدة حربية للولايات المتحدة الأمريكية عام 2001 لتوظيفها لمواجهة حركة طالبان وغيرها، الأمر الذي أبدى تخوف الروس والصين(هادي محمد حسين برهم، 2017،ص 73).

3.2. طاجكستان

تقع جمهورية طاجكستان في شرق آسيا تتميز بمرتفعات عالية خاصة إلى الشرق حيث تشكل (سلسلة بامير) تقع فيها قمة إسماعيل سماني التي يبلغ ارتفاعها نحو 7495م الحدود مع الصين وتشرف على هضاب يبلغ ارتفاعها 4000م، وتبلغ المساحة التي تشغلها طاجكستان نحو 143,000 الف كم2، وعدد السكان يصل نحو 10,143,000 مليون نسمة، ويصل الناتج الإجمالي للدولة نحو 12,6 مليار دولار، أما معدل النمو السنوي للناتج المحلي الإجمالي نحو 8،3%، وتعتمد طاجكستان في إيراداتها على الزراعة والصناعة والطاقة فضلاً عن السياحة(أطلس لاروس، مصدر سبق ذكره، ص67).

وتمثل طاجكستان أصغر جمهوريات آسيا الوسطى وليست لها سواحل بحرية وتسمى بالدولة الحبيسة، وتحدها من الشمال مقاطعة سكيانج وهي منطقة مستقلة من الصين وتحدها من الجنوب أفغانستان وتحدها من الغرب أوزبكستان والشرق قيرغيزستان، وتشكل المكونات الديموغرافية في طاجكستان نسب متفاوتة من المركبات الاجتماعية المتنوعة، فهناك نحو 79% من المواطنين ذات أصول طاجيك وهم شعب إيراني و15% من الأوزبك يتركزون في الشمال و2% من الروس و1% من القيرغيز و 205% من الأوكرانيين والألمان واليهود والتركمان والكوريين ومدينة دوشامة هي عاصمة طاجكستان، ويمثل

السلمون نحو 90% من السكان و3% مسيحيون وهنالك أقليات أخرى، ويكون الاعتماد الاقتصادي في طاجكستان على الزراعة والثروة الحيوانية والمعادن والفحم والبترول والرصاص، وتعد طاجكستان من بين أفقر جمهوريات آسيا الوسطى وتعتمد في الجانب الاقتصادي والسياسي على روسيا، وهي تعاني أيضاً من مشاكل على المستويات كافة كالفقر والبطالة والأمن الغذائي، الأمر الذي جعلها تبحث عن ربط اقتصادها مع اقتصاد الدول الكبرى مثل روسيا الاتحادية، وما جعل الأخيرة استثمار هذا الظرف سياسياً بهدف جذب طاجكستان نحوها واستغلالها لأهمية موقعها الاستراتيجي وأبعادها عن الولايات لمتحدة الأمريكية ايضاً (هادي محمد حسين برهم، مصدر سبق ذكره، ص73-75).

4.2.أوزبكستان

تمتد أوزبكستان من حافة بحر أورال الى جبال تيان شان وبامير، ويتكون القسم الأكبر من البلاد من صحارى (نذكر منها كيزيلكوم) مناخها قاري وجاف في أغلب الأحيان، وتصل مساحة دولة أوزبكستان نحو 447,000 الف كم2، أما عدد السكان هناك فتصل نحو36،412 مليون نسمة، في حين يصل مستوى الناتج المحلي الإجمالي نحو 90،89 مليار دولار، أما معدل النمو السنوي للناتج المحلي الإجمالي فيصل نحو 6%، وتعتمد أوزبكستان على الزراعة والصيد البحري والطاقة والصناعة والسياحة (هادي محمد حسين برهم، مصدر سبق ذكره، ص73-75).

وتقع أوزبكستان في منتصف منطقة آسيا الوسطى إذ يحدها من الشمال والشمال الغربي مناطق السهوب في كازاخستان ومن الشرق والجنوب الشرقي مرتفعات جمهوريات قيرغيزستان وطاجكستان ومن الجنوب الغربي تحدها ايضاً جمهورية تركمنستان، وتعد أوزبكستان من بين الدول التي تعتمد على الأنهار بشكل أساسي كونها من بين المناطق الجافة، أما أكبر مدنها فهي مدينة طشقند العاصمة، ويتكون سكانها من ثلاثة عشر مجموعة عرقية وأبرزها الروس والأوزبك والكازاخ والطاجيك والتتار والكاراكالباك والقرغيز والأوكرانيون والألمان والتركمان والكوريون والترك، ويشكل الأوزبك أغلبية في وطنهم ويدينون بالديانة الاسلامية، وتعد أوزبكستان آخر الجمهوريات التي استقلت من الاتحاد السوفيتي في 5 ايلول 1991(نوار محمد ربيع الخيري، مصدر سبق ذكره، ص 4-5).

5.2.تركمنستان

تعد جمهورية تركمنستان أصغر دول منطقة آسيا الوسطى الاسلامية ونظامها السياسي جمهوري وعدد سكانها 5،000،000 مليون نسمة ومساحتها 488 كم2 وتعد مدينة عشق آباد عاصمة للجمهورية، ويصل الناتج القومي الاجمالي السنوي الى نحو 59،89 مليار دولار ومعدل النمو السنوي يصل الى نحو 6،3%، وتحدها من الشمال جمهورية كازاخستان ومن الجنوب ايران وافغانستان، ومن الشرق أوزبكستان ومن الغرب بحر قزوين(أطلس لاروس، مصدر سبق ذكره، ص56).

وتحتوي ارض البلاد على الثروات الطبيعية كالنفط والغاز الطبيعي والأملاح المتنوعة والمركبات الكيمياوية مثل الصوديوم والكبريت بالاضافة الى وجود الرخام والصخور الكلسية، فضلاً عن زراعة القطن وتربية الحيوانات، أمنا سكان تركمنستان فيتشكل من حوالي سبع مجموعات عرقية وهي : التركمان والأوزبك والروس والكازاخ والقرقيز والأوكرانيون والتتار وتقدر نسبة التركمان بنحو 72% من السكان، ويدين التركمان بدين الاسلام، (نوار محمد ربيع الخيري، مصدر سبق ذكره، ص7)..

ومن خلال ما تقدم فان لجمهوريات آسيا الوسطى مكانة جيوستراتيجية مهمة جداً لما تتمتع به من موقع جيوسياسي مهم وقدرات اقتصادية مهمة كالطاقة والمعادن وغيرها من الثروات، الأمر الذي يؤهلها الى أن تكون قوى تمتلك قرارها السياسي المستقل والمؤثر على الصعيد الداخلي والاقليمي والدولي، وجمهوريات آسيا الوسطى تحاول أن تحافظ على استقلاليتها وتبتعد عن حالة التفرقة والتشتت لما يهدد أمنها الداخلي، الأمر الذي ينعكس أيضاً على علاقاتها الإقليمية والدولية، وما يمثله من تنافس دولي محموم على تلك الجمهوريات من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين، وما تمثله منطقة أسيا الوسطى مدركاً استراتيجياً لتلك الدول الكبيرة، وفيما يلي خارطة توضح المكانة الاستراتيجية لجمهوريات آسيا الوسطى، وجدول يوضح القدرات السكانية والاقتصادية لتلك الجمهوريات .

الشكل رقم 01: خارطة تمثل المو اقع الاستر اتيجية لجمهوريات آسيا الوسطى

المصدر: صور خرائط آسيا الوسطى

جدول رقم 01: المقدرات السكانية والاقتصادية لجمهوريات آسيا الوسطى (مليون نسمة/مليار دولار)

الدولة	المساحة كم2	عدد السكان	الناتج المحلي الاجمالي السنوي	معدل النمو
كازاخستان	2،724،90مليون كم2	19،900،170	261،42	%51
أوزبكستان	447،40 ألف كم2	36،412	90،89	%6
تركمنستان	488،10 ألف كم2	6،516	59،89	%6،3
طاجكستان	143،10 كم2	10،143	12،06	%8،3

قيرغيزستان	199،90 كم2	7	13،22	%6،2
المجموع	4،003،400كم2	79،971،170	43،748،000000	%32،5

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على المؤشرات الاقتصادية لمجموعة اللبنك الدولي المتاح على الرابط الآتي:https://data.albankaldawli.org/indicator

3.منطقة آسيا الوسطى في ظل التنافس الاقليمي والدولي

تعرضت منطقة أسيا الوسطى الى تصاعد النفوذ الاقليمي والدولي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا وايران وتركيا، وتحديداً بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، كونها تمثل منطقة رئيسة للتحكم في طرق المواصلات والتجارة بأوراسيا وبين شمال وغرب آسيا وجنوب شرقها، بالإضافة الى تمتعها بمخزون كبير من الطاقة (النفط والغاز الطبيعي) في عدد من جمهورياتها، الأمر الذي جعلها مكاناً للتنافس الاقليمي والدولي، وهذا ما سندرسه في هذا المبحث من هذه الدراسة وعبر المطلبين التاليين:

1.3. استراتيجية الدول الكبرى في منطقة آسيا الوسطى

هنالك استراتيجيات متغيرة لكل من الدول الكبرى المتنافسة في منطقة آسيا الوسطى وكل حسب ما تتطلبه مصالحها السياسية والاقتصادية والأمنية، فالولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا لهم أهداف استراتيجية حيال هذه المنطقة، سنوضحها من خلال هذا المطلب الذي يتكون من ثلاثة محاور.

1.1.3.الاستراتيجية الأمريكية في منطقة آسيا الوسطى

تعد منطقة آسيا الوسطى مكاناً استراتيجياً لعدد من القوى الدولية والإقليمية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، لأن عدداً من الدول المتاخمة للمنطقة تمثّل منافساً للولايات المتحدة الأمريكية، فيتعيّن وفق استراتيجية الأمن القومي الأمريكي القضاء عليها، أو على الأقل إضعافها حتى لا تمثّل تحدياً للهيمنة والسياسة الأمريكية وفي مقدمتها إيران، والصين، وروسيا، فإن محاولة الولايات المتحدة التغلغل فيها يمثّل عاملاً هاماً في إضعاف الدول المناوئة، وضرورة اختراقها جغرافياً وسياسياً من وجهة النظر

الأمريكية، ولا شك أن هذه الأهمية الجيوسياسية للمنطقة قد ازدادت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001 واحتلال الولايات المتحدة الأمريكية وقوات حلف شمال الأطلسي أفغانستان، حيث أصبحت الولايات المتحدة في حاجة ماسة لهذه الدول، بالنظر إلى جوارها المباشر مع أفغانستان للتمركز فيها، وتوفير الإمدادات للقوات الأمريكية، وإحكام السيطرة على أفغانستان عبر حدودها مع هذه الدول(ريا خوري، http://katehon.com/ar/article/asy-lwst-fy-sr-lqw-lzm.).

وعليه فقد مثل إدماج دول آسيا الوسطى ضمن الاقتصاد العالمي وإخضاعها لمبادئ الليبرالية الاقتصادية مع اختراق منظومة القيم والمبادئ الغربية لحدودها، خلال التسعينيات من القرن الماضي كانت هدفاً رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، للحيلولة دون أي محاولة لإحياء صراع آيديولوجي جديد، بمعنى أن التوجه الأمريكي في آسيا الوسطى في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفيتي انحصر في طابع الاحتواء للإحاطة بروسيا الاتحادية وإفشال أي محاولة منها لإعادة إحياء إمبراطوريتها، ويرى بريجينيسكي أنه لا يمكن عد روسيا قوة عظمى أو إمبراطورية بدون دول آسيا الوسطى، وقد عقدت الولايات المتحدة سلسلة من التحالفات الدبلوماسية والعسكرية مع دول منطقة آسيا الوسطى في مجالات مكافحة الإرهاب وحماية الحدود ومكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل، ففي كازاخستان بدأت أمريكا محادثات تهدف إلى بناء قواعد عسكرية دائمة هناك(سامي السلامي، 2016، ص29).

من هنا فقد تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية من أن تحقق بعض أهدافها الاستراتيجية في منطقة آسيا الوسطى عبر التواجد الفعلي للقواعد العسكرية الأمريكية هناك، الأمر الذي حقق لها جوانب ايجابية مهمة، فالتواجد الأمريكي بالقرب من الحدود الصينية يوفر لها ركيزة عسكرية رئيسة لتهديد الصين في حال حدوث صراع عسكري مستقبلي مع الصين، بالإضافة الى التواجد الأمريكي بالقرب من جنوب روسيا الاتحادية يهدد الأمن الروسي مستقبلاً، فضلاً عن تهديد ايران في المستقبل من على حدودها الشمالية والشرقية، والتواجد الأمريكي ايضاً في شمال افغانستان يمارس ضغوطاً على أية حكومة افغانية في المستقبل، واحتواء مناطق التسلح النووي في شبه القارة الهندية (طارق محمد ذنون، 2011، ص117).

2.1.3. الاستراتيجية الصينية في منطقة آسيا الوسطى

تعد منطقة آسيا الوسطى عنصراً أساسياً في الاستراتيجية الأمنية الصينية، فهي أحد عوامل الربط بين الأمن الداخلي والخارجي، حيث سعت الصين لتوسيع نفوذها في المنطقة غداة استقلال

الجمهوريات السوفيتية، وتمثل منظمة شنغهاي للتعاون، بأبعادها المتعلقة بالطاقة والأمن أداة رئيسة للاستراتيجية التي اتبعتها الصين تجاه آسيا الوسطى عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 والمبنية على أساس التكيف المرن، ويمثل دعم استقرار إقليم شينجيانغ في شمال غرب الصين والمتاخم لمنطقة آسيا الوسطى أحد أهم محددات سياسة الصين الخارجية تجاه المنطقة، ويعد الإقليم مسرحاً للاضطرابات بين الأغلبية المسلمة من قومية الإيجور والسلطات الصينية بفعل تنامي النزعة الانفصالية للإيجور ودعوتهم لتأسيس دولة تركستان الشرقية من جديد لذا تستهدف الصين من خلال تعزيز علاقاتها مع دول آسيا الوسطى، ضمان التزام كل من كازاخستان وقيرغيزستان بعدم دعم انفصاليي الإيجور في ذلك الاقليم (سامي السلامي، مصدر سبق ذكره، ص35036).

ولمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية والنفوذ الأمريكي المتصاعد في منطقة آسيا الوسطى، اتبعت الصين استراتيجية مرنة لتعزيز علاقاتها مع دول آسيا الوسطى مبنية على حل كل المشاكل الحدودية المترتبة عن حقبة الاتحاد السوفيتي تحت مسمى " مكافحة قوى الشر الثلاث " المتمثلة في الإرهاب والتطرف والانفصال، ولعبت منظمة شنغهاي للتعاون منذ إنشائها دوراً مهماعن طريق حل المشاكل الحدودية بين أعضاء المنظمة ومحاربة الإرهاب والجريمة العابرة للحدود وخلق مناخ ايجابي للتعاون بين أعضائها، وتقدم المنظمة نفسها كإطار حامي لدول المنطقة على ضوء الخلل الكبير الذي شهده الأمن الإقليمي في منطقة آسيا الوسطى عقب التدخل الأمريكي في أفغانستان، وقد أسهم بيان أصدرته المنظمة يطالب بتحديد موعد لسحب القوات الأمريكية من المنطقة وتفكيك قواعدها العسكرية في قيرغيزستان وأوزبكستان، فضلاً عن ذلك تتبنى الاستراتيجية الاقتصادية للصين تجاه منطقة آسيا الوسطى كونها مصدراً بديلاً للطاقة على إنشاء خطوط أنابيب للغاز على غرار خط قوة سيبيريا، مع توسيع مجال الاستثمارات الصينية في المنطقة والتي ارتفعت من مليار دولار عام 2000 وإلى 50 مليار دولار عام 2013(سامي السلامي، مصدر سبق ذكره، ص31-32).

فالعلاقات ما بين الصين وجمهوريات آسيا الوسطى محددة بعوامل جغرافية واقتصادية وسياسية وأمنية، فالصين تمثل ممراً نحو البحر بالنسبة للجمهوريات، في حين تمثل منطقة آسيا الوسطى ممراً للاتصالات البرية للصين مع دول أوروبا وغرب آسيا (طريق الحرير)، وتمثل جمهوريات آسيا الوسطى للصين مصدراً مهماً لموارد الطاقة والمعادن وسوقاً لتصريف المنتجات الصينية، وبعد التحول في اهتمام

الصين حيال منطقة آسيا الوسطى من الاهتمام في القضايا الأمنية والسياسية الى مسائل الطاقة وتزايد الهوة بين العرض والطلب الداخلي على الطاقة زاد من أهمية واردات الطاقة بعد أن تجاوزت الصين اليابان في موضوع استهلاك الطاقة ولتصبح ثاني أكبر مستهلك للطاقة بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وبهذا تطورت العلاقات ما بين الصين وجمهوريات آسيا الوسطى بشكل سريع، حيث يمكن لآسيا الوسطى أن تلعب دوراً فاعلاً في تنويع مصادر الطاقة الصينية وامتصاص الصدمات التي تمس الإمدادات وتهدد النمو الاقتصادي الصيني(عبدالقادر دندن، 2016، ص79-81).

3.1.3.الاستراتيجية الروسية في منطقة آسيا الوسطى

أدى تفكك الاتحاد السوفيتي الى ظهور جمهوريات آسيا الوسطى التي تعد منطقة حيوية ومهمة اقتصادياً وسياسياً وأمنياً واستراتيجياً بسبب احتواء هذه المنطقة على الموارد المهمة كالنفط والغاز الطبيعي وتمثل فرصاً مهمة للاستثمار، الأمر الذي جعلها مكاناً للتنافس الاقليمي والدولي لشغل الفراغ الاستراتيجي الذي خلفه تفكك الاتحاد السوفيتي، من هنا وفي مطلع القرن الحادي والعشرين أخذت روسيا على عاتقها استعادة مكانتها الاقليمية والدولية عن طريق تعزيز علاقتها مع جمهوريات آسيا الوسطى، وتنطلق الاستراتيجية الروسية حيال منطقة آسيا الوسطى من خلال عدة دوافع ويأتي في مقدمتها الجانب الأمني لأن الجانب الأمني الى تلك الجمهوريات سوف ينعكس تماماً على الأمن الروسي، لأن الأخيرة ترى بأن منطقة آسيا الوسطى تعد جزءاً من مجالها الحيوي، وباعتبار هذه الجمهوريات حديثة النشأة وبالتالي هي بحاجة الى الدعم الروسي، بالإضافة الى سد أي فراغ أمني في هذه الجمهوريات لمنع تغلغل القوى الاقليمية والدولية والتي تهدد المصالح الاستراتيجية الروسية، فضلاً عن حماية مشاريع الطاقة في تلك المنطقة من استغلالها ممن قبل الدول الكبرى المنافسة(مجيد حميد محمد،2019، ص 192-194).

وكان من بين الأهداف الاستراتيجية الروسية حيال منطقة آسيا الوسطى احتواء وتطويق النفوذ الأمريكي في المنطقة، باعتبار ان روسيا هي الوريث الوحيد لما خلفه الاتحاد من قوة عسكرية على ارض هذه الجمهوريات، وفي الجانب الاقتصادي ارتأت روسيا استثمار ثروات المنطقة الاقتصادية ولا سيما النفط الذي زادت الحاجة اليه من قبل روسيا والحاجة المتزايدة لمصادر الطاقة في اسيا الوسطى وبحر قزوين وخطوط نقله لما يعود على روسيا كمدخل اقتصادي مهم(هاني الياس خضر، 2016، ص 27).

وتأسيساً على ما تقدم فان لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا استراتيجيات مختلفة وتتفاوت حسب مصالحها، فحسب الاستراتيجية الأمريكية فان الحرب على افغانستان لم تكن عبثاً على أمريكا بل هي حرباً فتحت من خلاله امريكا طريقاً مهماً الى آسيا الوسطى والتحكم في التوازنات الدولية هناك، بالإضافة الى التأثير على الصين وروسيا ومحاولة جذب جمهوريات آسيا الوسطى الى جانبها، ألا أن الصين اتبعت استراتيجية أخرى عبر انشاء تكتل البريكس ومنظمة شنغهاي للتعاون وضمت في الأخيرة كل من روسيا والصن وعدد من جمهوريات آسيا الوسطى مثل كازاخستان وطاجكستان وأوزبكستان وقيرغيزستان، وكان الهدف من هذه المنظمات هو الحد من الهيمنة الأمريكية في آسيا الوسطى بالإضافة الى الحد من استمرار سياسة القطب الواحد في النظام الدولي، أما الاستراتيجية الروسية فإنها ترى بأنها الوصي الطبيعي والشرعي الى تلك الجمهوريات وعمقها الجيوستراتيجي ويجمعها مع هذه الجمهوريات عامل الجغرافية والتاريخ، الأمر الذي يجعل من روسيا مدافعاً رئيساً عن تلك المنطقة .

2.3.الاستراتيجية الايرانية – التركية في منطقة آسيا الوسطى

مثلت منطقة آسيا الوسطى مجالاً للتأثير التركي – الايراني بسبب ارتباطهما تاريخياً وثقافياً مع طهران وأنقرة وتسعى الولايات المتحدة الأمريكية جاهدةً للحد من النفوذ الإيراني في المنطقة واستثمار التواجد التركي من أجل الحد من النفوذ الروسي، ومن خلال هذا المطلب سندرس الاستراتيجية الإيرانية والتركية حيال منطقة آسيا الوسطى.

1.2.3.الدورالإيراني في منطقة آسيا الوسطى

ترتبط ايران بجمهوريات آسيا الوسطى بروابط خاصة فتشترك معها في بحر قزوين عن طريق المشاطئة مع بعض الجمهوريات وتجتمع ايران مع تركمنستان بحدود مشتركة بالإضافة الى وجود الامتداد العرقي التركماني بداخل ايران وتشترك ايران مع جمهورية طاجكستان في اللغة الفارسية وتتسم علاقات ايران مع هاتين الدولتين بأهمية خاصة، بالقياس للجمهوريات الأخرى، وهنالك ترابط سككي حديدي لإيران مع تركمنستان مع بقية دول آسيا الوسطى وتركيا، بالإضافة الى وجود مشاريع اقتصادية مشتركة في مجال الطاقة، وتحاول ايران عبر سياستها البراغماتية مواجهة الاحتواء الأمريكي في آسيا الوسطى، وتحاول ايران استخدام القوة الناعمة عبر توسيع التعاون الثقافي مع جمهوريات المنطقة وتوقيع الاتفاقيات الثنائية في مجال التعليم العالي فضلاً عن المنح الدراسية(سامي السلامي، مصدر سبق ذكره، ص 32).

فحاولت ايران أن تؤدي دوراً فاعلاً في هذه المنطقة من أجل الحصول على مكاسب سياسية واقتصادية وأمنية، بسبب الموقع الاستراتيجي الى ايران يؤهلها بأن تكون فاعلاً مهماً بسبب مكانها الاستراتيجي في قلب المنطقة الغنية بالموارد والطاقة ما بين منطقتي بحر قزوين الغنية بالنفط والغاز والمعادن ومنطقة الخليج العربي الغنية بالنفط، بالإضافة الى امتلاك ايران لمصادر الطاقة وقربها من منطقة جمهوريات آسيا الوسطى، فضلاً عن حصول ايران على مكاسب اقتصادية عبر مشاركتها في استثمار موارد الطاقة لبحر قزوين واستخدام اراضيها كممر لتصدير النفط والغاز عن طريق مرور خط أنابيب نقل النفط من بحر قزوين الى منطقة الخليج العربي وبحر عمان ومن أجل ربط هذه الجمهوريات مع العالم الخارجي والتي بدورها في تطوير المبادلات الجارية لهذه الجمهوريات من خلال ايران وهذا يمنح الأخيرة استراتيجية كبيرة في المنطقة لأنها تمثل أسرع وأفضل طريق وأقل كلفة لاقتصادات جمهوريات آسيا الوسطى (مجيد حميد محمد، مصدر سبق ذكره، ص188-189).

ومن هنا فان الاستراتيجية الإيرانية لا تخلوا من عقبات تواجهها في المنطقة ومن بينها خشية الجمهوريات في المنطقة من التوجه الآيديولوجي الإيراني، بالإضافة الى المنافسة الشديدة التي تتعرض لها ايران من قبل روسيا والصين وتركيا في المنطقة.

2.2.3. الدور التركي في منطقة آسيا الوسطى

تهدف الاستراتيجية التركية حيال منطقة جمهوريات آسيا الوسطى الى تقوية علاقاتها مع تلك الجمهوريات ولا تسعى الى ضمها، وهي تسعى أيضاً الى تقديم النموذج التركي للتنمية الى تلك الدول، وان تفكك الاتحاد السوفيتي قد أدى الى تضاؤل الأهمية الاستراتيجية الى تركيا بالنسبة الى حلف شمال الأطلسي، وقد جاءت فرصة آسيا الوسطى كاستراتيجية جديدة لإعادة بناء وتطوير المركز الاستراتيجي لتركيا، وان هذا التطور مهم ليس فقط للحفاظ على الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية بل بالنسبة للاتحاد الأوروبي أيضاً الذي تسعى تركيا للانضمام اليه(محمد السيد سليم، 1996، ص 154).

وتستند الاستراتيجية التركية في آسيا الوسطى الى تطبيق الدبلوماسية الناعمة كروابط اللغة والثقافة والدين التي تربط بها مع شعوب آسيا الوسطى، بالإضافة الى ذلك تستند تركيا الى قدراتها الاقتصادية المهمة بالنسبة الى دول الشرق الأوسط الأخرى، فضلاً عن استنادها الى تراثها النخبوي العلماني

الذي يتعاطى معه وتنجذب اليه النخب الحاكمة في جمهوريات آسيا الوسطى، وهنالك ايضاً الدعم الأمريكي الى تركيا في دورها في المنطقة كحليف قادر على تحجيم الدور الإيراني في المنطقة، ولكن تركيا لم تستطع الاندماج سياسياً مع دول آسيا الوسطى بسبب عدم مجاورتها الى منطقة آسيا الوسطى الأمر الذي جعل تركيا بأن تتعاون مع ايران كونها تجاور آسيا الوسطى في أطار منظمة التعاون الاقتصادي من أجل التعاون في آسيا الوسطى(محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، 155)، إلا أن جمهوريات آسيا الوسطى لم ترغب في التعاون مع تركيا بسبب تعاون الأخيرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي لا ترغب به تلك الجمهوريات.

ومن خلال ما تقدم يتضح بأن الاستراتيجية التركية حيال منطقة آسيا الوسطى تحظى بالدعم الأمريكي عبر بناء الخطوط الناقلة للنفط والغاز الطبيعي من منطقة آسيا الوسطى عبر تركيا بواسطة خط جيهان التركي وتفادياً من مرور الطاقة عبر إيران وروسيا.

4.مستقبل التنافس الاقليمي والدولي في منطقة آسيا الوسطى

يعد التنافس الاقليمي والدولي في منطقة آسيا الوسطى مهم ليس للدول المتنافسة فحسب بل وهو مهم ايضاً الى منطقة آسيا الوسطى، فهي طرف مهم في ايجاد هذا التنافس بل وتشجع عليه كونه ينعكس ايجاباً على المنطقة، فقد اتبعت دول آسيا الوسطى سياسة شديدة البراغماتية عبر ترك أبواب المنطقة مفتوحة أما جميع القوى الخارجية كي ينتج هذا التنافس الأجنبي الى ايجاد الكثير من الموارد في المنطقة، وهذا ما سنوضحه من خلال هذا المبحث الذي يتكون من مطلبين:

1.4. مستقبل التنافس الإقليمي والدولي في آسيا الوسطى

يعد التنافس الدولي في منطقة آسيا الوسطى بأنه تنافس اقتصادي وسياسي ويستخدم الأدوات الثقافية والاقتصادية للسياسة الخارجية من أجل تحقيق الأهداف السياسية، والتنافس لا يدور حول أحداث التغيير الجذري في آسيا الوسطى مثل القضاء على الأنظمة السياسية في آسيا الوسطى وتنصيب أنظمة جديدة مكانها ولكن أطراف التنافس تعمل مع النخب الحاكمة في المنطقة وتسعى عملياً الى استقطابها، وعلى الرغم من أنه هنالك بعض التوجهات الآيديولوجية كالتحول الديمقراطي الأمريكي أو التحول الثيوقراطي الديني في ايران، ولكنها تسعى الى تحقيق هذه الأهداف بشكل تدريجي اعتماداً على

الاقناع، بالإضافة الى أن الدول المتنافسة في المنطقة غير مستعدة للتدخل العسكري لحماية الأمن والاستقرار في المنطقة باستثناء روسيا الاتحادية فان تدخلها مرهون بموافقة جمهوريات آسيا الوسطى، وان التنافس الدولي في المنطقة يستند الى قواعد التعامل الدولي في فترة ما بعد الحرب الباردة فكل طرف يعترف بشكل نسبي بمصالح الأطراف المتنافسة الأخرى ويسعى أيضاً في الوقت ذاته الى تحجيمها دون الدخول في مواجهات مباشرة (محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص 166).

من هنا يمكننا القول بأن دول آسيا الوسطى لم تكن ضحية هذا التنافس الاقليمي والدولي المتواجد فيها بل هي فاعل مهم ومستفيد وكثيراً ما تشجعه، وعليه فان مستقبل المنطقة لن يتأثر بسبب وجود التنافس الأجنبي فيها إلا في حدود معينة، وهذا المستقبل سيعتمد على التيارات الاقتصادية والسياسية في الداخل، وعلى مستوى العلاقات البينية بين الجمهوريات، فالدول كما أسلفنا لا تسعى للتغيير الجذري في المنطقة بقدر ما تسعى الى التنافس الاقتصادي هناك، ومن الممكن أن جمل نتائج التنافس الاقليمي والدولي على مستقبل منطقة آسيا الوسطى بما يلي: (محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص 167- 168):

- ✓ أنتج التنافس الاقليمي والدولي في المنطقة الى توفير قدر من الموارد المالية والتكنولوجيا لدول آسيا الوسطى، لم يكن يتوفر هذا لولا هذا التنافس.
- ✓ كان التنافس الدولي بديلاً للنفوذ الروسي في المنطقة، وكان محدداً له .
- ✓ أوضح التنافس الدولي بأن آسيا الوسطى لن تعود الى مرة أخرى الى العلاقات التي كانت تربطها بروسيا.
- ✓ أدى التنافس الدولي الى تأخير دول آسيا الوسطى لاختيار النموذج الملائم للتطور الاقتصادي والسياسي بسبب تشتيت انتباه النخب الحاكمة هناك.

ومن خلال ما تقدم يتضح بأن التنافس الاقليمي والدولي في منطقة آسيا الوسطى بأنه تنافس اقتصادي وسياسي وأمني، وتسعى الدول المتنافسة لبسط نفوذها اقتصادياً في المنطقة لأنها تتمتع بموقع جيوستراتيجي وكميات كبيرة من موارد الطاقة بالإضافة الى الموارد الطبيعية، ما يجعل تلك الجمهوريات بأن تدفع باتجاه التواجد الأجنبي والتنافس في المنطقة.

2.4.دور منظمة شنغهاي للتعاون SCO في آسيا الوسطى

على الرغم من انضمام أغلب جمهوريات آسيا الوسطى إلى منظمة شنغهاي للتعاون SCO [*]، للبحث عن دور إقليمي بالإضافة إلى المحافظة على استقلالها، إلا أن تلك الجمهوريات لاسيما جمهوريتي كازاخستان وتركمانستان تخشى من العضوين الرئيسين المؤسسين لمنظمة شنغهاي وهما روسيا والصين، وتخشى من روسيا أكثر بسبب وجود القواعد العسكرية في منطقة آسيا الوسطى، من هنا تحاول تلك الجمهوريات بإدخال عامل التنافس بين الدولتين، وهو ما دفع كلاً من روسيا والصين الى التحرك بحذر وتأن في آسيا الوسطى كي لا تتعدى إحداهما على مصالح الأخرى، فروسيا تعتبر أن هذه الجمهوريات يوماً كانت جزءاً من الاتحاد السوفيتي، بالتالي فإنها تعد جزءاً من منطقة نفوذها، وعليه فهي لا تريد أن يحصل أي تغيير بهذا الخصوص، وهذا يمكن تحقيقه من خلال الوجود المادي الروسي المباشر، في المقابل فان هذه البلدان تريد الاحتفاظ بحد مقبول من الاستقلال، بالمقابل تنافس روسيا أيضاً في هذا المجال الصين والتي تعتبر منطقة آسيا الوسطى جزءاً مهماً من نفوذها الاقتصادي والسياسي (وولتر لاكوير، ص 299 - 308).

وبالتالي فإن جمهوريات آسيا الوسطى وفق هذه المعطيات أخذت تبحث عن البديل من خلال التحالفات للحفاظ على استقلالها الناشئ، فكان هنالك الاتفاق الأمني مع الولايات المتحدة الأمريكية، مما جعل منطقة آسيا الوسطى مسرحاً لتطبيق الاستراتيجيات هناك، وهذا ما دفع روسيا والصين لاستثمار منظمة شنغهاي للتعاون لمواجهة النفوذ الأمريكي هناك، هذه المنظمة التي تضم بداخلها خمسة جمهوريات من منطقة آسيا الوسطى، من هنا فان هذه المنظمة باستطاعتها مستقبلاً من أن تحدد الدور الأمريكي في منطقة آسيا الوسطى من دون أن تكون تلك الجمهوريات تحت الضغط الصيني أو الروسي، ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن منطقة آسيا الوسطى شكلت مكانة استراتيجية مهمة جداً على المستوى الإقليمي والدولي، لاسيما بعد انفصال دولها ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، فمن الطبيعي أن يأخذ التنافس مداه في هذه المنطقة من قبل الدول الكبرى والإقليمية، خصوصاً وإنها تحتوي على موارد اقتصادية مهمة ومن بينها النفط والغاز، فباتت تلك المنطقة الى حد ما تنافس منطقة الشرق الأوسط، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي(فاضل عبدعلي حسن، 2024، ص 305-306).

وبعد حالة الفراغ السياسي والآيديولوجي في منطقة آسيا الوسطى، ولكي تكون القوة الرئيسة في العالم سارعت الولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل في المنطقة لتحقيق مكاسب اقتصادية وجيوستراتيجية،

نتيجة لعدم معالجة الأوضاع الاقتصادية في المنطقة من قبل روسيا، كانت استجابة دول المنطقة بشكل سريع وايجابي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق مساعداتها الاقتصادية والمالية، فضلاً عن معالجة الحركات الأصولية في المنطقة، وهذا ما يتضح جلياً من خلال إقامة القواعد العسكرية في قيرغيزستان وأوزبكستان والتحالف مع حلف الناتو، مما تسبب في تشكل عقدة الميول والانتماء والتبعية لدى دول تلك المنطقة، لاسيما بعد تشكيل منظمة شنغهاي للتعاون SCO، كون أغلب تلك الجمهوريات في المنطقة أعضاءً مؤسسين في تلك المنظمة، وإنها في الوقت ذاته أي الجمهوريات لديها ميول وتعامل مع الغرب وحلف الناتو، وهذا ما يؤثر سلباً في مستقبل منظمة شنغهاي للتعاون وأهدافها بالإضافة الى مستقبل التعددية القطبية المرتقبة والتوازن الدولي(فاضل عبدعلي حسن، المصدر نفسه، ص 306).

وبناءً على ما تقدم فإن منطقة آسيا الوسطى تعد ذات قيمة جيو- اقتصادية بالنسبة للصين كونها تحتوي على النفط والغاز، وتعد العمق الجيوستراتيجي لروسيا، فضلاً عن المصالح الايرانية، من هنا فان الاستراتيجية الأمريكية من الصعوبة بمكان أن تتحقق في منطقة آسيا الوسطى وفقاً لهذه المعطيات، وان التنافس سيستمر في تلك المنطقة وهو ما يصب في مصلحة تلك المنطقة.

5.الخاتمة

تعد هذه الدراسة التي اختصت في دراسة التنافس الإقليمي والدولي في منطقة آسيا الوسطى من بين الدراسات المتخصصة بسبب التحولات السياسية التي جرت في النظام الدولي ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في نهاية التسعينيات من القرن العشرين، ومن ثم الاستقلال الكامل لجمهوريات آسيا الوسطى بعد أن كانت تحت هيمنة الاتحاد السوفيتي، وبما أن تلك الجمهوريات تتمتع بموقع جيوستراتيجي مهم جداً في النظام الدولي بالإضافة الى احتواء المنطقة على موارد الطاقة المتمثلة بالنفط والغاز فضلاً عن الموارد الطبيعية الأخرى كالمعادن وغيرها، الأمر الذي أدى الى التسابق في التنافس الاقليمي والدولي على التواجد في المنطقة كونها تمثل أنموذجاً مهماً للمصالح الاقتصادية والسياسية والأمنية لتلك الدول المتنافسة.

ويظهر مما تقدم بأن الدول الكبرى المتنافسة في منطقة آسيا الوسطى قد أدركت بأن بقاء الجمهوريات في المنطقة مستقلة وغير تابعة الى أي دولة هو الخيار الأفضل والأسلم لتحقيق مصالحها هناك، الأمر الذي جعل الدول الكبرى بأن تحافظ على كيانات تلك الدول وسيادتها مع التنسيق الاقتصادي معها عبر نقل النفط من خلال الأنابيب في المنطقة، فروسيا تعتبر المنطقة جزءاً من نفوذها السياسي

والأمني، والصين ايضاً تنظر للمنطقة باعتبارها مكاناً استراتيجياً اقتصادياً مهماً لها ولنهضتها الاقتصادية العالمية، أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنها تعتبر المنطقة مكاناً استراتيجياً واقتصادياً مهماً فلا يمكن أن تتركه بيد الصين وروسيا وغيرها كون المنطقة تعد قلب العالم بتعبير (ماكندر)، الأمر الذي جعل روسيا والصين بتأسيس منظمة شنغهاي للتعاون وادخال خمسة جمهوريات في المنظمة من أجل تحجيم الدور الأمريكي في منطقة آسيا الوسطى والعالم، إلا أن التنافس الدولي في المنطقة يتلاءم ومصالح المنطقة كونه يرفدها بموارد اقتصادية وأموال كبيرة.

6.قائمة المراجع

- عبدالله، أ. ع. (2015). الصين والتوازن الاستراتيجي العالمي بعد عام 2001 وآفاق المستقبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت
- هاشم، ت. إ. ك. ع. (2013). السياسة الدولية والاستراتيجية الصراع بين الولايات المتحدة والصين وروسيا، المكتب العربي للمعارف، القاهرة
- ذنون، ط. م. (2011). العلاقات الأمريكية – الروسية بعد الحرب الباردة، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ط1، القاهرة
- دندن، ع. (2016). الصعود الصيني والتحدي الطاقوي الأبعاد والانعكاسات الاقليمية، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان
- حسن، ف. ع. (2024). المنظمات الاقليمية وأثرها في السياسة الدولية منظمة شنغهاي للتعاون أنموذجاً، دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق
- سليم، م. س. (1996). الأهمية الاستراتيجية لدول آسيا الوسطى الاسلامية وأبعاد التنافس الدولي على المنطقة، ندوة مستقبل العلاقات العربية مع الجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى، معهد الدراسات الدبلوماسية وزارة الخارجية الرياض
- لاكوير، و. (2016). البوتينية روسيا ومستقبلها مع الغرب، دار الكتاب العربي، ط1، ترجمة فواز زعرور، بيروت
- السلامي، س. (2016). المعركة الكبرى التنافس على قلب الأرض يعيد تعريف الأمن في آسيا الوسطى، تحولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية، ملحق مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام، العدد 205، القاهرة
- كريم، ص. ج. (2024). الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى في ميزان التنافس الدولي والاقليمي 1991-2023، مجلة الجامعة العراقية، المجلد 65، العدد 1، بغداد
- رفعت، ع. س. (2017). التوجهات الصينية حيال جمهوريات آسيا الوسطى، المجلة السياسية والدولية، العدد، 35-36، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين.
- مجيد، ح. م. (2019). جمهوريات آسيا الوسطى بين التنافس الاقليمي والدولي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في 1991، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 8، العدد 31، كركوك

- الخيري، ن، م. ر. (2012). الأهمية الاستراتيجية لجمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية بين الأوضاع الداخلية والاهتمامات الدولية، المجلة السياسية والدولية، العدد 22، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية
- هاني الياس خضر، هـ. إ. خ ومحمد، س. ع. ح. (2016). التنافس الدولي في منطقة آسيا الوسطى دراسة المقاصد والنتائج، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، العدد 18، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة
- برهم، هـ. م. ح. (2017). التنافس الأمريكي الروسي الصيني في آسيا الوسطى، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الجزائر
- شفيق، ح. (2012). أطلس العراق والوطن العربي والعالم، دار الكتب والوثائق، بغداد
- شبكة المعلومات الدولية (المؤشرات الاقتصادية) على الرابط التالي: https://n9.cl/m10jj
- ريا خوري، ر. (د.س). آسيا الوسطى في صراع القوى العظمى، موقع، تاريخ المشاهدة 2024/1/31، متاح على الرابط: https://n9.cl/ctbv8

محددات صنع السياسة الخارجية الروسية في ظل قيادة الرئيس فلاديمير بوتين (نموذج الحالة الأوكرانية)

Determinants of Russian Foreign Policy Making Under The Leadership of President Vladimir Putin

زياد طارق عبد الرزاق[1]، إيلاف رعد تركي [*2]

[1]أ.د في الدراسات الدولية الجامعة العراقية، العراق

zeaadtareq@gmail.com

[2]باحثة في الدراسات الدولية الجامعة العراقية، العراق

elafturky98@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/09/11 تاريخ النشر: 2022/10/31

****

ملخص الدراسة

تتباين المحددات المؤثرة في عملية صنع القرار السياسي الخارجي الروسي ما بين محددات جيوسياسية ومحددات شخصية، والتي ألقت بتأثيرها على عملية صنع القرار، مما يعكس لنا الموائمة بين أهمية الجغرافيا الروسية كدولة عظمى تقع في قلب الأرض جيوبوليتيكياً، وأهمية دور القائد السياسي بوتين الهادفة لإعادة العظمة الروسية بتعميق التوجه الأوراسي، حيث تعد شخصية رجل المخابرات الغامض بوتين ذات دور كبير في صنع السياسة الخارجية الروسية.

وبناءً على ذلك؛ تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور المحددات المؤثرة في صنع السياسة الخارجية الروسية في ظل قيادة بوتين؛ كما يتضمن هذا البحث على أهمية جيوبوليتيكية لإدراك ميزة الموقع الروسي

[*] المؤلف المرسل

الجيوسياسية والسياسة الخارجية الواجب إتباعها، بغرض مواجهة كل ما يجابهها من تهديدات جيواستراتيجية تجاه مجالها الحيوي، وقد استدعت طبيعة الدراسة إلى استخدام المنهج التحليلي والمنهج السلوكي، والافتراض الأساسي للدراسة قائم على أن للمحددات الجيوسياسية والشخصية أثراً كبيراً كونها محددات مادية ونفسية في صنع وتوجيه السياسة الخارجية الروسية، لتحقيق أهداف تلك السياسة تبعاً لتلك المحددات.

الكلمات المفتاحية

المحددات الجيوسياسية؛ التهديدات الجيوبوليتيكية؛ المحددات الشخصية؛ فلاديمير بوتين؛ أوكرانيا.

Abstract

The determinants influencing Russian foreign policy decision-making vary between geopolitical factors and personal factors, both of which have impacted the decision-making process. This reflects the alignment between the significance of Russian geography as a major power situated at the heart of the geopolitical world and the crucial role of the Putin to restore Russian greatness have deepened the Eurasian orientation.

Thus, this study aims to clarify the role of determinants affecting Russian foreign policy under President Putin's leadership. It highlights the geopolitical importance of understanding Russia's geographical advantage and the necessary foreign policy to address geopolitical threats to its vital interests. The nature of the study necessitated the use of analytical and behavioral methods. The fundamental assumption of the study is that geopolitical and personal determinants have a significant impact as material and psychological factors in shaping and directing Russian foreign policy to achieve its goals.

Key words

Geopolitical Determinants; Geopolitical Threats; Personal determinants; Vladimir Putin; Ukraine.

1.مقدمة

يرى فريق من الباحثين أن دور صانع القرار السياسي (القائد السياسي) في السياسة الخارجية، هو دور محدود، فقد أدى ظهور العولمة والإنفتاح السياسي على الخارج الداعي لإنتشار المبادئ الديمقراطية والليبرالية السياسية في الحكم، الهادفة إلى تمييع الأمم وطمس عاداتها وتقاليدها، إلى التأثير بشكل سلبي على سيادة الدولة وزيادة دور القوى السياسية والمجتمعية من رسمية وشبه رسمية, وما ينتج عنه من محاولة دثر أو تقييد دور القائد السياسي وزعزعة إستقرار الدولة وإنهيارها والتأثير على المؤسسات الحاكمة في صناعة السياسة الخارجية للدولة. وهو ما يبرز دور القيادة السياسية في إنتشال الدولة من ركامها وإعادة بنائها بما يتلائم والإمكانيات المتاحة. فقد شهدت السياسة الخارجية الروسية خلال فترة حكم الرئيس فلاديمير بوتين عام 2000 تحولاً ملحوظاً من سياسة خارجية تابعة للغرب في عهد يلتسين الى سياسة خارجية مستقلة ذات قرارات روسية بحته، فقد تبنى مسار برغماتي وليس أيديولوجي, لإعادة مكانة ووقار الدولة الروسية في الساحة العالمية الذي فقدته أبان انهيار الإتحاد السوفيتي عام 1991، والعمل على إعادة ضبط إيقاع السياسة الدولية بما يتناسب والدور الروسي النشط فيها، فضلاً عن إتخاذه سياسيات تحد من الهيمنة المطلقة التي تتمتع بها الولايات المتحدة الأمريكية ورفض التفرد الأمريكي بإدارة الشأن الدولي، وإستعادة التوازن الإستراتيجي العالمي بخلق عالم متعدد الأقطاب. فقد اعتمد في صنعه للسياسة الخارجية الروسية التي تتوقف على محددات متنوعة فهي تتراوح ما بين محددات جيوسياسية، فضلاً عن المحددات الشخصية لما لشخصية بوتين الكاريزمية من دور كبير في تحديد السياسة الخارجية بعده صانع القرار الأول في روسيا الإتحادية. إنطلاقاً من ذلك ونظراً لما يتصف بهِ الرئيس بوتين من الغموض الذي اكتسبه من عملهُ في المخابرات فضلاً عن الخبرة المكتسبة على مر التأريخ، كل ذلك ساهم في خلق القرارات التي اعادت بناء روسيا الإتحادية بما يتلاءم ورؤيتهِ لمكانتها العظمى، فموقع روسيا في قلب العالم يجعلها ذات أهمية جيوسياسية متميزة إذ تصف روسيا نفسها بأنها دولة (أوروآسيوية) لا مثيل لها، فمنذ ولايتهِ الأولى وحتى الخامسة فهو لا يزال يسعى في إثبات الدور الروسي. كما ساهمت كل من المبادئ والأيديولوجية السياسية لبوتين في صياغة السياسة الخارجية الروسية فقد تأثر بالنظرية "الأوراسية الجديدة" الداعية إلى الإمبراطورية الروسية التي صاغها العقل الجيبوليتيكي لبوتين "ألكسندر دوغين", وصولاً إلى النظرية الرابعة (الثورة ضد الإستعمار) كبديل عن النظرية الغربية الليبرالية وللخلاص من نزعتها. كل ذلك التطور الداخلي الروسي أدى إلى تنامي دورها دولياً، ففي ظل ما أقدمت عليهِ السياسة الخارجية الروسية بقيادة بوتين من

مواجهات عسكرية في أوكرانيا التي تشكل المجال الحيوي لروسيا الإتحادية وتشكل أهمية كبرى للأمن القومي الروسي فإن أي تهديد يطالها هو وتوظيف مواردها بمثابة تهديد لروسيا وسيادتها.

❖ **أهمية الدراسة**

تتجلى أهمية الدراسة في إمكانية فهم السياسة الخارجية الروسية، من خلال فهم المحددات الجيوسياسية التي تعد من أهم المحددات المادية المؤثرة في صنع السياسة الخارجية، فضلاً عن فهم سلوك وسمات وصفات والخبرة الشخصية أي المحددات الشخصية للرئيس بوتين بكونه متخذ القرار الاساسي في دولته بإعتباره قائد روسي امتد حكمه في خمس فترات، في إتخاذ القرار السياسي الداخلي والخارجي. فقد عادت روسيا في عهده لمكانتها العظمى كلاعب استراتيجي في الساحة الدولية.

❖ **هدف الدراسة**

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح أثر محددات صنع السياسة الخارجية في صناعة القرار السياسي الروسي.

❖ **إشكالية الدراسة**

تنطلق إشكالية الدراسة من السؤال المركزي الآتي: ما هو أثر محددات صنع السياسة الخارجية الروسية في صناعة وتوجيه القرار السياسي الخارجي في عهد بوتين؟ وينبثق من هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية:

- ✓ ما هي المحددات الجيوسياسية المؤثرة على عملية صنع القرار السياسي الروسي؟
- ✓ ما هي المحددات الشخصية المؤثرة على عملية صناعة القرار السياسي الروسي؟
- ✓ ما هي توجهات السياسة الخارجية الروسية في عهد الرئيس بوتين؟

❖ **فرضية الدراسة**

تتأثر عملية صنع السياسة الخارجية الروسية بالمحددات الجيوسياسية والمحددات الشخصية في صناعة وتوجيه القرار السياسي الروسي, بما يتلائم ومتطلبات الموقع الروسي الواقع في قلب الأرض وفقاً لماكيندر, وشخصية الرئيس بوتين وتصوراته وأفكاره الساعية إلى إستعادة الدور الروسي على الساحة العالمية.

❖ **منهجية الدراسة**

لغرض الإجابة على إشكالية الدراسة وأثبات فرضيتها تم الأعتماد على المنهج التحليلي وذلك لأَهميته في تحديد الظواهر السياسية المتعلقة بصانع القرار الروسي، بجمع المعلومات الدقيقة عن صانع القرار لفهم سلوكياته وأثرها في السياسة الخارجية الروسية، بالإِضافة الى المنهج السلوكي وذلك لتحليل سلوكيات صانع القرار السياسي الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لبيان سلوكيات القائد وأثرها على السياسة الخارجية الروسية.

❖ **هيكلية الدراسة**

تتضمن هيكلية هذه الدراسة مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة. يتناول المحور الأول المحددات الجيوسياسية لروسيا الإتحادية، والمحور الثاني المحددات الشخصية للرئيس فلاديمير بوتين، والمحور الثالث السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا.

2. المحددات الجيوسياسية لروسيا الإتحادية

تعد المحددات الجيوسياسية من أهم المحددات المادية المؤثرة في صنع السياسة الخارجية، وبالرغم من التطورات العلمية والتكنولوجية التي شهدها العالم في منتصف القرن العشرين، إلا ان واقع العلاقات الدولية لا يزال متشبثاً في أهمية الثوابت الجغرافية وبالأخص في ظل التطورات التي يحظى بها حقل الجغرافية السياسية (الحديثي، 2021، ص.126)، وقد تكونت هذه المحددات بفعل العامل الجغرافي الذي ينقسم الى جزأين الجغرافية الطبيعية والبشرية، وينبثق من هذه الاخيرة الجغرافية السياسية ومن فروعها علم الجيوبولتكس (**Geo Politic**) أو الجيوسياسية الذي يدرس تأثير السلوك السياسي في تغيير الابعاد الجغرافية للدولة (السلام، 2019، ص.ص. 5-16)، أما الجغرافية السياسية تعنى بدراسة القوى السياسية (شعوب، حركة اجتماعية، دول، ...) في حالتها الساكنة الثابتة وخصائصها المتضمنة للحدود السياسية وعوامل القوة والضعف، فتدرس الجيوبوليتيكا الدولة في حالتها المتغيرة والمتحركة تبعاً للعوامل الداخلية والخارجية التي تهيمن عليها و تحكم تطورها واتجاه نموها، وتوفير احتياجاتها وان كانت وراء الحدود(المجال الحيوي) فهي ترسم خطة لمكانة الدولة مستقبلاً (مطر، 2023، ص.373)، فالفرق بينهما هو دراسة الكيان الجغرافي في حالته الثابتة (الجغرافيا السياسية)، والتقلب والحركية (الجيوسياسية) (دوغين, 2021, ص. 18). اذ تساهم المحددات الجيوسياسية بدعم دور الدولة في سياستها الخارجية بحسب ما تتميز به من ابعاد القوى أي ميزتها الجيوسياسية، وإن دراسة المحددات الجيوسياسية لروسيا الإتحادية لا يمكن

معرفتها الا من خلال دراسة العوامل الجغرافية والتي تشمل موقع الدولة القاري ومساحة الدولة وتضاريسها (الحديثي, ص.ص. 126-127), فهي قد تؤثر بشكل مباشر على قوة عناصر الدولة التي تؤثر في قدرة الدولة على تنفيذ سياستها الخارجية, او بشكل غير مباشر من خلال تأثيرها في نوعية الخيارات المتاحة للدولة لكي تصيغ سياستها الخارجية والتأثير في أفعال النخبة الحاكمة وإن كان يتوقف على مدى إدراك أهمية هذا المتغير وتفسيره لدى صناع القرار, وقد أكد " راتزل"* "إن الجغرافية تمثل الحقيقة الاساسية التي تحدد سياسات الدول"(محمد, 2016).

1.2. الجغرافية السياسية لروسيا الإتحادية

عندما ندرس موقع روسيا الاتحادية في العالم نجد أن الاتحاد السوفيتي كان يضم النصف الشرقي من أوروبا والثلث الشمالي من آسيا، فهو كان يمتد من بحر البلطيق في الغرب إلى المحيط الهادئ في الشرق, وفي عام 1991 تفكك الاتحاد السوفيتي وظهرت على أثره دولة روسيا الإتحادية الوريث الشرعي له وحصلت على ثلاثة أرباع مساحته من العالم (الحديثي، ص.127).

تضم روسيا شمال قارة آسيا وجزء من شرقي أوروبا وجبال الاورال, وهي تقع على المحيط المنجمد الشمالي بين أوروبا والمحيط الهادئ الشمالي بين خطي عرض 41 و 82 شمالاً، وخطي طول 19 شرقاً و169 غرباً، فهي تحتل ثمن مساحة الأرض وهي أكبر دول العالم مساحة اذ تبلغ مساحتها الكلية (17,098) مليون كم2 بعد ضم شبه جزيرة القرم اليها في عام 2014 (Central Asia: Russia, 2016)، يحدها من الشمال (المحيط المتجمد الشمالي وبحر البلطيق) ومن الجنوب (البحر الأسود)، ومن الشرق الاقصى (المحيط الهادئ)، أما من شرق جبال الاورال تحدها (كازاخستان والصين ومنغوليا)، ومن الغرب تجاورها (بيلاروسيا، لاتيفا، إستونيا، فنلندا) بتعداد سكني يصل الى 146 مليون نسمة (مطر، ص.376)، وتتميز روسيا الإتحادية بموقع جغرافي منقطع النظير، فهي تمتد الى أوروبا غرباً، اذ تمثل الجزء الشرقي من أوربا، وإلى آسيا شرقاً، حيث تمتد بمساحات واسعة في عمق القارة الآسيوية لتصل الى حدود اليابان، ووفقاً لذلك

* فريدريك راتزل: عالم الماني (1844 - 1904م) صاحب كتاب الجغرافية السياسية ويعد المؤسس الأول لعلم الجغرافيا الحديثة، تأثر راتزل بفكرة الحتمية البيئية التي تقول بان نشاط الإنسان يخضع لضوابط البيئة الطبيعية وقوانينها بما في ذلك النشاط السياسي للإنسان في ظل التكوين العلمي المتأثر بنظرية داروين والحتمية البيئية صاغ راتزل نظريته والتي مفادها أن الدولة كائن مكاني حي يرتبط مصيره بالمجال الأرضي والدول من اجل البقاء لابد لها من توسيع هذا المجال الحيوي حتى ولو بالقوة، وفي عدم نموها وتوسعها سوف تتراجع قدرتها على المنافسة والتمدد الجيوبوليتيكي وبالمحصلة سوف تنهار... للمزيد انظر الى:
Harriet, Wanklyn. (1961). Friedrich Ratzel a Biographical Memoir and Bibliography. Cambridge University Press. UK.. .P.p 23-24.

الموقع المتميز فإن روسيا الاتحادية تصف نفسها بأنّها دولة (أوروآسيوية) لا نظير لها (محمد، 2021، ص.26)، ونظراً لما تتمتع به روسيا من مساحة كبيرة جعلها تفعم بكم هائل من الموارد الطبيعية كالنفط والفحم والغاز الطبيعي, وأيضاً بالعديد من المعادن مثل الماس، كما ان الممرات البحرية تزيد من حركية الدولة عن طريق السفن الحربية والتجارية مما يعزز القوة العسكرية والاقتصادية للدولة، مما يدفع روسيا لتأمين حركة سفنها من خلال تحسين علاقتها مع الدولة المطلة على تلك الممرات (مرزوك، 2020، ص.81) .

نظراً لضرورة السيطرة على المضائق بنظر القيادة الروسية لأهميتها الاستراتيجية في الوصول الى المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط، فهي تتصل من الجنوب الشرقي عبر مضيق البسفور الذي يعد المخرج الاكثر صلاحية لملاحة السفن الروسية في البحر الأسود الواقع تحت السيطرة التركية الذي يشكل تحدياً أمنياً لها (صالح، 2012، ص.47).

وتبعاً لمساحتها الشاسعة فهي تتمتع بمزايا جغرافية متنوعة بضمها عدداً هائلاً من الأنهار والبحيرات، إذ تحتوي على حوالي (120,000) وأكثرها شهرة هو نهر: (الفولجا، الدنيبر، الاورال، الدنيستر)، إضافة إلى امتلاكها وإطلالتها على البحيرات العذبة والمالحة فهي تصل الى ما يقارب (200,000) بحيرة وأكبرها هو بحر قزوين الذي يعد أكبر مسطح مائي في العالم، وبحيرة بايكال أعمق بحيرة في العالم، كذلك احتوائها على العديد من الموانئ على بحر البلطيق وبحر بارنتس في الشمال وفي الجنوب موانئ البحر الأسود، مما يمنح روسيا ميزة جيوسياسية، مع الأخذ بنظر الإعتبار أهمية القطب المتجمد الشمالي مستقبلاً الزاخر بالموارد الطبيعية (الحديثي، ص.131).

أما التقسيم الجغرافي لروسيا الاتحادية فيوزعها على ثلاث مناطق رئيسة هي: روسيا الأوربية والتي تقع في الاراضي الواقعة غرب جبال الأورال، سيبيريا ممتدة من شرق سلسلة جبال الأورال، الشرق الأقصى الروسي يمتد من نهاية السهوب السيبيرية حتى شواطئ المحيط الهادئ. أما فيما يخص التقسيمات الإدارية لروسيا الاتحادية، فطبقاً لدستور عام1993، تعد روسيا دولة فيدرالية ديمقراطية ذات نظام جمهوري تتكون من (89) وحدة موزعة كالآتي: (21) جمهورية، (6) مقاطعات، (49) إقليماً، (2) مدن فيدرالية (موسكو, وسانت بطرسبورغ)، واقليم ذو حكم ذاتي (الاقليم اليهودي)، و(10) مناطق حكم ذاتي، إن هذه الوحدات لها خاصية جغرافية ودينية مما يجعل السياسية الروسية قائمة على التوافقات الداخلية أحياناً، وهذا عامل يؤثر سلباً في روسيا (صالح، ص. 54).

كل ذلك أدى الى تشكيل تصورات لدى صناع القرار الروس بأن روسيا قوة عظمى، واتضح ذلك من تصريح "بوتين" بعد توليه الحكم بعامين، عندما قال:" نحن قوة عالمية، ليس بسبب أننا نمتلك قوة عسكرية عظمى وقوة إقتصادية محتملة، ولكن نحن كذلك لأسباب جغرافية، سوف نظل موجودين مادياً في أوروبا، وآسيا، في الشمال والجنوب، كما لنا في كل مكان بعض من الإهتمامات والمخاوف" (التقرير الإستراتيجي، 2019، ص.39).

الشكل رقم 02: خريطة توضح الجغرافية السياسية الروسية

المصدر:https://2u.pw/CAjo6Fnk

أما المناخ فيتراوح المناخ ما بين رطب قاري في معظم أراضي روسيا الأوروبية، وشبه قطبي شمالي في سيبيريا، إلى مناخ بارد قارس في القطب الشمالي، ويتراوح الشتاء بين بارد على طول ساحل البحر الأسود إلى متجمد في سيبيريا، أما الصيف فيتراوح بين دافئ معتدل إلى بارد على طول الساحل الشمالي (مرزوك، ص.81)، وعلى الرغم من حالة التجمد في سيبيريا؛ إلا أن هذا المناخ يعد ميزة جيوسياسية، وبالنسبة للجانب العسكري استخدمت روسيا استراتيجية الدفاع بعمق عن اراضيها في الحرب مرتين حينما غزا نابليون روسيا عام1812، وبالانتصار على المانيا في الحرب العالمية الثانية عام 1941 (الحديثي، ص.ص. 130-132).

2.2. التهديدات الجيوبولتيكية

على الرغم من سعة مساحة روسيا القارية إلا إن متطلباتها النوعية تفوقت على معطيات المساحة (مطر، ص. 371)، وبالنظر الى ما تخلقهُ مساحتها الكبيرة من تحدٍ إستراتيجي فقد ساهمت بكثرة عدد دول الجوار التي تعتبرها روسيا إنها اماكن محتملة للأعداء ويسهل على أمريكا من تطويق روسيا عبر "سياسة الاحتواء"، ولذلك يجب على روسيا أن تظهر العدوانية الدفاعية للدفاع عن أمن حدودها (إبراهيم، ص.57)، وعليها أن تخوض صراعاً جيوإستراتيجياً شبه دائماً لتأمين مجالها الحيوي(مرزوك، ص. 86) إذ تُصنف منطقة أورآسيا في الجيوبولتيك ضمن منطقة "قلب الارض" وفقاً لماكيندر* وهو ما يمنح روسيا الاتحادية ميزة جيوسياسية لإمتدادها في الرقعة الأوروآسيوية التي تصل الى حدود اليابان (دوغين،ص.20)، إلا أن التحدي الذي واجهته روسيا الإتحادية في فترة ما بعد الحرب الباردة والذي تجسد في توجه الاستراتيجية الأمريكية لفرض سيادتها على المنطقة الأورآسية كشرط لسيادتها على العالم، وفقاً للنظرية "الماكيندرية الجديدة"** التي قدمها المنظر الأمريكي ومستشار الأمن القومي " زبيغنيو بريجنسكي"* عام 1997، ومن شرط هذه النظرية هو احتواء روسيا الاتحادية لتتمكن الاستراتيجية الامريكية من فرض السيادة العالمية (خشيب،2021).

* هالفورد جون ماكيندر: يعد الجغرافي البريطاني شخصية أساسية في تطور الجغرافيا البريطانية والأهم من ذلك في الجغرافيا السياسية الكلاسيكية. فضل ماكيندر استخدام مصطلح الجغرافيا السياسية بدلاً من الجيوبولتيكس نظراً لارتباط المصطلح الأخير بالسياسة الخارجية التحريفية والعدوانية لألمانيا في فترة ما بين الحربين العالميتين. ساهم ماكيندر في إنشاء مدرسة الجغرافيا في جامعة أكسفورد عام 1899. للمزيد أنظر الى:

Kotoulas, loannis E. (2021). Bibliography of Halford J. Mackinder's Works. National and Kapodistrian University of Athens (NKUA). Greece. P. 106.

** الماكندرية الجديدة: انطلقت افتراضات بريجنسكي من كون المنطقة الاورآسية هي محور الحركة الجيوبوليتيكية وبؤرة اهتمام الجيواستراتيجية, وإن من يتحكم في اورآسيا هو من يتحكم بمناطق العالم التي تتمتع بوفرة التنمية الاقتصادية وأكثرها تقدماً وهما أوروبا وآسيا, وعلى وفق إطروحة بريجنسكي وسعت الرقعة الاورآسية لتمتد من لشبونة الواقعة على المحيط الاطلسي, إلى فلاديفوستيك على المحيط الهادئ, فيشكل غرب أوروبا مجالها الغربي, وروسيا المجال الوسطي, اما الصين فهي في المجال الشرقي, والهند والجزيرة العربية والهلال الخصيب وتركيا وإيران المجال الجنوبي. للمزيد أنظر الى: إسكندر، محمد معزز. (2015). الدور الروسي في الصراعات الدولية الجديدة. رسالة مقدمة الى مجلس كلية العلوم السياسية. الجامعة المستنصرية. العراق. ص. 132.

* زبيغنيو بريجنسكي: وهو بروفيسور أمريكي ومستشار الامن القومي الأمريكي سابقاً، توفي عام 2017عن عمر يناهز 89 عاماً، مثقفا نشأ ونشط في ثلاثة عصور سياسية، لقد كان مدينًا بشخصيته المتمردة وارتباطه بالحرية ووعيه بهشاشتها في فترة ما بين الحربين العالميتين في أسرة لها تقاليد القتال من أجل بولندا وخدمة الدولة، شكلت حركة المقاومة في الدولة المحتلة وما تلاها من استبعاد السوفييت للدولة إحدى النقاط المرجعية المهمة لنشاطه السياسي اللاحق... للمزيد أنظر إلى:

Kupiecki, Robert. (2017). Zbigniew Brzeziński - strateg w świecie wartości, Issn 0209-0961. University of Warsaw. Poland. P.p 13.

وعليه فإن الفكر الاستراتيجي الروسي يبحث في إطار سعيه لإستعادة الدور العالمي والوصول إلى تحقيق المكانة، وإعادة النفوذ الروسي في مجالها الحيوي في أوروبا الشرقية وجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز بعدها مناطق كانت خاضعة للحكم السوفيتي، فضلاً عن أولوية تلك المناطق في سياسة روسيا الخارجية، وتتعداها إلى مناطق أخرى في أسيا وإفريقيا وأوروبا، بيد أن تجعل للمناطق التي كانت خاضعة للسيطرة السوفيتية أولوية استراتيجية؛ لأن النفوذ الغربي في تلك المناطق يهدد مصالحها الإستراتيجية وأمنها القومي وقد استطاعت أمريكا من خلال حلف الناتو اختراق مجال روسيا الحيوي وصولاً للحدود الروسية، بعد انضمام دول تعد مجال النفوذ الروسي وهي دول البلطيق في أذار2004، وأربع جمهوريات هي: (بلغاريا، رومانيا، سلوفاكيا، سلوفينيا)، حيث أصبح الشمال الغربي الروسي منكشفاً أمام الحلف، ونشر الدرع الصاروخي في أوروبا الشرقية، وسعيها لضم اوكرانيا قلب الجيوسياسية الأوراسية (الحسين،2018، ص. 131).

إلا أن وصول "بوتين" إلى القيادة في عام 2000 ورؤيته لروسيا بأنها ذات هوية "أوراسية" وفقاً لأفكار "ألكسندر دوغين"**، وتأثره بالأوراسية الجديدة، وتبنيه لمبادئ جديدة للسياسة الخارجية تتماشى والوضع القائم، وإقامة تحالفات إقليمية ودولية لإقناع الاخرين بتبني النهج الروسي ومعاداة الليبرالية وضرورة تحقيق التوازن الدولي (حنيفة، 2020، ص.ص. 23-35)، كل ذلك يجسد مسعى الاستراتيجية الروسية لتحقيق عدة اهداف تتمثل في الأهداف الامنية الاستراتيجية، والأهداف الاقتصادية (فاضل،2022، ص.126).

وقد أدى تنامي الدور الروسي دولياً، في ظل ما واجهته السياسة الخارجية الروسية من مواجهات عسكرية في أزمة جورجيا عام 2008، والدور الروسي في الأزمة السورية منذ عام2011، وضم شبه جزيرة القرم عام 2014، والحرب الأوكرانية عام 2022، إضافة إلى دور روسيا في دعم الطموحات النووية الإيرانية، إلى فشل "سياسة الاحتواء" الأمريكية لتطويق روسيا الاتحادية من خلال رقعتها الأوراسية، وهو ما أكد عليه "بريجنسكي" في كتابه "رؤية إستراتيجية أمريكا وأزمة السلطة العالمية"*(الحديثي، ص. 133)، وان بوتين

** ألِكسندر دوغين: وهو عالم سياسة ومنظر سياسي وإجتماعي، وأستاذ أكاديمي حاصل على شهادتي الدكتوراه في تأريخ العلم والعلوم السياسية، وهو مؤسس حركة الاوراسية الجديدة، يتجه نشاطه السياسي الى استحداث إقامة دولة روسية عظمى عن طريق التكامل مع الجمهوريات السوفيتية... للمزيد أنظر إلى: فاضل، حسن. (2019). دور الاوراسية الجديدة في تطور الفكر الاستراتيجي الروسي. ط1. بيت الحكمة. بغداد. ص. 70.

* رؤية إستراتيجية أمريكا وأزمة السلطة العالمية: عبر بريجنسكي من خلال كتابه عن تخوفه من خسارة أميركا لعظمتها ونفوذها في حال استمرت في قيادة العالم بصورة أحادية، لذا يجب علىها إشراك قوى فاعلة على قاعدة الشراكة والتعاون مع التمسك بضرورة هيمنة الولايات المتحدة

يدرك ما أدركه بريجنسكي فقد سعى لإستعادة امجاد روسيا، وبالرغم من محاولات امريكا ضم أوكرانيا للغرب الا انه سعى لإبعادها عن التحالفات الجيوسياسية الغربية وابقائها ضمن دائرة نفوذها بعدها قلب اوراسيا النابض (الغويين، 2022).

نستنتج من ذلك أن المحددات الجيوسياسية تلعب دوراً نشطاً في السياسة الخارجية، وبالأخص في ظل وجود قيادة فعالة فمنذ وصول "بوتين" الى السلطة فهو يقف بوجه التوسع الغربي على فضائه الأوراسي، ومحاولة استعادة مكانة روسيا ودورها العالمي في القرن الحادي والعشرين.

3. المحددات الشخصية للرئيس فلاديمير بوتين

يتمتع كل فرد من الافراد بسمات شخصية يتميز بها عن غيره، ويستمدها من الخصائص المجتمعية التي نشأ عليها ومن بيئته المحيطة، وتتعدد العوامل المؤثرة على شخصية الفرد منذ ولادته ما بين إجتماعية سياسية إقتصادية وغيرها، وعلاقاته الفردية سواء كانت قائمة على اختلاط ام عزلة، وسيطرة ام رضوخ، كل ذلك يؤدي الى تشكيل نمط شخصية ذلك الفرد، تبعاً لذلك سنقوم بتوضيح شخصية الرئيس فلاديمير بوتين، وخصائصه المكتسبة التي أهلته لبلوغ مكانة القائد السياسي الروسي.

1.3. المولد والنشأة

ولد "فلاديميروفيتش بوتين" (**Vladimirovich Putin**) في 7 اكتوبر عام 1952 في مدينة لينينغراد (سان بطرسبورغ) حالياً، ينتمي لأسرة[**] متواضعة من العمال حيث أثرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية في تكوين شخصيته وسلوكه، نتيجة للفقر والاوضاع السيئة التي كان يمر بها الاتحاد السوفيتي، التحق بالمدرسة (193) في لينينغراد، وقد عرف بحبه للمشاكسه والخصام، أظهر موهبته في الرياضة منذ الصغر لاسيما السامبو وهي أحدى رياضات المصارعة الروسية المشهورة بالدفاع عن النفس، ثم تحول بسرعة إلى

الامريكية... للمزيد أنظر الى: رسلان، خضر. (2022). هل يحقق بوتين نبوءة بريجنسكي..؟. على الموقع الإلكتروني: https://www.al-binaa.com/archives/330906, تأريخ الزيارة:5-2-2024, وقت الزيارة: 10:01م.

** الأب فلاديمير سبيريدونوفيتش، توفي عام 1999، شارك في الحرب العالمية الثانية وأصيب بجروح بالغة. الجد سبيريدون كان طاهيًا قام بإعداد الطعام عدة مرات للينين وستالين الأم، ماريا إيفانوفا، كانت عاملة في أحد المصانع لها أخوان، كلاهما توفي عن عمر مبكر جدًا. عائلة فقيرة، كانت تعيش في شقة مشتركة مع عدد من العائلات الأخرى... للمزيد أنظر إلى: لاكوير، وولتر. (2016). البوتينية روسيا ومستقبلها مع الغرب. ترجمة: فواز زعرور. دار الكتاب العربي. لبنان. ص. 98.

بطل رياضي في هذه المصارعة ثم أستاذاً لها عام 1973، ثم مارس رياضة الجودو وحصل فيها على الحزام الأسود كما فاز بالعديد من البطولات في (سان بطرسبورغ) (لاكوير, 2016, ص.98).

تخرج بوتين من كلية الحقوق في جامعة لينينغراد عام 1975 (عمارة، 2015، ص.104) ، وأدى خدمته العسكرية في جهاز أمن الدولة الروسي(**KGB**) في نفس العام ولمدة خمسة عشر عاماً، وقد تم ارساله في عام 1984 الى معهد اندروبوف (الراية الحمراء) للتدرب الى رحلته في ألمانيا وبعد ذلك عمل في مكتب الاستخبارات المحلية لجمهورية ألمانيا الشرقية في فترة (1985– 1990)، والتحق بعد ذلك في الحزب الشيوعي السوفيتي واستمر عضواً فيه حتى تم حله عام1991، ثم عاد الى لينينغراد وتولى منصب مساعد رئيس جامعة لينينغراد للشؤون الخارجية منذ عام 1990، حتى أصبح مستشارا لرئيس مجلس مدينة لينينغراد، وقد تولى منصب رئاسة لجنة العلاقات الاقتصادية في بلدية سانت بطرسبورغ عام1991, وفي الوقت نفسه تولى منصب النائب الأول لرئيس حكومة مدينة سان بطرسبورغ منذ عام 1994 (دحمان، 2016، ص.ص. 145-146)، إذ عمل مع أستاذ القانون الدولي (أناتولي سوبتشاك) ليصبح ذراعه اليمنى بعد ان اصبح عمدة سان بطرسبورغ، وبعد فشل سوبتشاك في الحصول على ولاية ثانية عام 1996 استكمل فلاديمير بوتين مشواره السياسي بتعيينه نائب أول لرئيس الإدارة المسئول عن السياسات الإقليمية في عهد يلتسين أيار عام ١٩٩٨، تم تعيينه في عام ١٩٩٩سكرتيراً لمجلس امن الدولة، وقد عرض عليه العمل في الكرملين، وقد بدأ صعوده سريعاً عند وصوله الى موسكو من مسئول في الادارة الروسية الى رئيس جهاز الامن الفيدرالي (**FSB**) الى رئيس للوزراء (محمد، 2019، ص. 278).

2.3. المسار السياسي للرئيس فلاديمير بوتين

أدلى الرئيس الروسي السابق "بوريس يلتسن" بإستقالتهِ في 31 من كانون الاول عام 1999، وتوجه الى الشعب الروسي بخطاب قال فيه:" اطلب منكم الصفح عني لأن احلامكم لم تتحقق، كما اطلب الصفح لأني لم أستطع أن أكون على قدر آمالكم"، وقد أعلن بذلك تسليم منصبه الى رئيس وزرائه بوتين الذي فاز في الانتخابات الرئاسية في 27 من آذار عام 2000 بواقع 53% من الاصوات لولاية مدتها 4 سنوات (محمد، 2019، ص. 41).

منحت شعبية الرئيس فلاديمير بوتين الواسعة وصوله إلى الرئاسة، وسمحت له بلعب دور القائد الحازم والقوي فقد كان عنوان المرحلة القادمة في عهد بوتين:"اذا كان موقف الرئيس بوريس يلتسين في كوسوفو يشكل عنواناً لتعامل الغرب معه، فإن موقف الرئيس بوتين في الشيشان يشكل عنواناً لتعامله هو

مع الغرب"، وهو ما أثار مخاوف الغرب، قد أرسى وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى السلطة إلى تكريس التحولات التاريخية وتعميق التوجه "الأوراسي الجديد" في سياسة روسيا (قلعجية، 2016، ص. 48)، وثمة عوامل أخرى مهمة ساهمت بوصولهِ الى السلطة، فقد اثبت بوتين ولائه الى يلتسين عندما دافع عنه خلال صراعه مع "يوري سكوراتوف"، بالإضافة الى ان بوتين لم يكن يمتلك روابط مع أي مجموعة سياسية ولا يترتب عليه اي التزامات ايديولوجية، وهذا يعد من مقومات بناء روسيا الجديدة (عمارة, ص.ص. 88-89).

وكان نجاح بوتين في ولايته الاولى مفتاحاً لفوزه في الولاية الثانية عام 2004، فقد اعتمد على رؤية إستراتيجية جديدة قائمة على(الواقعية، والعملية والحرص) (مرزوك، ص.96), أما في الولاية الثانية فقد فاز بوتين عام 2004 بنسبة 71% من الأصوات، ليحكم بذلك قبضته على روسيا، ويستمر بمشروعه لنهضة روسيا القوية ومواجهة كل التحديات والتهديدات الخارجية، وبسبب عدم سماح الدستور الروسي ببقاء الرئيس لأكثر من ولايتين متتاليتين، عمل بوتين بدعم رئيس وزرائه ديمتري ميدفيدف بأمر تنفيذي رئاسي, وجرت انتخابات الرئاسة الجديدة في الثاني من آذار 2008 فاز فيها ميدفيديف الذي رشحه "حزب روسيا الموحدة" بالرغم من أنه ليس عضواً في الحزب، وذلك بعد حصوله على 70,28% من أصوات الناخبين، نتيجة لدعم بوتين المباشر وضعف المرشحين المنافسين لهُ، وبحكم علاقة ميدفيدف وبوتين منذ 17 عام فقد كرس ميدفيدف نفسه لخدمة مشروع بوتين ولم يخرج عن شكل السياسة الروسية الخارجية أم الداخلية، وبفضل سيطرة الحزب على البرلمان الروسي أعلن ترشيح بوتين رئيساً للوزراء، ومن أجل بقاء بوتين لمدة أطول في الحكم عمل ميدفيدف على تقديم اقتراح لتعديل مدة ولاية حكم رئيس الجمهورية الى ستة أعوام بدلاً من أربعة وقد حصل على ثقة البرلمان الروسي، وبدأ بالتنفيذ من عام 2012 (محمد، 2019، ص 277-281).

أصبح بوتين بعد ذلك رئيساً للوزراء في الولاية الثالثة عام 2012، بعد ترشيح نفسه في الانتخابات بواقع 64% من الأصوات، مدة تصل إلى ست سنوات، ولإكمال مشروعه في قيادة روسيا فقد عاد بخبرة أوسع وقوة أكبر وأصبح لدية انطباع طويل المدى في السياسة الروسية والتعامل مع الدول، فأدت عودة بوتين الى الحكم في تلك الفترة في زيادة احباطهم، وزيادة شعبية الرئيس بوتين بعد أولمبياد (سوتشي)، وتطورات الأزمة الأوكرانية (محمد، 2019، ص 278-286)، كل ذلك مهد لإعادة انتخاب بوتين لولاية رابعة في عام 2018، وبالفعل قد حقق نجاح ساحق بنجاحه في الانتخابات بنسبة 76% (Wood, 2018, p02), وقد إستمر هذا النجاح حتى تولي بوتين الولاية الخامسة عام 2024 بعد فوزه بالانتخابات الرئاسية بنسبة 87.28% من الأصوات، والتي تنتهي عام2030(Melnic and Cristea, 2024, p 03).

من الممكن القول أن ما يؤثر في السلوك السياسي لبوتين هو شخصيته التي تشكلت من خبرته التي استمدها وتجاربه التي مر بها منذ توليه السلطة، فقد برز بوتين كرجل سياسي يهتم ببناء روسيا الاتحادية وإعادة أمجادها واستعادة نفوذها وانقاذها مما كانت تعاني منه من تدهور وفوضى، بالإضافة إلى الحفاظ على القيم والتقاليد الأساسية.

3.3. السمات الشخصية للرئيس فلاديمير بوتين

إن بوتين وسماته الشخصية ما هو إلا نتاج بيئته فقد صنعته الخبرات التي اكتسبها في بلاده، فعيشه في حي فقير فيما بعد الحرب العالمية الثانية في "سان بطرسبورغ" ترك آثراً كبيراً على شخصيته وولد لديه رغبة ودافع قوي في العيش، وحس وطني وقناعته بأن روسيا عانت الكثير من الظلم، وأن سقوط الشيوعية وتفكك الامبراطورية السوفيتية أدت الى جرح كبير في حياته، فقد ظهر بوتين بملامح الشخصية الوطنية المثابرة التي تهتم بالقضايا الروسية في مرحلة كانت تعاني فيها روسيا من ضعف القيادة (لاكوير، ص.ص. 98-99).

ترك بوتين أثراً كبيراً في روسيا الاتحادية، وفي سياسة الدولة الداخلية والخارجية، لامتلاكهُ الشخصية الكاريزمية المؤثرة والمقنعة في أوساط الشعب الروسي، فهو يملك فكر إصلاحي طموح، مما يجعله صاحب دور رائد في قيادة روسيا إلى ما هي عليه الآن، هذه الشخصية نادراً ما تتعصب أو تظهر عليها ملامح الفرح أو الحزن ولم تظهر عواطفها أمام شاشات التلفاز إلا مرة واحدة عندما توفى مدرس بوتين ومدربه في الكاراتيه، ربما قد يكون لعمله في الاستخبارات هو سبب في تكوين تلك الشخصية، وهو أول رئيس روسي يتكلم اللغات الأجنبية بطلاقة، فهو متكلم لبق في اللغة الالمانية والإنكليزية (راضي، 2021، ص. 53).

يتمتع بوتين بكونه رجل الدولة بإنضباط ومرونة عالية بالتكيف مع الظروف المتنوعة، وصرامة في تطبيق القوانين التي يعتبرها السلوك الصحيح لتطوير روسيا، فشخصية بوتين تؤمن بالتفاوض لحل النزاعات لكن في الأزمات تصبح قوية، بالإضافة إلى تمتعه بحسن السمعة والإرادة القوية في روسيا، ويوجد إعجاب أمريكي غير معلن لشخصية بوتين من ناحية قدرته على ضبط النفس والتمتع بالثقة وعدم الانجرار خلف الاستفزازات الأمريكية المستمرة، وتعاملها مع الاستفزازات بطريقة لينة؛ لكفاءته التنفيذية في إدارة الدولة دون الحاجة للإحتكاك العسكري المباشر أو غير المباشر مع أمريكا، وهذا ما يمكن روسيا من تجاوز العديد من الأزمات الداخلية والخارجية (عبد الحميد، 2015)، إذ يوصف بأنه ديكتاتور وديمقراطي في الوقت ذاته، فهو يمتلك ازدواجية في الشخصية ويتضح ذلك من خلال تعامله مع الغرب ليصنع نظاماً ديمقراطياً، وتكوينه للصداقات مع رجال الأعمال لقناعته بحرية السوق، في حين إنه يتحيز للطرق غير

الديمقراطية لإقرار النظام والانضباط (حسين، 2015، ص.246)، وقد أثر عمله في الاستخبارات على إدراكه وسياسته وتمثيله الشخصية الغامضة، وذكرت مجلة **(Foreign Police)** الأمريكية في تقريرها عن تقارب أسلوب عمل المخابرات الروسي بالمخابرات السوفييتية إلى التكوين الايديولوجي للرئيس بوتين، والذي تربى في بيت المخابرات السوفيتية لما لهذا العمل من طابع السرية والمبادرة الفردية وكره الانشقاق والافراط في الشك (راضي، ص.53)، ونظراً لذلك تتجسد أبرز صفات بوتين بالسمات الآتية: (مرزوك، ص.ص. 146-150)

- ✓ رجل الدولة المهتم بإنشاء وتدعيم الدولة، وبناء الديمقراطية وإدانة الشيوعية وهو من أنصار الأسلوب التدريجي في القيادة، وعلى روسيا الأخذ بمسارها الخاص المعبر عن هويتها؛
- ✓ المنتمي للذاكرة الروسية فهو يميل للرموز التاريخية الروسية، ويتطلع إلى استعادة سبل سلطة الدولة وهويتها؛
- ✓ الرأسمالي المتحفظ فهو يؤيد السوق الحرة ويؤمن بالملكية الخاصة وحرية التجارة وإقتصاد السوق للتعامل مع العولمة وادخال روسيا ضمن مصافي الدول الكبرى اقتصاديا؛
- ✓ العقلاني الواقعي فهو يعتقد بأن تحقيق الانسجام لا يتم إلا من خلال الأسس والقواعد والمعايير التي تحكم العملية السياسية، وحل المشاكل وتقييمها بالمنطق دون العاطفة في مرحلة إتخاذهُ للقرار، فقد استخدم الأسلوب التدريجي في استراتيجيته لقيادة روسيا، ففي خطابه الرئاسي عام 2000 أكد على وحدة الأمة وتوحيد الأهداف، أما في عام 2004 فقد دعا إلى الاصلاحات المجتمعية والاقتصادية، وفي عام 2012 ركز على بناء دولة قوية القائمة على الديمقراطية والحرية، وتعزيز الدور الروسي الدولي والاقليمي بالأخص لقيادة أورآسيا.

نستنتج من ذلك ونظراً لما يتمتع فيه الرئيس الروسي من دور مركزي قوي في السلطة، تشكل رؤيته لبلاده، وفهمه لتأريخها وقيمها، إضافة إلى تجاربه الشخصية السابقة وتصوراته وإدراكه للمواقف، البيئة النفسية لصانع القرار التي تعد محدداً أساسياً في صنع السياسة الخارجية الروسية.

4.3. النخب الفكرية المؤثرة في فكر بوتين

اتبع بوتين سياسة السلطة العامودية التي دعا إليها بريماكوف في عام 1992، مما أدى إلى انتقاده لاتباعه اصلاحات فيدرالية هدفها تركيز السلطة بيد بوتين، وقد تأثر بوتين بأفكار المستشار الروسي "فلاديسلاف سوركوف" الذي يعود إليه الفضل في صياغة مفهوم "الديمقراطية السيادية"* لمواجهة التصورات الغربية، بالرغم من احتواء هذا المفهوم على تناقضات؛ إلا أنه يتماشى مع التطلعات الروسية نحو تعزيز القيم البشرية، مع الأخذ بالاعتبار تقاليدها وطابعها الذي يتسم بالقوميات المتعددة (راضي، ص. 58).

أظهر بوتين تأثره بأفكار بعض الفلاسفة والمفكرين الأوراسيين، فيعتقد البعض بأن بوتين طور إيديولوجية محافظة لتأثره بأفكار الفيلسوف "إيفان أيلين"* الذي يرى بأن روسيا مساحة أورآسية يسكنها الروس، وكان يعتقد بأنهم أمة متفوقة، وأن مهمة روسيا هي إنتاج قائد عظيم ينقذ روسيا ويهزم الغرب، وقد انتقد بفلسفته البلاشفة** والديمقراطية الغربية ودعا إلى قيام ديمقراطية جديدة يقودها قائد يدعوا إلى الوحدة الوطنية، ومرغوب من قبل شعبه ويقاوم الفساد، وهو كما تصفه المصادر الغربية (بالفيلسوف الفاشي) فعلى الرغم من أنه معروف بأفكاره الفاشية إلا أنه عرف أيضاً بأفكاره الليبرالية، وأن هدف الغرب في هذه التسمية يتجسد في ربط صفة الفيلسوف الفاشي بالرئيس بوتين لتأثره بأفكار أيلين، فقد طرح بوتين مجموعة أفكار تتناسب مع رؤية أيلين لأوكرانيا في خطابه الشهير بتاريخ 22 شباط عام 2022 قبل بدء العملية العسكرية في أوكرانيا، وإن أي انفصال لأوكرانيا عن روسيا يجعل منها عدواً لدوداً لروسيا، واعترض أيلين عن إمكانية الفرد في اختيار جنسيته واعتبر هذا مثل أن تقرر الخلايا ما إذا كانت جزءً من الجسم.

* الديمقراطية السيادية: وهو المفهوم الذي يناقض الديمقراطية الموجودة لدى الغرب، ويعرف المفهوم بان كل الديمقراطيات توظف نفس الوسائل، لكن بمسار مختلف مع الأخذ في الحسبان خصوصياتها وعاداتها وتقاليدها التاريخية... للمزيد أنظر الى:

Svetlichnaja, Julia and Heartfield, James. (2010). Sovereign democracy Dictatorship over capitalism in contemporary Russia. Radical Philosophy. Issue 159. London. P. 38.

* إيفان ألكساندروفيتش إيلين (1883-1954): وهو فيلسوف روسي، كاتب وناشر، مؤيد للحركة البيضاء ومنتقد دائم للسلطة الشيوعية في روسيا، أيديولوجي الاتحاد العسكري الروسي، مؤيد قوي لمبدأ التعنت في الحرب ضد الشيوعية، مؤلف أكثر من 50 كتابًا وأكثر من ألف مقال باللغات الروسية والألمانية والفرنسية والإنجليزية... للمزيد أنظر الى:

И.А.ИЛЬИН. (1996). Собрание сочинений Том первый. Москва. С.с 5_10.

** البلاشفة: وهم الثوار الذين قادو الثورة الروسية (البلشفية) عام 1917 خلال الحرب العالمية الأولى حيث غيرت هذه الثورة مجرى التأريخ الروسي اذ ادى اندلاعها الى تكوين الاتحاد السوفيتي الذي تفكك في اواخر القرن العشرين، واندلاع هذه الثورة يعود الى حكم القيصر الروسي المستبد وبطيء تطور الامبراطورية الروسية لوجود نظام سياسي اوتوقراطي وسيطرة النبلاء وملاك الاراضي على نواحي الحياة كافة. أنظر الى: حسين، نجلاء عدنان. (٢٠١٩). الثورة الروسية عام ١٩١٧. مجلة كلية التربية الاساسية. المجلد ٢٥. العدد١٠٤. الجامعة المستنصرية. العراق. ص. ١٥٥٢.

ومما لا شك فيه أن الفيلسوف أيلين هو أحد الأفراد الذين تأثر بهم بوتين وعبر عن إعجابه بكتاباته في أكثر من مناسبة (تفكيك الشفرة البوتيتية، 2022، ص.ص. 10-13).

ومن أبرز المفكرين الذين كان ولا زال لهم تأثير واضح على عقيدة بوتين هو المفكر الروسي "الكسندر جليفيتش دوغين"*** إذ يعد العقل الاستراتيجي والآيديولوجي المؤثر في السياسة الروسية الاقليمية والعالمية، والعقل المدبر للرئيس بوتين، وتنطلق فلسفة دوغين حول اورآسيا كعقيدة روسيا الجديدة من أفكار العالم "نيكولاي تروبسكوي" مؤسس النظرية الاورآسية التقليدية (دوغين، ص. 2).

عمل "دوغين" على تطوير الأفكار التي جاء بها "سافيتسكي" وتحويل أفكارهُ إلى مشروع جيوبوليتيكي من ضمن الاستراتيجية الروسية؛ لمواجهة الهيمنة الأمريكية وقيادة العالم الأوراسي، فظهرت (الأوراسية الجديدة) بعد أو قبل تفكك الاتحاد السوفيتي بفترة قصيرة، وقد تأثر العسكريون الروس والمخططون الاستراتيجيون بفلسفة دوغين، فرغم تحول روسيا الى دولة ليبرالية وصعود سياسيين متغربنين عملوا على دمج روسيا بالغرب الثقافة الغربية والتنازل الذي قدمته روسيا للناتو؛ إلا أن زحف الناتو وتهديده لروسيا والتوسع نحو مجالها الحيوي ومحاولة تفكيكها لم تتوقف (دوغين، ص.ص. 87-89)، فبرز تساؤل لدى دوغين هو "كيف تهاجم قوى ليبرالية غيرها من القوى الليبرالية؟"، ومن هنا أسس دوغين المدرسة الجيوبوليتيكية الأوراسية لملىء الفراغ الاستراتيجي الروسي (فرنسيس، 2019، ص. 157), وقد بدأت تتضح الأفكار الأوراسية في خطابات بوتين منذ عام 2000 كتطبيق سياسي في السياسات الداخلية والخارجية(عالمياً وإقليمياً) على حساب الليبرالية الديمقراطية الغربية، حيث اعلن بأن روسيا هي دولة "أورآسية" وليست اوروبية أو أسيوية (Dugin, 2014, pp30-35)، وتتمثل أبرز منطلقات النظرية الاوراسية الجديدة في الآتي: (مطر، ص.ص. 13-16).

- ✓ إنها مشروع مقابل للعولمة الغربية للرد الحاسم على سياسة الهيمنة الغربية على مختلف الجوانب من خلال إرساء نمط من التحالفات والكيانات السياسية في القارة الأوراسية لا على

*** ألكسندر جيليفيتش دوغين: بالروسية (Александр Гельевич Дугин)، من مواليد (7 يناير 1962) هو فيلسوف وناشط روسي، وهو أحد مؤسسي المدرسة الجيوسياسية الروسية والحركة الأوراسية، ويعتبر أحد أهم دعاة الفكر المحافظ الروسي الحديث في خط السلافوفيليين،... للمزيد أنظر الى:

Dugin, Alexander. (2014). Eurasian Mission: an Introduction to Neo-Eurasianism, Arktos Media Ltd . UK. On Website: https://www.goodreads.com/en/book/show/24700517, Date of Visit:20-2-2024, Visit Time: 5:00Pm.

أساس الهيمنة؛ إنما على أساس التكاملية، ومنح الثقافات المحلية الحق المطلق لتبلور أقطاب متعددة ولكن في إطار إرادة سياسية موحدة تعمل على مواجهة نظام القطب الواحد والعولمة.

- ✓ إنها ايديولوجية أوراسية أرثوذكسية محافظة غير قومية وغير إثنية شاملة،
- ✓ عدم قبول القومية الروسية المنغلقة على حدود روسيا الاتحادية، فيؤمن دوغين ان الشعب الروسي هو شعب إمبراطوري، وقد تضمن المشروع الاوراسي خطين إستراتيجيين* لبناء العلاقات وترسيخها في القارة الأوراسية؛
- ✓ تسعى الأوراسية لإقامة امبراطورية أوراسية قائمة على أسس الوحدة الاستراتيجية والتعددية العرقية.

4. أوكرانيا

لطالما سعت روسيا على مر التاريخ في التحكم بالأوضاع الإقليمية وترسيخ مكانتها في النظامين الإقليمي والدولي، وهو النهج الذي سارت عليه روسيا السوفيتية من خلالها دمجها للدول والجمهوريات التي تقع على حدودها من أوروبا الى آسيا؛ تلبيةً للمخاوف الأمنية والأهداف التوسعية، وهو ما تسعى إليه روسيا بوتين في الخروج من نطاق بيئتها الإستراتيجية الداخلية، وتوظيف البيئة الإستراتيجية الإقليمية لإسناد سلوكياتها على النطاق الدولي، لأن أي دولة لا يمكن أن يكون لها دور على المستوى الدولي إذا لم يحظى هذا الدور بالمقبولية الإقليمية طواعيةً أو إجباراً، لغرض تحقيق طموحاتها الساعية لإستعادة المكانة العالمية الروسية (الطائي، 2016، ص.ص. 24-26).

1.4. الأهمية الجيوسياسية لأوكرانيا في الإدراك الإستراتيجي الروسي

تُعد أوكرانيا من دول الجوار القريب المهمة لروسيا إذ تحاول روسيا إعادة السيطرة عليها أبان الفترة السوفيتية. فالموقع الإستراتيجي لأوكرانيا يجعل منها دولة مهمة عالمياً، إذ تتمتع بموقع إستراتيجي مهم على مفترق طرق بين قارتي أوروبا وآسيا، وهي الأساس الذي يقف عليهِ توازن القوى في المنطقة التي تمتد صعوداً إلى روسيا وغرباً نحو أوروبا الشرقية التي تسهم في ضبط الأمن في أوروبا الوسطى والشرقية، بعدها ممراً

* تمثل الاول في بناء الاتحاد الاوراسي في حدود الاتحاد السوفيتي سابقاً على اساس لامركزي في الحكم وبشكل طوعي, اما الثاني فتجسد في بناء تحالفات وتفاهمات في محاور اساسية وهي " محور موسكو- طهران" و"موسكو- بيجين" و "موسكو- دلهي", وتعزيز التحالفات الاقليمية مثل منظمة شنغهاي. للمزيد أنظر الى: شريح, محمد عادل. (2014). روسيا "الأوراسية" وقضايا المشرق العربي. مجلة سياسات عربية. العدد8. المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات. قطر.. ص.ص. 23-24.

لأنابيب الغاز بإتجاه دول غرب أوروبا وآسيا (علي، 2011، ص.ص. 19-20). كما أن أقرب الطرق من روسيا إلى البلقان والبحر الأبيض المتوسط تمر عبر أوكرانيا التي تعد القاعدة الأساسية لأسطول البحر الأسود الروسي في مدينة "سيفاستوبول" في شبه جزيرة القرم، وهو ما يسمح بحضور قوة روسية مؤثرة في منطقة البحر الأسود والأبيض المتوسط، ويعطي لروسيا حرية الملاحة البحرية، والقدرة على الانتشار الإستراتيجي (القرني، 2022، ص.ص. 14-15). ولا يخفى أهمية الصناعات الزراعية والعسكرية والمعادن الأوكرانية والطاقة الكهربائية (Golani, 2011, pp 39-40).

فتُعد أوكرانيا ذات أهمية جيوإستراتيجية* وإقتصادية وأمنية لروسيا، وهي منطقة المصالح المتميزة والحصن والعمق الاستراتيجي الأخير الذي يعزلها عن الغرب وحلفائه (قدوة، 2014، ص.44). فضلاً عن المشاعر القومية الروسية تجاهها إذ ينتمي الروس والأوكرانيون عرقياً إلى الفرع السلافي الشرقي وديانتهم السائدة هي المسيحية الأرثوذكسية وموسكو هي مركزها الرئيسي، وهناك العديد من السكان الأوكرانيين الناطقين بالروسية، لذلك فالمشاعر الموالية لروسيا قوية في أوكرانيا خاصةً في مناطقها الشرقية ** (قيطة، 2018، ص.ص. 196-197).

أما جيوبوليتيكياً ووفقاً لما يرى عالم الجيوبوليتيك "ماكيندر" إن موقع أوكرانيا في شرق أوروبا يُشكل جزءاً أساسياً من منطقة أوراسيا، فهي تُعد منطقة قلب الأرض، والتي صاغ فيها نظريته القائلة: "ان من يحكم شرق أوروبا، سيحكم قلب الأرض, ومن يحكم قلب الأرض سيحكم العالم"، والتي أكد فيها على أهمية أوكرانيا الإستراتيجية كونها أحد المفاتيح الرئيسية للسيطرة والتحكم بالعالم (Makinder, 1921, p150)، كما ربط "بريجنسكي"* بين زعامة روسيا للإمبراطورية الأوراسية، وبين علاقتها مع أوكرانيا، فإن فقدان

* الجيوإستراتيجية: هي التخطيط السياسي والإقتصادي والعسكري الذي يهتم بكل مكونات العامل الجغرافي لمنطقة معينة, ودورها من حيث إمكانية إستخدامها في تحليل أو تفهم المشكلات الإقتصادية, أو السياسية ذات الصفة الدولية. أنظر إلى: فهمي, عبد القادر محمد. (2009). المدخل إلى دراسة الإستراتيجية. ط2. جامعة بغداد. العراق. ص.ص. 71-72.

** إذ يفضل سكان (7 من أصل 9) مناطق استخدام اللغة الروسية والمناطق التي تهتم بها روسيا هي: القرم وتضم 68% من الروس, والدونباس من 20-40%(تتفاوت بين 45% في دونيتسك ولوجانسك, و20% في خيرسون وميكولايف, و28% في أوديسا). أنظر إلى: معتمد, عاطف. (2024). روسيا وأوكرانيا- حرب عالمية غير معلنة. ط1. دار الشروق. مصر. ص. 86.

* وبناء على ذلك إقترح "بريجنسكي" إستراتيجية على الولايات المتحدة الأمريكية تتعلق بتكثيف الجهود في أوكرانيا والبحث عن طرق تحررها, وقطع مجال النفوذ الروسي الى قسمين شمالي وجنوبي كما أكد أن أوكرانيا عندما تكون مستقرة وديمقراطية فهي تُمثل ثقلاً موازياً لروسيا، وأن روسيا من دونها لن تكون إمبراطورية كبرى. للمزيد أنظر إلى: بريجنسكي, زبيغيو., (2008). رقعة الشطرنج العظمى التفوق الأمريكي وضروراته الجيوستراتيجية الملحه. ترجمة: سليم ابراهام. ط4. دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة. سوريا. ص.ص. 55, 126,127.

أوكرانيا سيعرقل موسكو في سعيها لاستعادة نفوذها على الفضاء السوفيتي السابق، وسيقودها إلى نزاعات مع الشعوب غير السلافية (قيطة، ص. 200).

2.4. السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا.

كانت أوكرانيا جزءاً من الاتحاد السوفياتي السابق، وأحد المؤسسين لهذا الكيان عام 1922، وحصلت على الاستقلال مرة أخرى قبل تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991 بأيام فقط (بشارة, 2022، ص. 18). وقد وصف "بوتين" عام 2005 سقوط الإتحاد السوفيتي بأنه" أعظم كارثة جيوسياسية في القرن العشرين" (سكلادانوفسكي،2022)، وهو ما يكلف روسيا فقدانها لعمقها الإستراتيجي، فإن إحتمال إنضمام أوكرانيا الى حلف الناتو، يعد تقزيماً للدور الروسي في المنطقة وتعظيماً للدور الأمريكي، باقتراب المهددات الجوية والصاروخية من حدودها (القرني، ص.ص.13-15).

ووفقاً لعقيدة "بوتين" العسكرية الرافضة لوجود حلف الناتو على حدوده وتهديد موسكو مباشرة (الشافي، 2022)، شنت روسيا عملاً عسكرياً على شبه جزيرة القرم وفرضت سيطرتها عليها عام2014، كما عزز "بوتين" ملكية أوكرانيا بخطاب ألقاه في نفس العام أمام مجلس الدوما يقول فيه " في قلوب الناس وعقولهم لطالما كانت القرم جزء لايتجزء من روسيا..." (القرني, ص. 18), وثم حشد القوات الروسية على الحدود الأوكرانية ودعم الحركات الإنفصالية والإعتراف بإنفصال الجمهوريات الأوكرانية عنها بعد الإستفتاء وهي (دونيتسك ولوغانسك في إقليم دونباس شرق أوكرانيا، وخيرسون جنوبها وزاباروجيا جنوب شرق) في21 فبراير عام2022 (عليبه، 2023، ص. 8)، فضلاً عن شن حرب فعلية على أوكرانيا في 24 فبراير 2022، فقد أكد بوتين أن السياسة الخارجية الروسية بحاجة الى حزام صديق على الحدود الروسية، وأن خطوة شن هذه الحرب حدثت لحاجة روسيا الى ترتيبات أمنية جديدة في أوروبا يتم فيها الإعتراف بمكانة روسيا العظمى ومجالها الحيوي، وعدم السماح لأوكرانيا في نيل عضوية الناتو سواء عبر تعد أمريكي أو عبر جهود روسيا العسكرية لضمان أمنها القومي (طالب، 2023، ص. 504).

الشكل رقم 02: يوضح المناطق الأوكرانية التي سيطرت عليها روسيا

المصدر: https://n9.cl/1mq5f

يتضح من خلال هذه الخريطة بنجاح روسيا في تحقيق أهم هدف إستراتيجي لها من الحرب في بناء جسر بري على طول الساحل الجنوبي الأوكراني، وإنفرادها ببحر "أزوف" في الجنوب والمنافذ المائية في القرم.

كما تتجسد مساعي روسيا في هذه الحرب إلى تحقيق أهدافها المتمثلة في الآتي: (العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا، 2022، ص. 4)

- ✓ الإطاحة بالحكومة الأوكرانية وتشكيل حكومة جديدة موالية إلى روسيا الإتحادية؛
- ✓ إعادة بناء نفوذها في شرق أوروبا وخاصة في الجمهوريات السوفيتية السابقة (أوكرانيا، بيلاروسيا، أستونيا، لاتيفيا، وليتوانيا). وبناء جسر بري يربط كل من (القرم-ماريوبول-خيرسون-أوديسا وصولاً إلى شرق مولدوفا).
- ✓ أحباط مخطط حلف الناتو في ضم أوكرانيا، وتحويلها الى قاعدة أوروبية مجاورة لروسيا؛
- ✓ تشكيل نظام عالمي جديد بالتعاون مع الصين.

أن الدعم الغربي لأوكرانيا في حربها مع روسيا، عرقل من التقدم الروسي إلى العاصمة كييف, فقد ساهمت كل من أمريكا والدول الأوروبية بتزويد أوكرانيا بدعم عسكري هائل (عبيد, 2023, ص.180). حيث واجهت روسيا ذلك بتعميق ازمات الدول الأوروبية وإستغلال زيادة الطاقة لاستنزاف الغرب، وإعادة هيكلة الجيش الروسي (طالب، ص. 9). فضلاً عن إصدار المرسوم الروسي لمصادرة الأصول الأمريكية في روسيا في عام 2024, والتي تشمل الأوراق المالية والعقارات والمنقولات وحقوق الملكية والحصص في الشركات الروسية، رداً على تشريع واشنطن قرار يسمح لإدارة الرئيس **"جو بايدن"•** بمصادرة الأصول الروسية الموجودة في البنوك الأميركية ونقلها إلى أوكرانيا، وهو ما وصفته موسكو بأنه غير قانوني، ويستخدم لدعم الدفاع الأوكراني (2024, Putin signs decree authorizing confiscation of US companies).

نستنتج من ما سبق ان روسيا الإتحادية ترى في أوكرانيا محورها الجيوبوليتيكي ومجالها الحيوي المتمثل بقلب العالم والذي تتمكن من خلاله إستعادة مكانتها العظمى، ومنذ وصول الرئيس بوتين وهو يحاول احياء أمجاد روسيا والحفاظ على أمنها القومي من أي قوى غربية ساعية لتقييد الدور الروسي، فالحرب الأوكرانية ما هي إلا حرب جيوبوليتيكية بين روسيا والغرب.

5.الخاتمة

شكلت شخصية رجل المخابرات الغامض ذو الخبرة والقائد الموالي لأعراف بلده وتقاليدها وللإمبراطورية السوفيتية دوراً كبيراً في إعادة احياء الدور الروسي على الساحة الدولية بعد توليه الحكم عام 2000، من خلال توجيه السياسة الخارجية بما يخدم الأهداف المرجو تحقيقها، وقد تنوعت المحددات المؤثرة في صنع السياسة الخارجية ما بين المحددات الجيوسياسية والتي تجسدت برغبة بوتين في حماية فضائه الأوراسي من الغرب، واستعادة مكانة روسيا ودورها العالمي، ولما يمتلكهُ بوتين من شخصية مؤثرة في سياسة روسيا الخارجية إذ تعد رؤيتهِ وإدراكهِ لقيم بلاده، فضلاً عن تجاربه وإدراكه وتصوراته للمواقف دوراً كبيراً في سياسة روسيا الخارجية، فقد تبنى بوتين "البوتينية" الرافضة لهيمنة قطبية الأحادية كأهم هدف تسعى روسيا لتحقيقه، وقد تأثر بأفكار العديد من المفكرين وأبرزهم هو دوغين أو كما يسمى "عقل

• جوزيف روبينيت بايدن: وهو الرئيس السادس والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية تم إنتخابه عام 2021إلى الآن, وهو سياسي أمريكي متمرس ولد في سكرانتون بولاية بنسلفانيا عام 1942, شغل عضو مجلس الشيوخ, وهو من أكثر القادة خبرة ومعرفة في السياسة الخارجية, التحق بجامعة ديلاوير, وحصل على درجة الدكتوراه في كلية الحقوق عام 1968. أنظر إلى:
Osnos, Evan. (2020). Joe Biden The life, (The Run, and What Matters Now). Scribner . New York. P.p1-2.

بوتين" لإستعادة الأمبراطورية الروسية، حيث عدَّ دول الكومنولث المستقلة (الخارج القريب) أولوية في سياسته الخارجية لإبعاد النفوذ الغربي فيها والحد من توسع حلف الناتو نحو المجال الحيوي الروسي، فلا يمكن لأي دولة أن تحظى بدور عالمي وهي لا تمتلك دور فاعل إقليمياً، وهو ما تمثل بالحرب الروسية-الأوكرانية التي لا تزال قائمة، والتي تسعى فيها روسيا للحفاظ على هيمنتها في حدودها الجنوبية من خطر الاستعمار الغربي الداعم لأوكرانيا، الذي يرمي الى القضاء على مشروع الأمبراطورية الروسية وعدم السماح لروسيا بإستعادة مكانتها العظمى عبر تقييد الدور الروسي في مجالها الحيوي.

ومن خلال ما تقدم، توصلنا لمجموعة من النتائج التي يمكن عرضها بالشكل الآتي:

- ✓ لقد شكل قدوم الرئيس بوتين إلى سدة الحكم في روسيا منذ ولايته الأولى تطوراً ملحوظاً في السياسة الخارجية الروسية وفي تنامي الدور الروسي على الساحتين الإقليمية والدولية، لتحقيق الهدف الروسي الأسمى المتمثل بإستعادة المكانة والدور الروسي الفاعل؛
- ✓ تؤثر المحددات الجيوسياسية على أمكانيات الدولة في تنفيذ سياستها الخارجية، من خلال أدراك صانع القرار لأهمية هذا المتغير ودورهُ الفاعل في صياغة السياسة الخارجية الروسية، وهو ما يتمثل بالتصدي الروسي للتوسع الغربي في مجالها الحيوي؛
- ✓ أضافةً إلى المحددات الجيوسياسية شكلت المحددات الشخصية أهمية لا تقل عن سابقتها، حيث أثرت المحددات الشخصية للقائد السياسي ورجل الاستخبارات بوتين في عملية صنع وتوجيه السياسة الخارجية الروسية، إذ تميزت الشخصية البوتينية بالحس الوطني والاصلاحي والكاريزمي؛ حيث يؤمن بوتين بإمكانية القدرات الروسية في خلق الأمبراطورية الأورآسية والحفاظ على الخارج القريب خالٍ من التهديدات الغربية؛
- ✓ ينبع التوجه الروسي تجاه أوكرانيا من رؤية المفكر الإستراتيجي الروسي "دوغين"، الذي يرى بأن أوكرانيا تشكل المرتكز الجيوبوليتيكي الذي تشكل من خلاله روسيا الإتحاد الروسي، كما أن أوكرانيا لا تمتلك أي تفرد سواء بثقافة أو جغرافيا أو تنوع عرقي, وتعد سيادتها ظاهرة سلبية لقدرتها بإثارة الصراعات العسكرية بتعاون الغرب في المجال الحيوي الروسي.
- ✓ تعد أوكرانيا منطقة إستراتيجية مهمة لروسيا فهي منطقة الحصن والعمق الإستراتيجي الذي يعزل روسيا عن الغرب، كما أنها وفي كثير من نظريات الجيوبوليتيك تقع في قلب العالم، مما

يجعل منها نقطة انطلاق روسية، لاستعادة المكانة وللحفاظ على أمنها القومي في مجالها الحيوي، ومنع تقييد الدور الروسي وتغريب المنطقة، من خلال الحرب الجيوبوليتيكية بين روسيا والغرب في المنطقة.

6. قائمة المصادروالمراجع

1.6 المراجع العربية

- ابراهيم، عبد الجبار إسماعيل. (2023). السياسة الخارجية الروسية تجاه تركيا بعد العام 2011: المحددات والدوافع. رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم السياسية. العراق: جامعة بغداد.
- أبو حنيفة, الوليد. (2020). التوجهات العامة الجديدة لسياسة الخارجية الروسية في عهد الرئيس بوتين تجاه الشرق الاوسط. مجلة مدارات سياسية. المجلد 4. العدد2. الجزائر: جامعة الجزائر.
- إسكندر, محمد معزز (2015). الدور الروسي في الصراعات الدولية الجديدة. رسالة مقدمة الى مجلس كلية العلوم السياسية. العراق: الجامعة المستنصرية.
- بشارة, عزمي. (2022). روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو: تأملات في الإصرار العجيب على عدم تجنّب المسار المؤدي إلى الحرب. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- تفكيك الشفرة البوتينية عرابو فكر فلاديمير بوتين.(2022). مديرية الدراسات الاستراتيجية, العدد56, لبنان: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق.
- تقرير الإستراتيجي. (2019). روسيا بوتين والجغرافيا السياسية. العدد 179 . تونس: منظمة الطليعة العربية.
- الحديثي, محمد معزز اسكندر. (2021). المنطلقات الفكرية للسياسة الخارجية الروسية منذ عام 2000. أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم السياسية. بغداد: جامعة النهرين.
- حسين, احمد سيد. (2015). دور القيادة السياسية في إعادة بناء الدولة روسيا في عهد بوتين. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حسين, نجلاء عدنان. (٢٠١٩). الثورة الروسية عام ١٩١٧. مجلة كلية التربية الاساسية. المجلد ٢٥. العدد١٠٤. العراق: الجامعة المستنصرية.
- خشيب, جلال .(2012). زبيغنيو بريجانسكي والماكندرية الجديدة. الحوار المتمدن. على الموقع الألكتروني: https://m.ahewar.org/s.asp?aid=320227&r=0.
- د.ن. (2022). عمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا (الأسباب والأهداف والنتائج). العراق: مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية.
- د.ن. https://arabic.cnn.com/world/article/2024/02/22/russia-controlled-map-infographic.
- د.ن. https://bit.ly/4eJZAri .
- دحمان, قاسم. (2016). السياسة الخارجية الروسية في اسيا الوسطى والقوقاز. ط1. لندن: آي-كتب. لندن.

- دوغين, ألكسندر. (2021). الخلاص من الغرب الأوراسية الحضارات الارضية مقابل الحضارات البحرية والاطلسية. ترجمة: علي بدر. ط1. بغداد: مكتبة دار ألكا.
- دوغين, الكسندر. (2021). جغرافية السياسية في روسيا. ترجمة: عاطف معتمد وآخرون. ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- راضي, دعاء عباس. (2021). السلوك السياسي للقادة ومتطلبات تحديث النظام السياسي في روسيا الاتحادية (فلاديمير بوتين) أنموذجاً. رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية العلوم السياسية. العراق: جامعة بغداد.
- رسلان, خضر. (2022). هل يحقق بوتين نبوءة بريجنسكي...؟. على الموقع الإلكتروني: https://www.al-binaa.com/archives/330906.
- سكلادانوفسكي, مارسين. (2022). مهمة روسيا في نظر دوغين. ترجمة: نور الدين علاء الأسفي الحوار المتمدن. العدد 7208. على الموقع الإلكتروني: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=751711.
- شافي, عصام عبد. (2022). الحرب الروسية الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي. مركز الجزيرة للدراسات.على الموقع الإلكتروني: https://studies.aljazeera.net/ar/article/5361.
- شريح, محمد عادل. (2014). روسيا "الأوراسية" وقضايا المشرق العربي. مجلة سياسات عربية. العدد8. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- صالح, شيماء تركان. (2012). السياسة الخارجية الروسية حيال القضايا الدولية الانتشار النووي إنموذجاً. رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية العلوم السياسية. العراق: جامعة النهرين.
- صالح, شيماء تريكان . (2012). السياسة الخارجية الروسية حيال القضايا الدولية الانتشار النووي أنموذجاً. رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم السياسية. بغداد: جامعة النهرين.
- طالب, حفيظة. (2023). نظرية المجال الحيوي كمحدد لسياسة روسيا الخارجية تجاه أوكرانيا (فترة حكم الرئيس بوتين). المجلة الجزائرية للدراسات السياسية. المجلد 10. العدد 01 الجزائر: جامعة بومرداس.
- طائي, طارق محمد ذنون. (2016). الفكر الإستراتيجي الروسي في القرن الواحد والعشرين (دراسة تحليلية في ضوء الوثائق الرسمية الروسية). ط1. الأردن: دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.
- عبد الحسين, حسن ناصر. (2018). تحديات استعادة المكانة الدولية لروسيا الاتحادية. العدد50. العراق: جامعة الكوفة.
- عبد الحميد, حسن سعد. (2015). دراسة في شخصية صانع قرار دولي "فلاديمير بوتين وباراك أوباما". المركز الديمقراطي العربي. على الموقع الإلكتروني: https://democraticac.de/?p=20541.
- عبد السلام, محمد. (2019). الجيوبولتيكا علم هندسة السياسة الخارجية للدول. مصر: دار الكتاب.
- عبد مرزوق, ربا صاحب. (2020). القيادة ودورها في الاداء الاستراتيجي للدولة. مجلة المعهد. العدد 2. بغداد: جامعة النهرين.
- عبيد, إبراهيم يوسف. (٢٠٢٣).النظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة تطبيقية على حالتي الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ والحرب الروسية على أوكرانيا ٢٠٢٢. مجلة دراسات إقليمية. المجلد١٧. العدد٥٧. فلسطين: كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأقصى.

- علي, آمنة محمد. (2011). فرص إنضمام أوكرانيا الى الإتحاد الأوروبي. سلسلة أوراق دولية. العدد 206. مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية. العراق: جامعة بغداد.
- عليبه, أحمد. (2023). كيف تطورت خرائط الحرب الروسية الأوكرانية؟ عام على الحرب الروسية -الأوكرانية: تحولات ومسارات. تحرير: محمد عباس ناجي. مصر: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية.
- عمارة, سامي . (٢٠١٥). بوتين صراع الثروة والسلطة، ط1. المنصورة: دار نهضة مصر.
- غويين, فيصل. (2022) أوكرانيا: رقعة الشطرنج الكبرى. وكالة عمون الاخبارية. على الموقع الإلكتروني: https://www.ammonnews.net/article/685932.
- فاضل, حسن. (2019). دور الاوراسية الجديدة في تطور الفكر الاستراتيجي الروسي. ط1. بغداد: بيت الحكمة.
- فاضل, عمار باسم. (2022). المجال الحيوي في مُدرك صانع القرار الروسي بعد عام 2000. رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية العلوم السياسية. العراق: جامعة بغداد.
- فرنسيس, فيرونكا حليم. (2019). جيوبوليتيك السياسة الخارجية الروسية. المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية. العدد8. مصر: جامعة الاسكندرية.
- فهمي, عبد القادر محمد. (2009). المدخل إلى دراسة الإستراتيجية. ط2. العراق: جامعة بغداد.
- قدوة, عماد. (2014). محورية الجغرافيا والتحكم في البوابة الشرقية للغرب: أوكرانيا بؤرة للصراع. مجلة سياسيات عربية. العدد9. الدوحة: المركز العربي للأبحاث والدراسات.
- قرني, أحمد بن ضيف الله. (2022). أوكرانيا في الجيوبولتيك الروسي. السعودية: المعهد الدولي للدراسات الإيرانية.
- قلعجية, وسيم خليل. (2016). روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين. ط1. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- قيطة, مراد بن. (2018). العمق الحيوي: مكانة أوكرانيا في المنظور الإستراتيجي الروسي. مجلة آفاق للعلوم. العدد11. الجزائر: جامعة الجفلة.
- لاكوير, وولتر. (2016). البوتينية روسيا ومستقبلها مع الغرب. ترجمة: فواز زعرور . لبنان: دار الكتاب العربي.
- محمد, عربي لادمي. (2016). السياسة الخارجية دراسة في المفاهيم, التوجهات والمحددات. المركز الديمقراطي العربي, برلين. على الموقع الإلكتروني: https://democraticac.de/?p=41719.
- محمد, مروان حج. (2019). صعود روسيا الاتحادية وتحولات النظام الدولي. في مجموعة مؤلفين. الحرب الباردة الثانية تغير الجغرافيا وتعدد الفواعل. المانيا: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
- محمد, وليد حسن. (2016). دور الرئيس بوتين في رسم الاستراتيجية الروسية الجديدة. مجلة دراسات دولية. العدد 64-65. مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية. العراق: جامعة بغداد.
- مطر, إبراهيم حردان. (2023). مازق روسيا الجيوبولتيكي جيوبلتيكيا الطموح. في مجموعة باحثين. لوحة الجيوبولتيك دراسة في اسباب ونتائج الحرب الروسية على اوكرانيا. تحرير: سرمد أمين. ط1. العراق: كلية القانون والعلوم السياسية الجامعة العراقية.
- معتمد, عاطف. (2024). روسيا وأوكرانيا- حرب عالمية غير معلنة. ط1. مصر: دار الشروق.

2.6 المراجع الأجنبية

- Central Asia: Russia. (2016). The world Fact Book. Central Intelligence Agency. Washington. on WebSite: https://bit.ly/3zUBnj8.
- Dugin, Alexander. (2014). Eurasian Mission: an Introduction to Neo-Eurasianism, Arktos Media Ltd . UK. On Website: https://bit.ly/3ZNvm2g .
- Dugin, Alexander. (2014). Eurasian Mission: An Introduction To Neo-Eurasianism. (2008). United Kingdom: Arktos Media.
- Golani, Helena Yakovlev. (2011). Two Decades of the Russian Federation's Foreign Policy in the Commonwealth of Independent States: The Cases of Belarus and Ukraine. Jerusalem: University of Jerusalem.
- Harriet, Wanklyn. (1961). Friedrich Ratzel a Biographical Memoir and Bibliography. UK.: Cambridge University Press.
- Kotoulas, loannis E. (2021).Bibliography of Halford J. Mackinder's Works. National and Kapodistrian . Greece: University of Athens (NKUA).
- Kupiecki, Robert. (2017). Zbigniew Brzeziński - strateg w świecie wartości, Issn 0209-0961. Poland: University of Warsaw.
- Makinder, Halford J. . (1921). Democratic Ideals And Reality. New York: Henry Olt And Company.
- Melnic, Cristina ,Cristea. (2024). What to expect after the reelection of the Russian president?. Romania: New Strategy Center.
- Osnos, Evan. (2020). Joe Biden The life. (The Run, and What Matters Now). New York: Scribner .
- Ostiller, Nate ,The Kyiv Independent news desk. (2024). Putin signs decree authorizing confiscation of US companies. individuals in retaliatory measure. The Kyiv Indebendent. On Website: https://bit.ly/4gM7Dpt .
- Svetlichnaja, Julia ,Heartfield. (2010). Sovereign democracy Dictatorship over capitalism in contemporary Russia. Issue 159. London: Radical Philosophy.
- Wolff, Stefan, Malyarenko. (2022). Ukraine invasion: stage two of Russia's war is ringing alarm bells in nearby Moldova-here's why. the conversation journalist. Melbourne. On Website: https://bit.ly/3ZMpFSk.
- Wood, Andrew.(2018). Putin and Russia in 2018-24 What Next?. London: Chatham House The Royal Institute Of International Affairs.
- И.А.ИЛЬИН. (1996). Собрание сочинений Том первый. Москва

ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة: عاصفة الصحراء 1991 أنموذجًا

The Information Revolution in Military Affairs: Desert Storm 1991 as a Model

م.م سارة زكي غضبان*

[1]الجامعة العراقيّة، العراق

ssarh3622@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/ 9/21. تاريخ النشر: 2022/10/31

****

ملخّص الدراسة

في ظلّ التوجّه نحو المعلوماتيّة، أصبحت ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة من الموضوعات الأكثر جدلًا على الساحة الدوليّة، لاسيّما مع تزايد الاعتماد على المعلوماتيّة في الحروب والاقتصاد وغيرها. وبهذا تعدّ ثورة المعلومات ركنًا أساسيًّا ضمن الدراسات الاستراتيجيّة، والتي فتحت النقاش حول انعكاسات هذه الثورة على تطوّر الفكر الاستراتيجيّ العسكريّ الأمريكيّ، باعتباره الرحم الذي جاءت منه هذه الثورة.

لتخلص الدراسة بنتيجة مفادها: التحديث العسكريّ المدفوع بالتغيّر التكنولوجيّ، الذي فرضته ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة، أحدث تغييرًا في شنّ الحروب، وبيّن أهمّيّة المعلومات في زيادة الفعاليّة القتاليّة، في المقابل خلقت تحدّيات جديدة تستوجب التعاون بين القطاع العسكريّ والمدنيّ لمواجهتها.

الكلمات المفتاحيّة

---

*المؤلّف المراسل

ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة؛ الموجات؛ التكنولوجيا؛ العقيدة العسكريّة؛ عاصفة الصحراء.

Abstract

In light of the trend towards informatics, the information revolution in military affairs has become one of the most controversial topics on the international scene, especially with the increasing reliance on informatics in wars, economics, and others. Thus, the information revolution is a fundamental pillar within strategic studies, which opened the discussion about the repercussions of this revolution on the development of American military strategic thought, especially since it is the womb from which this revolution came. The study concludes with the following result: Military modernization driven by technological change imposed by the information revolution in military affairs has brought about a change in waging wars, and demonstrated the importance of information in increasing combat effectiveness. In return, it has created new challenges that require cooperation between the military and civilian sectors to confront them.

Key words

Information revolution in military affairs; waves; technology; military doctrine; Desert Storm.

1.مقدّمة

تركت التكنولوجيا بصماتها على المجتمع البشريّ، منذ أن عرف الإنسان توليد النار من قدح الأحجار حتّى عصر الأقمار الاصطناعيّة، والاتّصالات وتقنية المعلومات. وإنّ النظام الدوليّ ارتبط بشكل دقيق بمستوى التطوّر التكنولوجيّ، وإنّ الثورة الصناعيّة الأولى ركّزت على التكنولوجيا الثقيلة لصناعات الحديد والصلب، وصناعة الآلات والثورة الصناعيّة الثانية التي اعتمدت على التطوّر التكنولوجيّ الذي حدث أثناء الحرب العالميّة الثانية، كاختراع الأسلحة النوويّة. وأصبح التقدّم التكنولوجيّ عنصرًا لازمًا ومهمًّا في قوّة الدولة على المدى البعيد، ومنذ الربع الأخير من القرن العشرين، شهد العالم تطوّراً متسارعاً في

التكنولوجيا، لاسيّما في مجالات المعلوماتيّة والحوسبة والرقميّات، وتزامنًا مع اختراق التطوّر التكنولوجيّ لمجالات الحياة كافّة، فإنّ المجال العسكريّ يأتي في مقدّمة تلك المجالات التي شهدت نقلة نوعيّة كبيرة.

والثورة في الشؤون العسكريّة من أكثر الموضوعات المهمّة التي تطرّق إليها، وذلك لارتباطها بمتغيّر القوّة من خلال استخدام الجيوش خاصيّات جديدة في القتال، سواء عبر الإبداع العسكريّ في التكتيكات، أو في الاستراتيجيّات العسكريّة، وتتمثّل الثورة في الشؤون العسكريّة عبر استخدام تكنولوجيا متطوّرة، وإعادة تنظيم الجيش، والهدف الأساسيّ لكلّ ثورة في الشؤون العسكريّة هو تحقيق النصر.

وانفجرت الثورة في الشؤون العسكريّة بقيادة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وذلك بعد الاستعانة بثورة المعلومات والاتّصالات، ورقمنة ساحة المعركة، والقتال الشبكيّ المركّز، من خلال تنسيق العمليّات العسكريّة على أرض المعركة، بين القوّات المنتشرة بمختلف فروعها، وربطها مع مراكز القيادة والسيطرة والتوجيه، حيث إنّ حرب الخليج الثانية أوّل تجسيد عمليّ لها، عندما استخدمت فيها أنظمة الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع، والذخائر الموجّهة عن بعد بدقّة، والذخائر الذكيّة وطائرات الشبح الحربيّة.

وبنيت ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة من قبل الولايات المتّحدة الأمريكيّة، من أجل تحقيق السيطرة الأمريكيّة، باعتبارها أداة ووسيلة لتفوّق القوى الأخرى بواسطة القوّة الصلبة، فضلًا عن التفوّق في المجال التقنيّ والتكنولوجيّ، نتيجة امتلاكها مركب عسكريّ صناعيّ، والذي يعدّ مصدرًا من مصادر الضغوطات في صناعة القرار، ورسم السياسة الخارجيّة الأمريكيّة.

وتقوم الولايات المتّحدة الأمريكيّة حاليًّا بالترويج بأنّ الثورة الجديدة في الشؤون العسكريّة تتمظهر في الذكاء الاصطناعيّ، وبالتالي يمكن القول: إنّنا نشهد اليوم منافسة استراتيجيّة شرسة بين القوى، عبر تحديث الجيوش، وبلورة استراتيجيّات عسكريّة فعّالة ميدانياً، فضلًا عن تخصيص ميزانيّة لتحديث الجيش، والمنظومات الدفاعيّة، من أجل تحقيق التفوّق الأمريكيّ.

تجلّت هذه الثورة لأوّل مرّة، خلال حرب الخليج ضد العراق عام 1991، أي كشف تطبيق التكنولوجيا عالية التقنية، والفعاليّة الاستراتيجيّة للقوّات الأمريكيّة، وزيادة هائلة في القدرة القتاليّة، والفعاليّة العسكريّة، إضافة إلى التحوّل في المذهب والتنظيم العسكريّ، وتوظيف أبعاد جديدة في الحرب أهمّها: "البعد المعلوماتيّ" الذي لعب دورًا مهمًّا في سرعة تحقيق النصر على القوّات العراقيّة، دون تعظيم عدد القتلى من الجنود.

دفعت الآثار الاستراتيجيّة لهذه الحرب، وفعاليّة تكنولوجيا الرقمنة والمعلومات والمنافسة العسكريّة، الكثير من الدول إلى التحديث العسكريّ، بما يتناسب مع متغيّرات البيئة الاستراتيجيّة للحرب في العصر الرقميّ، مقابل ذلك خلقت آخر الثورات في الشؤون العسكريّة العديد من التحدّيات أهمّها: ظهور فضاءات وأشكال جديدة من القتال، إضافة إلى تزايد تأثير الدول الصغيرة، والفواعل من غير الدول، ممّا استوجب تحويل سياسات الدفاع، ووضع استراتيجيّات فعّالة لمواجهة هذه التحدّيات.

- **أهميّة الدراسة**

تكمن أهمّيّة الدراسة فيما فرضته الطفرة التكنولوجيّة من واقع جديد على مستقبل الاستراتيجيّات العسكريّة للدول، ومعرفة إسهامات التطوّر التكنولوجيّ، ودوره في قوّة الدولة، وما قد يبتكر من منظومات متطوّرة تشكّل عنصرًا حاسمًا في الحروب الحديثة.

- **هدف الدراسة**

تهدف هذه الدراسة للبحث في انعكاسات ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة على الفكر الاستراتيجيّ العسكريّ الأمريكيّ، من خلال البحث في العلاقة الطرديّة بين التقدّم التكنولوجيّ العسكريّ من جهة، وبين فكر الأداء العمليّاتيّ من جهة ثانية. وتحليل مفهوم ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة، الذي ظهر أوّل مرّة في الجيش الأمريكيّ في حرب الخليج الثانية 1991.

- **إشكاليّة الدراسة**

تنطلق إشكاليّة الدراسة من تساؤل مركزيّ: كيف ساهم توظيف التكنولوجيا العسكريّة الحديثة والمتطوّرة، في الشؤون العسكريّة في تطوير وتغيير التكتيكات والاستراتيجيّات العسكريّة للدول؟

- **فرضيّة الدراسة**

كلّما زاد توظيف التقدّم التكنولوجيّ العسكريّ في القطاع العسكريّ أدّى إلى ظهور فكر عسكريّ جديد، يؤدّي إلى تحويل في سياسات الدفاع وتطوير استراتيجيّات جديدة.

- **منهجيّة الدراسة**

تقتضي طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج الوصفيّ والتحليليّ، حيث يعدّ هذا المنهج أهمّ أداة تحليليّة لفهم الموضوع على أثر التحليل العلميّ للظاهرة، للوصول إلى المرتكزات والمفاهيم الرئيسة، ووصفها كما هي وتحليلها.

- **هيكليّة الدراسة**

قسم البحث إلى: مقدّمة، وخمسة محاور، وخاتمة، تناولنا في المحور الأوّل: مفهوم الثورة في الشؤون العسكريّة، وفي المحور الثاني: الموجات الثلاث للتطوّر، وفي المحور الثالث: مساهمة التكنولوجيا في عمليّة تسريع الثورة في الشؤون العسكريّة، بإدخالها التقنيات على أهمّ المجالات في المنظومة العسكريّة، وفي المحور الرابع: انعكاسات ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة على الفكر الاستراتيجيّ الأمريكيّ على ثلاثة مستويات، وفي المحور الخامس: حرب الخليج الثانية 1991 عاصفة الصحراء.

2.مفهوم الثورة في الشؤون العسكريّة

إنّ مصطلح الثورة في الشؤون العسكريّة، لم يكن شائعًا في أدبيّات المحلّلين الاستراتيجيّين، وأدبيّات العلاقات الدوليّة، وطرح في حرب الخليج الثانية نتيجة تأثير التكنولوجيّات العسكريّة على نظم القتال في الحروب الجديدة، وتعتبر الولايات المتّحدة الأمريكيّة المصدر الرئيس الذي انبثق منه المصطلح لينتشر بعد ذلك، ويستعمل كأحد أهمّ الموضوعات في المجال الاستراتيجيّ. (مصباح ، 2017، صفحة 46).

وعرّفها وزير الدفاع الأمريكيّ في إدارة بيل كلينتون وليام كوهين " تحدث ثورة في الشؤون العسكريّة عند الأحجام العسكريّة للدولة تعطي فرصة لتحويل استراتيجيّاتها ومذاهبها العسكريّة، والتدريب والتنظيم والتجهيز، والعمليّات والتكتيكات، لإنجاز النتائج العسكريّة الحاسمة بطرائق جديدة بشكل أساسيّ. و عرّفها **كولن غراي** بأنّها " تطوّر متدرّج يؤدّي إلى تغيير في طبيعة الحرب، عن طريق إدارة حرب معلوماتيّة بدقّة التصويب وكثافة النيران الآني في مسرح العمليّات، لفرض صدمات نظاميّة لا يستطيع العدوّ صدّها" (مصباح ، 2017، صفحة 46).

وعرّفها **أندرو مارشال** بأنّها "تغيّر عميق في طبيعة الحرب بفعل استنباط تطبيقات جديدة للتكنولوجيا الجديدة، والتي يربطها بالتغيير العميق في العقيدة العسكريّة، والمفاهيم العمليّاتيّة والتنظيميّة تحدث أثرًا عميقًا في طبيعة وتسيير العمليّات العسكريّة " (Ibrügger, 1998, p. 03).

لمؤسسة **راند** نجد تعريفًا **لمبيث** " أنّ الثورة في الشؤون العسكريّة هي بداية تغيّر رئيس في طبيعة الحرب، حمل على أكتاف تطبيقات تكنولوجيّة إبداعيّة، جمعت أيضًا بين متغيّرات جذريّة في العقيدة العسكريّة، وتغيّرات أخرى مهمّة في المفاهيم العمليّاتيّة والتنظيميّة للجيش ويدخل كلّ هذا في إطار تحوير أساسيّ هي صفة وقيادة العمليّات العسكريّة" (عطيّة ، 2016).

إنّ الفكرة الأساسيّة لمفهوم الثورة في الشؤون العسكريّة، ترتكز على أنّ الحرب قد تغيّرت وتحوّلت بشكل جذريّ فيما يتعلّق بطريقة أولويّة عملها، وفي طبيعتها كذلك، سيّما بعد إدخال وسائل جديدة ومتطوّرة في المراقبة، وبناء جيوش لها قدرات كبيرة ودقيقة في الوقت نفسه، ممّا أدّى إلى حدوث تغييرات كبيرة في مذهبيّة وعملياتيّة الشؤون العسكريّة (دهقاني، 2024).

ويصف **ألفين وهايدي** الثورة الرقميّة والمعلوماتيّة بأنّها: قفزة تكنولوجيّة، وأنّ تعميق وتوسيع التطوّرات في تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، من المتوقّع أن يعيد تشكيل الأساس الاقتصاديّ للمجتمع الحديث، وبالتالي تحويل التجارة والسياسة، والعلاقات الاجتماعيّة، والنزاعات (Toffler & Toffler, 1993, p. 03).

وقد ذكرت عدد من الكتب والمقالات ذلك، ومن أكثر الكتب التي تناولت وحلّلت الثورة في الشؤون العسكريّة من خلال دراستها الحرب في كتاب (الحرب و ضدّ الحرب) ل " **ألفن توفلر وهايدي توفلير** " فسّر المفكران أنّ حجم انتصار التحالف الذي قادته الولايات المتّحدة الأمريكيّة في عام 1991 يرجع إلى حقيقة أنّ المتحاربين كانا يعملان في موجات مختلفة من الحضارة حيث استخدم العراق أسلوب الموجة الصناعيّة في شنّ الحرب، وفي المقابل استخدم التحالف أسلوب الموجة الثالثة للحرب التي تشير إلى عصر المعلومات والمعرفة، وبشكل عام إنّ الشكل الأكثر تقدّمًا للحرب (من حيث الموجة) هو من يحقّق النصر (حسين ، 2021، صفحة 25) .

3.الموجات الثلاث للتطوّر

الحرب ماهي إلّا انعكاس لنمط التطوّر في الإنتاج السائد في حقبة تاريخية معيّنة، وإنّ تطوّر المجتمعات مرّ بثلاث موجات حضاريّة، اعتمد كلّ منها على نمط تكنولوجيّ معيّن بداية من الموجة الأولى التي سادت حتّى منتصف القرن الثامن عشر، واعتمدت الزراعة كمصدر للثروة والقوّة، مرورًا بالثورة الصناعيّة في القرن التاسع عشر والنصف الأوّل من القرن العشرين، وصولاً لثورة المعلومات والمعرفة المعاصرة. وقد واكب أسلوب الحرب وبناء القوّة العسكريّة تلك الموجات الثلاث، فحروب الموجة الأولى قامت على تحشيد الطاقة البشريّة، وحروب الموجة الثانية ارتكزت على القوّة التدميريّة للآلة الصناعيّة، وجاءت الموجة الثالثة للانتقال إلى حرب المعلومات، أي التحوّل من القوّة العضليّة إلى قوّة العقل والابتكار. والجانب المهمّ في تحليل **توفلر** أنّه عندما يتفاعل المتحاربون في موجات متباينة، فالتفوّق في الحروب يكون حليفًا للطرف الذي يعتمد على الموجة الأكثر تطوّرًا وحداثة (مصباح ، 2017، صفحة 34). كما تعتبر دراستهما حضارة الموجة الثالثة امتدادًا لدراستهما صدمة المستقبل: المتغيّرات في عالم الغد الذي أبرزت دور التكنولوجيا والثورة المعلوماتيّة (توفلر أ.، 1990).

✓ الموجة الأولى

ظهرت خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر حتّى منتصف القرن العشرين، طوّقت الجهد العضليّ للإنسان، وجزءً من الجهد الذهنيّ بالآلة حيث فرضت الثورة هيمنتها على العناصر المهمّة في عمليّة الإنتاج، واستبعاد الجهد البشريّ، حيث تمثّل الآلة العاملة نقطة انطلاق الثورة الصناعيّة الأولى (توفلر و توفلر، 1998).

أدّت هذه الثورة إلى ترسيخ دعائم النظام الرأسماليّ (مراحل الرأسماليّة الصناعيّة) واعتمدت على الآلات المصنّعة من الحديد، والتشغيل بالكهرباء، وتركيز النشاط السلعيّ الواسع، وهكذا ولدت ثورة صناعيّة كنتيجة لحصول تغيّر جذريّ في الأسلوب التكنولوجيّ للإنتاج، ممّا حقّق تغيّر مجمل عمليّات الإنتاج ووسائل مؤسّسات المجتمع الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

✓ **الموجة الثانية**

هي الثورة العلميّة والتكنولوجيّة التي قامت منذ أربعين عامًا، أي من بداية سبيعنيّات القرن الماضي، تنطلق هذه الثورة من أتمتة الآلة، وتقوم على أساس تحرير الإنسان من عملية الإنتاج المباشر، وإسنادها إلى الآلة الأوتماتيكيّة، وخلق عقول جديدة وتقنيات جديدة (توفلر و توفلر، 1998).

وتذهب هذه الثورة إلى السيطرة على المستقبل، وصناعة الغد، وامتلاك ناصيته، بتوليد بنية ذاتيّة متطوّرة، تعزّز التقدّم في أقصر وقت ممكن، واستعمال طرائق التنبّؤ العلميّ و التكنولوجيّ، وتعدّ الثورة العلميّة و التكنولوجيّة هي عصر الإلكترونيك، والحاسبات الالكترونيّة، والطاقة النوويّة، والتطوّر الصناعيّ العسكريّ، وعصر ريادة الفضاء.

ولّدت الثورة العلميّة والتكنولوجيّة المعاصرة حضارة جديدة، وطبيعة جديدة، وأحدثت تغييرات جذريّة في الحضارة الحديثة، وأسس الحياة كلّها، وتختلف من حيث الطبيعة والنوع لا من حيث الدرجة والكمّ، ويمكن أن تطلق على الحضارة التي خلقتها الثورة العلميّة والتكنولوجيّة، أنّها حضارة ما بعد الصناعة، أو الحضارة التكنولوجيّة، وإنّ رأس المال والعمل هما أساس المجتمع الصناعيّ، وإنّ المعلومات والمعرفة والأفكار تشكّل أساس المجتمع ما بعد الصناعيّ، أي أنّ العلم أصبح قوّة إنتاجيّة.

✓ **الموجة الثالثة**

وسمّيت هذه الثورة ثورة المعلومات و المعرفة التي رسمت صورة نظام جديد، يعتمد في الأساس على حجم المعرفة، والمعلومات كوسيلة للإدارة و السيطرة على حركة النظام العالميّ، منذ تسعينيّات القرن الماضي وحتّى الآن، وبروز دور صناعة المعلومات بعده هو الركيزة الأساسيّة في بناء اقتصاديّات وطنيّة، وتميّزت الأنشطة المعرفيّة الذهنيّة لتكون أكثر تأثيرًا في منظّمات الإنتاج والخدمات، وإنّ اتّساع المعلومات ومعدّلات التغيّر، وفجير المعرفة الإنسانيّة، والتقدّم غير المسبوق في تقنيات المعلومات والاتّصالات، الإنتاج والطاقة، فضلاً عن التقنيات الحيويّة وعلوم البيئة، وكذلك العولمة وتأثيرها السياسيّ، الاقتصاديّ، الثقافيّ الاجتماعيّ والإعلاميّ، والصراع على المعرفة في هذه المرحلة التي تمرّ بها الإنسانيّة، مرحلة تفكّك هيكل السلطة الذي كان يجمع بعضه بعضًا، وثمّة هيكل جديد للسلطة يختلف اختلافًا جذريًّا، وهذا ما يحدث على كلّ مستوى من مستويات المجتمع لاسيّما التقنيّ منه.

وبالاستناد إلى مختلف الحجج الأكاديميّة المستخدمة لوصف الثورات الصناعيّة الثلاث الأولى، يمكن الجزم أنّنا اليوم في بداية الثورة الصناعيّة الرابعة (**الموجة الرابعة**). التي بدأت في نهاية هذا القرن، وتستند إلى الثورة الرقميّة. وهي مدفوعة بزيادة توافر وفاعل مجموعة من التقنيات الناشئة، التي تعتمد على القدرات الرقميّة للثورة الصناعيّة الثالثة، الذكاء الاصطناعيّ، الروبوتات، التصنيع المضاف، التقنيات العصبيّة، التقنيات الحيويّة، والواقع الافتراضيّ (شنوف ، 2020، صفحة 392).

وفي الولايات المتّحدة الأمريكيّة أدرك " **أندرو مارشال** " أهمّيّة عمل " **أغاركوف** " أنّ حرب المستقبل ستكون ديناميكيّة، وذات وتيرة عالية، وكثافة عالية مع العمليّات البرّيّة، والجوّيّة التي ستشمل مناطق واسعة، وتمتدّ إلى الفضاء الخارجيّ. مفتاح النصر فيها والقدرة على فهم هذه المعركة المعقّدة، والمميتة هو: المعلومات. هذا يعني إتقان معالجة وفرز وتحليل منتجات الاستخبارات من أنظمة التجميع عالية التقنية، وإدارة القيادة، والسيطرة لتحقيق بعض النظام في فوضى المعركة، وجهة النظر التقنية للحرب ركّزت على أهمّيّة التكامل التكنولوجيّ، والكفاءة المهنيّة، والتدريب الفعّال (Thomas, 2008, p. 12).

أشار "**أندرو مارشال**" إلى أنّ الثورة الرقميّة والمعلوماتيّة في الشؤون العسكريّة تحتوي على ثلاثة مكوّنات: الابتكار التكنولوجيّ في مجالات الحوسبة، والاتّصالات، المفهوم العمليّاتيّ أو المذهب، والتكيّف التنظيميّ (شنوف ، 2020، صفحة 393).

وقد حدّد أيضًا " **أندرو كريبانيفيش**" أربعة عناصر تضمّنتها الثورة الرقميّة والمعلوماتيّة في الشؤون العسكريّة التي تُفهم على أنّها تحوّل ثوريّ في إدارة وشنّ الحروب، وتغيّر في طريقة التخطيط، وتنفيذ الاستراتيجيّة وهي: التغييرات التكنولوجيّة، والتكيّف التنظيميّ، والابتكار العمليّاتيّ، والتطوّر الملحوظ في الكفاءة العسكريّة. كما يشير العنصر الأوّل من العناصر - التقدّم التكنولوجيّ- في معظم الحالات يكون بمثابة المحرّك الرئيس للتغيير الثوريّ (شنوف ، 2020، صفحة 393).

4. اسهامات التكنولوجيا في عمليّة تسريع الثورة في الشؤون العسكريّة

ساهمت التكنولوجيا في عمليّة تسريع الثورة في الشؤون العسكريّة، بإدخالها التقنييات على أهمّ المجالات في المنظومة العسكريّة وهي:

1.4.المجال الأوّل تكنولوجيّة الأسلحة

إذ تعدّ إحدى الركائز الأساسيّة للثورة في الشؤون العسكريّة، وقد شهدت الجيوش الحديثة تطوّرًا كبيرًا في مختلف ميادين التسلّح، أدّت إلى بروز أجيال جديدة من الأسلحة، وزيادة قدرة وفعاليّة الأسلحة التقليديّة، التي كانت موجودة، بما أتاح لها أن تضمن تدمير عدد كبير من الأهداف على مدى اتّساع مسرح العمليّات في الوقت نفسه. وعلى الرغم من أنّ هذه التطوّرات تعود إلى فترات سابقة لحرب الفيتنام، إلّا أنّ الفتوحات العظيمة التي أحدثتها الثورة المعلوماتيّة، فيما بعد الحرب الباردة، كالصواريخ الموجّهة التي يتمّ توجيهها إلى الأهداف باستخدام الليزر، أو عن طريق الأقمار الاصطناعيّة، وذخائر الهجوم المباشر، وقذائف المدفعيّة، والمركبات الجوّيّة، وأنظمة الرادار، أو لطائرات دون الطيّار، أو الغوّاصات، والصواريخ العابرة للقارّات، والأقمار الاصطناعيّة القادرة على تصوير الهدف سرًّا (دهقاني، 2024) .

2.4. المجال الثاني: تقنية المعلومات

وذلك عبر دمجها منظومات القيادة والسيطرة والتحكّم ونظم الاستطلاع والاتّصالات.

3.4. المجال الثالث: مجال المحاكاة

الذي يعمل على صناعة واقع مشابه للواقع الحقيقيّ، والتدرّب من خلاله على مختلف أساليب القتال وبيئاته. وساعدت التكنولوجيا على إحداث تطور كبير في هذا المجال، ونقله من مستوى فرديّ إلى مستوى التدريبات الميدانيّة، ثمّ مستوى أكثر تعقيدًا. ومثال ذلك ما توفّره وكالة الأبحاث الدفاعيّة المتقدّمة الأمريكيّة من صور لمسرح التدريبات، أو التي تتيح للعسكريّين استباق التعامل مع المعارك قبل خوضها (Krepinevich, 2002, pp. 12,13)، من أجل الحفاظ على سير الإجراءات والأعمال بشكل دقيق وسليم، وبأقلّ الأخطاء الممكنة وربح الوقت وتوفير الجهد في تنفيذ العمليّات العسكريّة، بما يتلاءم مع الاستراتيجيّات والخطط والتكتيكات العملياتيّة (حجازي، 2024).

5.انعكاسات ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة على الفكر الاستراتيجيّ الأمريكيّ

وقد تم ذلك على ثلاث مستويات متباينة:

1.5.تأثير الثورة على الحرب

تتميّز الحروب الحديثة بظهور مجالات حرب جديدة، تولّدت من التقدّم التكنولوجيّ السريع، وقد صاحب الثورة الحاليّة في الشؤون العسكريّة ظهور عدّة مجالات حرب جديدة، والمقصود بتعبير مجال الحرب هو صورة من صور الحرب، لها مجموعة متفرّدة من الأهداف وتتميّز بالعمل المشترك لمجموعة متخصّصة من القوّات، أو نظم التسليح.

بناءً على ذلك فقد تحدّدت أربعة مجالات للحرب الحديثة، من منظور الثورة في الشؤون العسكريّة هي: الضربة الدقيقة بعيدة المدى، و حرب المعلومات، و المناورة المتفوّقة، و حرب الفضاء.

1.1.5.الضربة الدقيقة

تعتبر الضربة الدقيقة من منظور " الثورة في الشؤون العسكريّة " هي القدرة على تحديد أماكن الأهداف ذات الأهمّيّة الحيويّة وفي التوقيت بالغ الأهمّيّة سواء كانت هذه الأهداف ثابتة أو متحركة، وتدميرها بدقّة عالية، إنّ جوهر الضربة الدقيقة هو تجميع المعلومات عن العدوّ في العمق التعبويّ والاستراتيجيّ له، ومعرفة فكره العمليّاتيّ وخطّته الاستراتيجيّة واختيار وتحديد أسبقيّات توجيه الهجمات على الأهداف الحيويّة للعدوّ (Mckitrick , 1996, pp. 10-11) .

تستمد الضربة الدقيقة قدرتها الحقيقيّة من التقنيات المستخدمة بها، والتي ظهرت ملامحها خلال عمليّة عاصفة الصحراء عام 1991، فهذه القدارت وتقنياتها الحديثة تمكّن القادة من تحقيق المسح الميدانيّ المستمرّ، على نطاق واسع والتعرّف المستمرّ على الهدف، (ونقل المعلومة الملتقط) الاستجابة في الزمن الحقيقيّ، وتواجد الأسلحة طويلة المدى ذات الدقّة العالية تحت تصرّف القادة .

2.1.5.حرب المعلومات

يطلق مصطلح " حرب المعلومات " على مجال الحرب الحديثة، المرتبط بأنظمة المعلومات وقدراتها وتأثيراتها على النظم والعمليّات العسكريّة، والتي يمكن تعريفها بأنّها: الصراع بين خصمين أو أكثر للسيطرة معلوماتيًّا على ساحة القتال (Mckitrick , 1996, pp. 12-15).

3.1.5.المناورة المتفوّقة

تعتبر المناورة المتفوّقة واحدة من أحدث مجالات الحرب الحديثة، ولقد كانت المناورة دائمًا أحد أهمّ عناصر العمليّات العسكريّة ومبادئ الحرب، وجاءت " الثورة في الشؤون العسكريّة " لتضيف إليها أبعادًا جديدة، وتوفّر لها القدرة للتنفيذ على نطاق مسارح العمليّات العالميّة، وعبر القارّات وفي زمن أصغر وباستخدام قوّات مخفّضة كثيرًا (Mckitrick , 1996, pp. 15-19) .

4.1.5. حرب الفضاء

تعرف حرب الفضاء بأنّها الاستخدام الأمثل لمحيط الفضاء، من أجل إدارة العمليّات الحربيّة على نطاق واسع، يشمل العالم أجمع في الزمن الحقيقيّ، ورغم أنّها إحدى المجالات الأربعة للثورة في الشؤون العسكريّة، إلّا أنّها من الممكن أن تصبح مجال حرب فرعيّ بارز بمفرده .تتيح عمليّات الفضاء، بالإضافة إلى اختصار عنصر الوقت، توفير الدعم لإنجاح عمليّات القوّات البرّيّة، حيث توفّر الأقمار الصناعيّة نقل صورة فوريّة عن موقف العمليّات، وشبكة اتّصالات عالميّة، والاستشعار، وكذا أعمال المعاونة الملاحيّة، ويمكن لهذه القدرات أن توفّر سيطرة معلوماتيّة على ميدان المعركة وتنسيق أسلوب تنفيذ ضربة دقيقة شاملة (Mckitrick , 1996, pp. 10-11).

وأحد أهمّ المهام التي يمكن تنفيذها من خلال حرب الفضاء هو التدمير المباشر بالنيران لأهداف استراتيجيّة معيّنة في وقت أقصر كثيرًا من أيّ طائرة في مسرح عمليّات معيّن، ويمكن تقسيم طبيعية العمليّات المندرجة تحت حرب المعلومات إلى أربعة أقسام: الحرب النّفسيّة، وعمليّات ضدّ البنى التّحتيّة من خلال شبكات الاتّصال، والخداع والتّخفي، والحروب الالكترونيّة. أي أنّ حرب المعلومات هو المصطلح الذي يتّخذ أشكالًا مختلفة، منها "التعتيم العسكريّ، الاختراق الافتراضيّ للأجهزة المشغّلة بالانترنت.

ظهرت أدوات وعمليّات جديدة لشنّ الحرب مثل الحرب الرقميّة وحرب المعلومات والحرب المتمركزة على الشبكة والقيادة و التحكّم المتكاملين، وأنظمة الأنظمة التي تعمل جميعها بتقنية المعلومات، وهو ما أدّى إلى توسيع معايير التفكير في الأمن القوميّ، وبالتالي إعادة فهم ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة ليس فقط من قبل الضبّاط العسكريّين، والمدنيّين، ولكن أيضًا من خلال المخطّطين الاستراتيجيّين، العسكريّين والمدنيّين على حدّ سواء، ويتعيّن كذلك على الجيش مواجهة البعد الخامس

للحرب، ولاسيّما المعلومات، بالإضافة إلى التطوّرات في الحرب البرّيّة والبحريّة والفضائيّة. ويمكن اعتبار التحالف الدوليّ ضدّ داعش الذي تشكّل في عام 2014، أكثر المستويات تطوّرًا في استخدام ثورة المعلومات، من أجل احتواء مخاطر وآثار الحروب اللامتماثلة، ولكن بالرغم من الأسلحة المتطوّرة والذكيّة الناتجة عن هذه الثورة، يلاحظ إحالة المدن العراقيّة وقراها إلى دمار كامل، وهنا يطرح بقوّة مدى فعاليّة هذه الثورة، وبالتالي من الصعب الحكم على فعاليتها من خلال القتال الجديد، والأسلحة الجديدة حاليًّا (دباش، 2020، صفحة 701).

يمكن القول إنّ طبيعة الحرب ما زالت ثابتة، أمّا أسلوب خوض الحرب قد تحوّل، وهو في تطوّر دائم، استجابة للمتطلّبات الاستراتيجيّة التي تفرضها، وتعرضها البيئة الاستراتيجيّة في عصر ثورة المعلومات، التي وفّرت تكنولوجيا المعلومات.

2.5. تأثير الثورة على الاستراتيجيّة

لم يكن في الماضي لدى القادة العسكريّين، قدرات لإدارة القوّات العسكريّة إلى الحدّ الأقصى من فعاليّتها المحتملة، كان عليهم الاعتماد على الزيارات في مكوّنات الفرديّة للقوّة القتاليّة، أي الكتلة والتنقّل والوصول والقوّة الناريّة، أو الاستغلال من فشل الخصم، ومن كتاب " ضباب الحرب **لـ كارل فون كلوزويتز** (الخبير الاستراتيجيّ) في القرن التاسع عشر ينطلق أنصار ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة لوصف عدم القدرة على التنبّؤ والارتباك في المعركة، بحيث يعتقدون أنّ جيوش المستقبل تحاول تحقيق الهيمنة على المعلومات، بحيث سيتمّ الاعتماد على أنظمة اتّصالات معقّدة للغاية ومتكاملة، تمكّنها من القتال بطرائق متماسكة ومعقّدة (Upadhyaya, 2012, p. 37).

وقد ساهمت ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة في تزايد اتّساع وعمق ساحة المعركة، فسهولة الحصول على المعلومة في أي جزء من العالم وبدقّة، وكذا معالجتها بسرعة، سهّل من عمليّة القيادة والتحكّم بشكل كبير، وخفّض من أبعاد الزمان والمكان إلى حدّ أنّه أصبحت المعلومة تصل في وقتها الفعليّ، وهذا ما يمكّن القيادة والتحكّم والاتّصالات، والكومبيوتر والمراقبة والاستطلاع، في مستوى أعلى بكثير، بحيث يربط بين المستوى الاستراتيجيّ والتكتيكيّ في الوقت الحالي، فهي ثورة في الشؤون الاستراتيجيّة أيضًا (Upadhyaya, 2012, p. 38).

إنّ اختبارها العمليّ الأكبر كان فوق الأراضي العراقيّة 1991، حيث ركّز العديد من المؤلّفين على القدرة الاستراتيجيّة للأسلحة العالية التقنية، التي سمحت للتحالف الذي تقوده الولايات المتّحدة بالتغلب على رابع أكبر جيش في العالم في وقت قصير، ولقد استخدموا هذا النزاع كدليل على حدوث ثورة عسكريّة-تقنيّة، ليُسْتَخْدَمَ هذا المصطلح (ثورة عسكريّة تقنيّة) كتأكيد على أهمّيّة التكنولوجيا على حساب العناصر الأخرى للتغيير الثوريّ. لهذا السبب، فإنّ ثورة الشؤون العسكريّة هي المصطلح الأكثر دقّة لوصف هذا التحوّل لأنّها تركّز، وتعطي للتكنولوجيا ضمنيًّا دورًا استراتيجيًّا في الشؤون العسكريّة (شنوف ، 2020، صفحة 395).

قاعدة التفكير الاستراتيجيّ الأساسيّة للثورة في المذهب في العصر الرقميّ والمعلوماتيّ تقوم على: العمليّات، والتكتيكات القتاليّة القائمة على فكرة تطوير القدرات القتاليّة والإمكانات العملياتية، واللوجستيّة لشنّ الحرب بدون اللجوء إلى الأسلحة النوويّة، أو بمعنى آخر كيفيّة ربح الحرب ضدّ عدوّ مسلّح نوويًّا في أوربا على وجه التحديد، ذلك بدون اللجوء إلى استخدام أسلحة نوويّة. لا يكون ربح الحرب خيارًا ممكنًا إلاّ إذا مكّن المذهب القتاليّ القوات المسلّحة من امتلاك زمام المبادرة، وفي مرمى نيران الهجوم، لقد كانت هذه العناصر المفاهيميّة لثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة مجسّدة خلال حرب الخليج 1991 من خلال المراقبة، والاستهداف، والسيطرة الدقيقة، والتنسيق المحسوب في عمق وعرض حقل المعركة الكبيرة (مصباح ، 2017، صفحة 458).

جوهر هذه الحرب الحديثة هو المعلومات، حيث يمثّل فيها التفوّق المعلوماتيّ عاملًا حيويًّا، والذي يعني تزويد القائد بصورة مثاليّة قريبة مساحة المعركة حتّى يمتلك اتّخاذ قرارات تحقّق الأهداف الاستراتيجيّة المرجوة في الوقت المناسب. هذا يعني أنّه يجب عليه الوصول إلى إجمالي المعلومات الجديدة المتوفّرة في أيّ وقت، و في أيّ مكان.

توصّلت أبحاث "**إميلي غولدمان** " إلى أنّه يمكن تقييم التحسينات في الأداء العسكريّ، على أساس ستة أبعاد مختلفة، تتوافق مع ستة أهداف أساسيّة، ميّزت العمليّات العسكريّة الحديثة: الفتك، والوصول، وإعادة الإمداد، والدقّة، والشرعيّة، والتوقيت / السرعة (Goldman & Thomas, 2004, p. 09).

كما خلص نائب وزير الدفاع الأمريكيّ الأسبق " **روبرت**" إلى القول: "التقدّم السريع في الذكاء الاصطناعيّ للأنظمة والعمليّات الذاتيّة: وهي التطبيقات الأكثر حداثة في مجال القتال، تشمل التعاون بين

الإنسان والآلة وفريق القتال" مآثارها: الدقّة في تحقيق الأهداف، وتحسين زمن ردّ الفعل والأداء، مع التقليل في التكاليف، والقدرة على مواصلة العمليّات العسكريّة في البيئات المتدهورة أو معدومة الاتّصالات. وخفض عبء الاعتماد على العنصر البشريّ، وزيادة قدرات صنع القرار (شنوف ، 2020، صفحة 399).

عمومًا التأثير الاستراتيجيّ لتوظيف التكنولوجيا الرقميّة في الشؤون العسكريّة يتركّز في زيادة الفاعليّة الميدانيّة: لنظم الاستكشاف، ونظم السيطرة، ونظم الرمي (زلي و جون، 2004، صفحة 117).

3.5. تأثير ثورة على العقيدة العسكريّة

إحدى محرّكات الإصلاح الدفاعيّ عبر العالم، هو ظهور ما يسمّى بالثورة في الشؤون العسكريّة خلال تسعينات القرن العشرين، التي أجبرت المنظّمات العسكريّة والأمنيّة عبر العالم، على ضرورة التكيّف، والتأقلم مع متطلّباتها، عن طريق الحصول على المساعدة الخارجيّة من الدول، التي ظهرت و تحكّمت في شروط و متطلّبات هذه الثورة، أصبحت عمليّة إصلاح سياسة الدفاع من بين الموضوعات المهمّة التي تناقش في كلّ الدول، للقدرة على الاستجابة لمتطلّبات البيئة الاستراتيجيّة، وذلك بالاعتماد على معيار احترافيّة الجيوش الحديثة بأقلّ عدد، بالإضافة إلى الاعتماد على التقنيات الحديثة، أي على الأنظمة التكنولوجيّة للقدرة على السيطرة على ساحة المعركة، واكتساب الثقل الاستراتيجيّ (مصباح، العلاقات المدنيّة العسكريّة ، صفحة 69).

تقود الولايات المتّحدة الأمريكيّة في مجال الدفاع ثورة في الشؤون العسكريّة، حول كيفيّة تغيّر المعلومات للشؤون العسكريّة، بحيث تشير إلى تزاوج الأنظمة التي تجمع المعلومات وتطبقّها، وتواصلها مع تلك التي تطبّق القوّة العسكريّة، والسعي إلى تحويل القوّات المسلّحة والقتال الحربيّ، من خلال رقمنة ساحة المعارك

ويمكن أن يظهر تأثير الثورة من خلال الاعتماد على الضربة الاستراتيجيّة الجوّيّة، والتي تعني عمليّة عسكريّة تستهدف مراكز ثقل العدوّ، والمراكز الحيويّة قصد إيقاع مستوى من الخسائر، وتفكيك قدرات العدوّ، وبالتالي استبعاد قيامة بردّة فعل أو أعمال عدوانيّة.

ويعتمد كذلك على الاستشعار، والذي يمكن وصفه بواسطة حوسبة منصّات فرديّة مأهولة، أو مستقلّة اكتشاف وتعقّب المركبات الفرديّة، أو السفن، أو الطائرات، خارج النطاق البصريّ وتوفير معلومات الاستهداف على أساس شبه الوقت الحقيقيّ لأنظمة الهجوم بعيدة المدى.

ومع كلّ تطوّر تقنيّ (تكنولوجيّ) في تطوّر السلاح، أو اكتشاف سلاح جديد، أو في تعظيم السرعة والنقل، كانت تحدث هزّة في عالم التكتيك و العمليّات، وفي كلّ مرّة كانت تخرج نظريّات تتحدّث عن تفوّق الهجوم على الدفاع ،أو تفوّق الدفاع على الهجوم، أو عن إبطال سلاح معيّن ، أو تكتيك معيّن ، إنّ التطوّرات والتقنية في عالم الحاسوب الكمبيوتر، والرقميّات و الشاشة البلازما، وعالم الاتّصالات والشرائح، وما سمّي بالأسلحة الذكيّة أو القنابل الذكيّة، والطائرة الشبح، والطائرة بدون طيّار، والصاروخ الذي لا يخطئ هدفه، بما في ذلك الدخول من النافذة، وتحديد مدى الانفجار، وبهذا غاب الإنسان ودوره على الجهتين وأهمل **فون كلاوزيفيز وليدل هارت وماوتسي تونغ** دروس السوفيّت في الحرب العالميّة الثانية، أو دروس حروب التحرير الشعبيّة. فقد أصبح السلاح الحديث الطائرة والصاروخ والشاشات وكثافة النيران عوامل حسم في الحرب أو المعركة، ولهذا يمكن تسمية أصحاب هذا الاتجاه ب (عبدة التكنولوجيا) .

من بين تداعيات ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة على سياسة الدفاع هو النفقات العسكريّة، أي الجانب الماديّ الذي تنفقه الدولة لتحقيق التحوّل العسكريّ، من خلال تحديث منظوماتها الدفاعيّة، وتصنيع أو استيراد منظومات ثورّة المعلومات التي ترتبط بالجانب التقنيّ والتكنولوجيّ، لتحقيق الاتّصال، ودمج منظومات الاستطلاع والمراقبة ISR عبر دمج المستشعرات والرادار، ومختلف التقنيات الحديثة لتحقيق السيطرة المعلوماتيّة، أي التفوّق المعلوماتيّ بواسطة هذه المنظومات. أثرّت ثورة المعلومات على الطبيعة التنظيميّة للجيوش الحديثة، بحيث ألغت أو على الأقلّ قلّصت من أهمّيّة الأعداد الكبيرة للقوّات المسلّحة، وتآكلت القيمة الاستراتيجيّة للجيوش الكبيرة من حيث الحجم العدديّ للأفراد المتقاتلين، في مقابل ذلك زادت من أهّميّة الأدوات الجديدة في القتال والاتّصال والهيمنة المعلوماتيّة، على غرار استخدام طائرات بدون طيّار، والصواريخ العابرة للقارّات، وأجهزة الاستشعار عن بعد، والهواتف الذكيّة، والاتّصالات الفضائيّة ،والذخائر الذكيّة، والتي تشترك كلّها في تقليص دور العنصر البشريّ في القتال (مصباح، العلاقات المدنيّة العسكريّة ، الصفحات 73-74).

أصبحت الجيوش في عصر المعلومات تنظّم بطريقة احترافيّة ومهنيّة، بناءً على المهارة العالية في استخدام الأسلحة المركّبة، عبر أجهزة الحاسوب ورادارات الاستشعار عن بعد، من أجل إلحاق الهزيمة السريعة بالعدوّ، بحيث بفضل التكنولوجيا الدقيقة، وثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة، أصبحت الجيوش المحترفة لديها إمكانيّة كبيرة على قنص "أهداف سياسيّة، واقتصاديّة، وعسكريّة عالية القيمة، بواسطة قذائف بعيدة المدى ودقيقة القصف بدون أن تكون هزيمة عسكريّة لجيوش الخصم ."

6.حرب الخليج الثانية 1991 عاصفة الصحراء

ويمكن عدّ حرب الخليج كنقطة انتقاليّة أو تحوّل نحو نوع جديد من الحروب، التي احتوت على عناصر من الماضي أي حرب العصر الصناعيّ، أو شكل الموجة الثانية من الحرب التي شدّدت على الدمار الشامل، ويمكن الاستدلال على ذلك ما تعرّض له العراقيّون أثناء هذه الحرب من قصف طال المخابئ والملاجئ و القرى والعديد من المناطق، وعناصر من نوع جديد من الحرب، إذ خاضت هذه الحرب الجديدة بأسلحة دقيقة مع الحدّ الأدنى من الأضرار الجانبيّة، ومع تحسين وسائل المعلومات في الوقت الفعليّ، والمراقبة و الحصول على الأهداف الرئيسة، ومن ثمّ أدركنا أنَ تدمير وسائل العدوّ للقيادة و السيطرة يجب أن يكون القانون الرئيس للعقيدة العسكريّة، وبالتالي، فإنَ هذا النوع من الحرب، عندما يتمّ تطويره بالكامل، سيكون حربًا في عصر المعلومات تستند إلى المعرفة، وتتميّز بالمناورة بدلًا من الاستنزاف، ووصفت هذه المرحلة بأنّها مرحلة حرب في عصر ما بعد الصناعة، أو عصر ما بعد العصر الحديث، في إشارة إلى ما استخدم من أنظمة الأسلحة عالية التقنية، والمراقبة و حيازة الأهداف وأنظمة القيادة والتحكم (حسن، 2017، صفحة 78).

مع نهاية الحرب الباردة وتفكّك الاتّحاد السوفيتيّ 1991، ظلّ العديد من المتغيّرات المبتكرة دون تنفيذ، بدلًا من ذلك كان النصر المذهل الذي قادته الولايات المتّحدة الأمريكيّة في حرب الخليج عام 1991، هو الذي بلور فكرة وجود ثورة في إدارة الحرب في التفكير الغربيّ، وفي عملية عاصفة الصحراء استخدمت الولايات المتّحدة الأمريكيّة لأوّل مرّة فئة جديدة من الأنظمة العسكريّة، التي أعطت القوّات الأمريكيّة تقدّمًا ثوريًّا في القدرة العسكريّة، المفتاح لهذه القدرة هو وجود جيل جديد من أنظمة الدعم العسكريّ، وأجهزة استشعار الاستخبارات، وأنظمة قمع الدفاع، والأنظمة الفرعيّة، والتي تعمل بمثابة مضاعفات القوّة عن طريق زيادة فعاليّة نظام الأسلحة الأمريكيّ (كاخيا، 2002، الصفحات 39-40). غذيّت هذه الحرب بالصور التلفزيونيّة من النزاع، وإنّ هذه الحرب هي من نوع آخر وبصورة مختلفة جداً منذ اليوم الأوّل، لقد ذهل العالم منذ اللحظة الأولى لبداية الحرب ،نتيجة الصور التي نقلها التلفزيون للصواريخ والتوما هوك والقنابل الموجّهه بأشعة الليزر، وهي تبحث وتصيب أهدافها في بغداد بدقّة مدهشة (مراكز قيادة القوّات الجوّيّة العراقيّة – مبنى إدارة المخابرات العراقيّة – ومراكز رئاسة وزراء الداخليّة).وقد ذكرت عدد من الكتب والمقالات ذلك، ومن أكثر الكتب التي حلّلت هذه الحرب كتاب (الحرب وضدّ الحرب) ل " **ألفن توفلر وهايدي توفلير** " فسّر المفكران أنّ حجم انتصار التحالف يرجع إلى حقيقة أنّ المتحاربين كانا يعملان في موجات مختلفة من الحضارة، حيث استخدم العراق أسلوب الموجة الصناعيّة في شنّ الحرب، وفي المقابل

استخدام التحالف أسلوب الموجة الثالثة للحرب، التي تشير إلى عصر المعلومات والمعرفة وبشكل عام فإنّ الشكل الأكثر تقدّمًا للحرب (من حيث الموجة) هو من يحقّق النصر (Thomas & Lonsdale , 2012, pp. 67-68) .

بتاريخ 2 أغسطس 1990 احتّلت القوّات العراقيّة دولة الكويت، ثمّ ضمّتها إليها، وأعلنت بأنّها المحافظة التاسعة عشرة من محافظاته، ونتيجة الجهود الدبلوماسيّة استطاعت الولايات المتّحدة الأمريكيّة إصدار 12 قرارًا أمميًّا، يدين احتلال العراق للكويت، عبر فرض عقوبات اقتصاديّة، ومطالبة العراق

الانسحاب من الكويت دون شروط قبل 15 1991، أو ستستخدم القوّة لإخراجه ونتيجة عدم تنفيذ العراق لقرارات الأمم المتّحدة، شنّت قوات التحالف المكوّنة من 28 دولة (غربيّة وعربيّة وإسلاميّة) منتصف شهر 1991 حملة قصف جوّيّة "عاصفة الصحراء" ضدّ الأهداف العسكريّة والمدنيّة في العراق، استغرقت ستة أسابيع دون توقّف ليل نهار (أبو عرقوب ، 1997، صفحة 03).

وفي 24 فبراير 1991شنّ التحالف الدوليّ بقيادة أمريكا هجومًا برّيًّا استمرّ لمدّة 100 ساعة، فيما يعتبر أكثر العلميّات العسكريّة تركيزاً وكثافة منذ الحرب العالميّة الثانية، واستعيدت الكويت بعد انسحاب القوّات العراقيّة، وأصدر مجلس الأمن القرار الثالث عشر الخاصّ بتشكيل لجنة تابعة للأمم المتّحدة، لمراقبة تدمير الأسلحة العراقيّة، وصواريخه الموجّهة.

قام العقيد الأمريكيّ **جون واردن** المنظّر لأولويّة القوّة الجوّيّة، بعرض خطّته لقائد الجيوش المتحالفة لعاصفة الصحراء "شوارتزكف" لتوظيفها بهدف تحرير الكويت، والسيطرة على العراق في ظرف زمنيّ وجيز. ترتكز هذه الخطّة على توظيف 670 طائرة، وبواقع 1000 غارة تشنّ يوميًّا لمدّة 6 أيّام لضرب مراكز ثقل الدولة العراقيّة. وركّز من خلالها على استهداف المنشآت المركزيّة وليس على الجيش العراقيّ.

بدأت حرب الخليج بحملة جوّيّة بهدف تحرير الكويت من الغزو العراقيّ، والدفاع عن الأراضي السعوديّة التي تعتبر ضمن المصالح الحيويّة الأمريكيّة، من خلال الاعتماد على خطّة **جون واردن** التي تعتمد بدورها على القصف الاستراتيجيّ. بالنسبة للأهداف الاستراتيجيّة التي وضعها الرئيس الأمريكيّ **بوش** تتمثّل

في إجبار العراق على الانسحاب من الكويت باستخدام القوّة، و تفكيك الجيش العراقيّ، لأنّه يمثّل مصدر تهديد للمنطقة، و تفكيك الأسلحة الكيمياويّة والبيولوجيّة التي يمتلكها.

تعتبر حرب الخليج الثانية أوّل حرب يتمّ فيها استخدام الثورة في الشؤون العسكريّة، بفضل توظيف تكنولوجيا المعلومات، ومنظومات الإعلام والاتّصال، واستخدام التكنولوجيا العسكريّة المرتبطة بالانترنت و الكمبيوتر.

تعتبر حرب الخليج الثانية فرصة لاختبار مضامين الثورة في الشؤون العسكريّة المبنيّة على تكنولوجيا المعلومات، بحيث افتتحت هذه الحرب باستخدام سرب كامل من طائرات F15 و F16 وF-18 و B52 و F111 و A6 والتور نادو بمجموع ألف طائرة، تساندها الأواكس وعشرات طائرات التزويد بالوقود الموجودة فوق الأراضي السعوديّة، أي اعتمدت أساسًا على القوّة الجوّيّة التي تمثّل المحور الأساس لتحقيق التفوّق المعلوماتيّ وتحقيق النصر (Kapoor, Winter 2008) .

استخدمت طائرات التخفّي F-117 stealth التي تشغل لمدّة 24 ساعة ممّا أدّى هذا إلى سلب القوّات العراقيّة من التقاط أنفاسها لعدم وجود الراحة حتّى ليلًا؛ إلّا أنّ دور F-117، the Night Hawk كان فعّالًا خلال حرب الخليج في عام 1991 (Ibrügger, 1998).

كانت الأهداف في وسط بغداد محصّنة بشكل كبير و كان دور F-117 مخصّصًا للسيطرة عليها، ولم يتمّ إسقاط طائرة واحدة من طراز F-117 على الرغم من تطوّر شبكة الدفاع الجوّيّ العراقيّة على مدار نحو 1.300 طلعة جوّيّة. على الرغم من أنّ هذه الطائرة حلّقت بأقلّ من 2٪ من مجموع عمليّات الهجوم على العراق، فإنّ طائرة F-117 ضربت ما يقرب من 40 ٪ من الأهداف الاستراتيجيّة، وظلّت المحور الأساس للحملة الجوّيّة الاستراتيجيّة للحرب بأكملها (Kapoor, Winter 2008).

استخدم 6250 طن من الذخائر الموجّهة بدقّة مقارنة ب 81،980 طن من القنابل "الصماء dumb". ما بين 80 و90 في المائة من الذخائر الموجّهة بدقّة) PGMs (أصابت أهدافها مقارنة بحوالي 25 في المائة من القنابل الأخرى. كما مكّنت الذخائر الموجهة بدقّة قوات التحالف من التقليل إلى أدنى حدّ من الأضرار الجانبيّة. كما استخدمت أنظمة تكنولوجيا المعلومات كطائرات الشبح، وصواريخ كروز، التي تمكّنت من تصدّي جميع الهجمات للمواقع الدفاعيّة دون سابق إنذار. سمة أخرى من سمات حرب الخليج الثانية، استخدام صواريخ باتريوت لاعتراض صواريخ سكود العراقيّة(Ibrügger, 1998) .

كما اعتمدت قوّات التحالف على الأصول الفضائيّة، والتجاريّة والعسكريّة، من خلال استخدام الأقمار الصناعيّة لكلّ من الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وفرنسا، وبريطانيا، وروسيا حوالي 60 قمرًا صناعيًّا. كان لدى قوات التحالف اتّصالات استراتيجيّة وتكتيكيّة آمنة، تتيح تبادل المعلومات الحساسّة للوقت بين الوحدات البرّيّة والبحريّة والجوّيّة المنتشرة في جميع أنحاء المسرح. وهذا ما ساعدها على تحقيق الترابط العمليّاتيّ، تمكّنت قوّات التحالف من تحديد الأهداف بدقّة فائقة، والتنقّل عبر الصحراء العراقيّة أفضل من العراقيين أنفسهم، والعثور على القوّات في أسرع وقت بفضل نظام تحديد المواقع العالميّ (GPS) (W.A, 2024).

كان القصف ليلًا نهارًا لمدّة ثلاثة أسابيع، وحقّقت من خلالها قوّات التحالف بقيادة الولايات المتّحدة الأمريكيّة تفوّقًا واضحًا، بسبب استخدامها لتكنولوجيا المعلومات، وأحدث المنظومات التي تختلف عن المنظومات والأسلحة التقليديّة، التي يمتلكها العراق، كما أنّ أسلوب خوض الحرب كان متميّزًا ومختلفًا عن الحروب السابقة.

4. الخاتمة

تتعلّق ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة بعامل التكنولوجيا، وبالتالي أصبح من يتحكّم في التكنولوجيا العسكريّة هو من يتحكّم في المعلومة، ومن يملك المعلومة فهي مصدر القوّة، وبالتالي فإنّ منظومات ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة تركّز على جمع المعلومات، وترتيبها وتحليلها، أي أنّ امتلاك المعلومة ومعرفة كيفيّة استخدامها هي التي تساهم في مضاعفة الامتيازات الاستراتيجيّة لمستعملها، وتحقيق السيطرة. ركّز أنصار ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة على أنّها تحدث فرقًا استراتيجيًّا في الحروب النظاميّة، وهذا ما برهنته حرب الخليج الثانية 1991.

ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة وتداعياتها من أهمّ موضوعات حقل الدراسات الاستراتيجيّة نظرًا لما لهذا الموضوع من تعقيدات كبيرة ومتشابكة، من الصعوبة بمكان الإحاطة بجميع متغيّراته وأبعاده. لقد ساهمت هذه الثورة في إحداث تحوّل كبير في طريقة التفكير الاستراتيجيّ كنتيجة لتغيّر أسلوب خوض الحرب، كما دفعت بالعديد من الدول إلى مراجعة سياساتها الدفاعيّة وإدخال إصلاحات عليها تماشيًا ومتطلبات البيئة الاستراتيجيّة العالميّة، من خلال السعي إلى اكتساب أحدث المنظومات الدفاعيّة المرتبطة

بعصر المعلومات، نتيجة الخوف من خاصّيّة الفوضى في النظام العالميّ، لتكسب التفوّق على خصمها، ومنافسيها على المستوى الإقليميّ والدوليّ.

يتّفق معظم الخبراء على أنّ الثورة في الشؤون العسكريّة، لها تأثير كبير على النظام الدوليّ، وهي تقدّم ديناميكيّ مستمرّ، مدفوع بتقنيات المعلومات والاتّصالات، التي مكّنت البشريّة من جمع، ومعالجة ونقل البيانات بسرعة أكبر و قدرة أكبر، وقد أحدث توظيفها لغرض التحديث العسكريّ حسب عدد من الباحثين من بينهم "أركيلا" و"غولدمان" ثورة في الشؤون العسكريّة ،يتّضح ذلك في التغيّر الجذريّ في طريقة شنّ الحروب الحديثة التي أصبحت تعتمد على الأسلحة المتطوّرة عالية التقنية، متبوعًا بتغيّرات حتميّة في العمليّات والتكتيكات العسكريّة، والتحوّل في المذهب و التنظيم من التركيز على الجيوش التقليديّة الأكبر عددًا، إلى القوّات المسلّحة الأصغر. أضافت التقنيات الرقميّة أبعادًا جديدة للمفهوم الكلاسيكيّ للحرب عند" **كلاوزفيتش**"، فبعد أن كانت ترتكز فقط على العنف والاحتكاك وتعظيم النصر من خلال إلحاق الخسائر، عدد قتلى العدوّ، أصبحت تركّز على البعد المعلوماتيّ، والمعرفة في القتال التي أكّد عليها " صان تزو"، وكذا تحقيق الأهداف الاستراتيجيّة، دون المواجهة المباشرة بضرب القلب الاستراتيجيّ للعدوّ، أي التحوّل من حروب "الدمار الشامل" إلى "الحرب الدقيقة"، وهذا يظهر جليًا في تطوّر الفاعليّة الاستراتيجيّة لنظم الاستكشاف، ونظم السيطرة والرمي، بفضل التكنولوجيا الرقميّة، سيّما نظم المعلومات والأسلحة الذاتيّة ونتج عن تطبيق تكنولوجيا المعلومات والرقمنة في القطاع العسكريّ، تطوّرًا كبيرًا في استراتيجيّة الدول في شنّ الحروب.

5. قائمة المراجع

1.5. قائمة المراجع باللغة العربية

- أبو عرقوب، إ.أ . (1997). استراتيجيّة الحرب النفسيّة الأمريكيّة في أزمة الخليج . *مجلّة الجامعة الإسلاميّة، 05*(02).
- حسن، أ. ع. (2017). : استراتيجيّة توظيف القوّة. الذكيّة في السياسة الخارجيّة الأميركيّة بعدعام 2008 ، دراسة تحليليّة . *مجلّة تكريت للعلوم السياسيّة*(09).
- توفلر، أ وتوفلر، ه. (1998). *إنشاء حضارة جديدة سياسة الموجة الثالثة "دراسة" ، ترجمة حافظ الجمالي*. دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب العرب.

- توفلر, أ .(1990) .*حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم* .بنغازي: الدار الجماهيريّة للنشر والتوزيع و الإعلان
- حجازي، ع. (15 جويلية). *التكنولوجيا الحديثة في المجالات العسكريّة* Récupéré sur .مجلّة الجيش، العدد 235: https://www.lebarmy
- زلي، زو وايت، ج. (2004). *الدور المتغيّر للمعلومات في الحرب* . أبوظبي، الإمارات العربيّة: سلسلة دراسات عربيّة ، العدد 35.
- دهقاني، أ.. (25 مارس 2024). *أثير التقنية والتكنولوجيا في بناء الاستراتيجيّة العسكريّة، الموسوعة الجزائريّة لدراسات السياسية والاستراتيجيّة* Récupéré sur https://www.politics-dz.com .
- دباش، ر. (2020). تأثير ثورة المعلومات في الشؤون العسكريّة على الفكر الاستراتيجيّ الأمريكيّ . *المدرسة الوطنيّة العليا للعلوم السياسيّة، 05*(02).
- شنوف، ز . (2020). الثورة الرقميّة في الشؤون العسكريّة وتأثيرها على الاستراتيجيّة العسكريّة للدّول . *مجلّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة باتنه، 21* (02).
- عطيّة، م. (30 جوان 2016). *الجنديّة كحرفة: عن التحوّلات في الحرب و الثورة في الشؤون العسكريّة* Récupéré sur https://www.babelwad.com .
- حسين، غ.ع.م . (2021). تكنولوجيا الاتّصال و العلاقات الدوليّة "وثائق ويكيليكس أنموذجًا "، رسالة ماجستير (غير منشورة). العراق: جامعة النهرين ، كلّيّة العلوم السياسيّة.
- كاخيا، إ .(2002) .الأسلحة الذكيّة المستخدمة في الحرب على العراق .*مجلّة الفكر السياسيّ، اتّحاد الكتّاب العرب*، 05(17)
- مصباح، ع. (2017). *تطوّر علم الاستراتيجيّة* . القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- مصباح، ع. (د.س). *العلاقات المدنيّة العسكريّة* .

2.5. قائمة المراجع باللغة الأجنبية

- Kapoor, V. (Winter 2008). *RMA and India's Military Transformation*. Retrieved from Institute for Defense studies and Analyses: https://idsa.in/jds/2_2_2008_RMAandIndiaMilitaryTransformation_VKKapoor
- Thomas, A. (2008). *The Army After Next: The First Post Industrial Army*. London: Praeger Security Internationa.
- Goldman, E., & Thomas, M. (2004). *The Information Revolution In Military Affairs In Asia*. New York And England: Palgrave Macmillan.

- Ibrügger, L. (1998). *the Revolution in Military Affairs, Special Report, Science and Technology Committee.* NATO parliamentary assembly, Germany,.
- Krepinevich, A. (2002). *The Military-Technical Revolution A Preliminary Assessment* . Washington: Center for Strategic and Budgetary Assessments.
- Mckitrick , J. (1996). *Battle field of the future.* California: Association of old Crows.
- Thomas , K., & Lonsdale , D. (2012). *Understanding Contemporary Strategy.* London & New York: Routledge Taylor & Francis Group.
- Toffler, A., & Toffler, H. (1993). *War And Anti War, New York : Warner Books.* New York: Warner Books.
- Upadhyaya, R. (2012). revolution in military affairs. *Air power journal*.
- W.A. (2024, March 25). *The Battlefield of the Future- 21st Century Warfare Issues", Air University,*. Récupéré sur http://www.cdsar.af.mil/battle.bfoc.html

الموقف الأمريكي من الهجوم الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي عام 1981

دراسة في الوثائق الأمريكية

The American PPosition on The Israeli Attack on The Iraqi Nuclear Reactor in 1981

A Study of American Documents

أ.م.د. علاء رزاك فاضل النجار[1]*

مركز دراسات البصرة والخليج العربي- جامعة البصرة، العراق

Alaa.ALNajjar@uobasrah.edu.iq

تاريخ الإرسال: 2024/09/24 تاريخ النشر: 2022/10/31

****

ملخص الدراسة

هدف البحث الى توضيح الموقف الامريكي من الهجوم "الاسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي عام 1981. وكيف واجهت الادارة الامريكية تداعياته. فعلى الرغم من ان الولايات المتحدة ادانت الهجوم "الاسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي عام 1981، بوصفه شكل خطراً حقيقياً هدد الامن والسلم الدوليين، وجاء خلافاً لتوجهاتها ومصالحها في المنطقة. الا انها رفضت فرض عقوبات دولية على إسرائيل بسبب الهجوم. اذ لوحت الإدارة الأمريكية باستخدام حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن ضد أي قرار يفرض عقوبات على "إسرائيل"، وأشارت إلى إمكانية انسحابها من الوكالة الدولية للطاقة الذرية في حال اتخاذ إجراءات عقابية ضد "إسرائيل".

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية

الحوادث النووية؛ انتشار الاسلحة النووية؛ الصراع العربي – الإسرائيلي؛ الرئيس الامريكي رونالد ريغان.

Abstract

The research aims to clarify the American position on the "Israeli" attack on the Iraqi nuclear reactor in 1981, and how the American administration faced its repercussions. Although the United States condemned the "Israeli" attack on the Iraqi nuclear reactor in 1981, describing it as a real threat to international peace and security, and contrary to its orientations and interests in the region, it refused to impose international sanctions on Israel because of the attack. The US administration threatened to use its veto in the Security Council against any resolution imposing sanctions on "Israel", and indicated the possibility of withdrawing from the International Atomic Energy Agency in the event of taking punitive measures against "Israel".

Key words

Nuclear Accidents; Nuclear Proliferation; Arab-Israeli Conflict; US President Ronald Reagan**.**

1.مقدمة

مثل الهجوم "الاسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي عام 1981، حدثاً كبيراً استوجب وقوف معظم دول العالم ضده. فعلى الرغم من أن المفاعل العراقي سبق وأن تعرض لهجوم إيراني عام 1980، إلا أنه لم يتسبب بضرر كبير له قياساً بحجم الضرر الذي أحدثته الغارة "الاسرائيلية" عليه، والتي نجم عنها تدمير شبه كامل لمفاعل (17 تموز). الأمر الذي شكل تهديداً خطيراً على الحياة البشرية، في حال تم الاذعان والرضوخ لمثل تلك الهجمات.

وفي ظل سعي الولايات المتحدة إلى تعزيز نفوذها في الشرق الأوسط، والحفاظ على مصالحها هناك بعيداً عن التوترات والصراعات، جاء الموقف الأمريكي من الهجوم ليعبر عن تلك التوجهات، إذ أدانت الولايات المتحدة العمل "الاسرائيلي"، ورفضت المبررات التي أعلنتها الحكومة "الاسرائيلية" آنذاك. ومع ذلك،

فان الادارة الامريكية لم تتخلَ عن "إسرائيل" ودافعت عنها في المحافل الدولية، ولم ترضَ بفرض عقوبات دولية عليها.

- **أهمية البحث**

تكمن أهمية البحث في أنه سلط الضوء على الموقف الامريكي من الهجوم "الاسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي عام 1981. وتوضيح ردود فعل الساسة الأمريكان من الضربة، لاسيما وأن حليفتهم "إسرائيل" هي من قامت بها.

- **إشكالية البحث**

تمثلت إشكالية البحث بمجموعة من الأسئلة:

- ✓ هل كانت الولايات المتحدة على علم مسبق بالهجوم "الإسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي عام 1981؟
- ✓ هل تسبب الهجوم في إحراج الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة؟
- ✓ بماذا اتسم الموقف الأمريكي العام من الهجوم؟

- **فرضية البحث**

وضحت فرضية البحث الإجابات الآتية:

- ✓ لم تكن الولايات المتحدة على علم مسبق بالهجوم "الاسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي، إذ لم يكن العراق في حالة حرب مع "إسرائيل"، ومن ثم فإن قيام الأخيرة بتوجيه ضربة عسكرية للعراق لم يكن في حسابات الساسة الأمريكان آنذاك، على الرغم من أن السفير الأمريكي لدى "إسرائيل" كان يعتقد بحتمية الهجوم في حال ثبت عدم نجاح الدبلوماسية الأمريكية في منع فرنسا وإيطاليا من مساعدة العراق في المجال النووي.

- ✓ تسبب الهجوم "الإسرائيلي" على المفاعل العراقي بحرج كبير للحكومة الأمريكية، على اعتبار أن "اسرائيل" حليفتها الرئيس في المنطقة، وكان عليها منعها من الاقدام على فعل كهذا، لاسيما وان الإدارة الأمريكية كانت راعية لمشاريع السلام بين العرب "وإسرائيل" آنذاك. علاوة على ذلك، تسبب الهجوم في وضع الدول العربية الحليفة للولايات المتحدة في موقف صعب، لأنه أثبت أن دفاعها عن الأخيرة وتبنيها للمشاريع الراعية لها لم يكن في محله.

- ✓ على الرغم من أن الولايات المتحدة أدانت الهجوم "الإسرائيلي"، ولم تكن راضية عنه، إلا أنها لم توقف إلا موقتاً صادرات أسلحتها إلى "إسرائيل"، وعملت في المحافل الدولية على منع فرض العقوبات المشددة على الأخيرة، ولم تلتزم بكونها أحد الدول العظمى الواجب عليها احترام الأمن والسلم الدوليين، والسعي إلى تطبيق المعاهدات والمواثيق الدولية بغض النظر عن الدولة التي عملت على تقويضها.

- ➢ **هدف البحث**

يهدف البحث إلى توضيح الموقف الأمريكي من الهجوم "الاسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي عام 1981. وكيف واجهت الادارة الأمريكية تداعياته، وحاولت جاهدة حماية حليفتها "إسرائيل" من العقوبات الدولية التي كان من الممكن ان تفرض عليها في ظل جسامة فعلها.

- ➢ **منهجية البحث**

استند البحث على منهجين: الأول، المنهج التاريخي، إذ تتبع الباحث مسار الأحداث التاريخية على وفق تسلسلها الزمني. أما الثاني فهو المنهج التحليلي، والذي تم اعتماده لإيضاح الاستفهامات الواردة في إشكالية الدراسة والإجابة عليها، ومن ثم تحليل الأحداث بغية الوصول إلى أدق الاستنتاجات.

- ➢ هيكلية البحث

قسم البحث على مقدمة ومبحثان، كرس الأول لبحث نشوء وتطور البرنامج النووي العراقي حتى عام 1981. على حين خصص الثاني لدراسة موقف الحكومة الأمريكية من الهجوم "الإسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي عام 1981. وتبع ذلك، خاتمة احتوت على أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها، وقائمة هوامش ومصادر البحث، الذي اعتمد بشكل رئيس على الوثائق الأمريكية غير المنشورة، والتي أفرج عنها عام 2021.

2. نشوء وتطور البرنامج النووي العراقي حتى عام 1981.

يعود تاريخ البرنامج النووي العراقي إلى عام 1956، عندما نشأت لجنة الطاقة الذرية العراقية على أثر هدية قدمتها الولايات المتحدة إلى العراق ضمن برنامج الذرة من أجل السلام، الذي أعلن عنه الرئيس الأمريكي **دو ايت دافيد إيزنهاور**[1] **Dwight David Eisenhower**، في عام 1953. إذ شملت الهدية مكتبة ضمت كتباً متخصصة ومهمة في مجال الطاقة النووية، ومفاعلاً تجريبياً صغيراً لم يصل إلى العراق بسبب قيام ثورة 1958، والاطاحة بالنظام الملكي، إذ تم تغيير وجهة المفاعل التجريبي الذي كان محملاً على باخرة بالقرب من ميناء البصرة إلى ميناء بوشهر الإيراني ونصب في جامعة طهران (المعيني، 2015، الصفحات 131-132).

ونتيجة لذلك، اتجه العراق نحو الاتحاد السوفييتي، إذ أرسلت الحكومة العراقية وفداً خاصاً إلى موسكو، الأمر الذي أدى إلى توقيع اتفاقية للتعاون النووي بين موسكو وبغداد في ١٧ اب ١٩٥٩، والتي قدم السوفييت بموجبها إلى العراق مساعدات فنية لإنشاء فرن نووي لأغراض البحوث العلمية، وتأسيس مختبر النظائر المشعة، وتنظيم العمل في مؤسسات البحوث العلمية ومعاهد الدراسات العليا، والقيام بمراجعة الكشوفات ومن ثم اجراء البحوث الجيولوجية والتحري عن الخامات المشعة، وتقديم المساعدة في تدريب ملاك من العراقيين على القضايا المتعلقة باستخدام الطاقة الذرية[2].

وتأسيساً على المحاور الواردة في الاتفاقية أعلاه، شهد الاتفاق بين العراق والاتحاد السوفييتي في عام 1960، وضع اللمسات الأخيرة لتوقيع عقد بناء المفاعل النووي وتشييد البنى التحتية الخاصة به مع توفير

(1)دوايت دافيد إيزنهاور: الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية. ولدَ في ولاية تكساس عام 1890. تلقى تعليمه العسكري في الكلية الحربية خلال عامي (1928 – 1929)، وفي عام 1936 تمت ترقيته إلى رتبة عقيد، وفي غضون الحرب العالمية الثانية تقدم في سلك الخدمة العسكرية بسرعة حتى وصل إلى رتبة جنرال، وفي عام 1943 عين القائد العام لقوات الحلفاء في أوربا، وكان هو المسؤول عن عملية احتلال أفريقيا الشمالية عام 1943، واحتلال مقاطعة نورماندي في شمال فرنسا عام 1944، وفي عام 1950 أصبح القائد الأعلى لقوات حلف الناتو. حكم الولايات المتحدة الأمريكية لدورتين متتاليتين من (1953 – 1961)، بوصفه مرشحاً عن الحزب الجمهوري، واستطاع أن يتوصل إلى حل لحرب كوريا، وبعد موافقة الكونغرس الأمريكي اعلن مبدأ إيزنهاور في 5 كانون الثاني 1957، والذي تضمن : حماية القوات الأمريكية لأي دولة تتعرض لهجوم من أي دولة تابعة لنفوذ الشيوعية الدولية، ومنح مساعدات اقتصادية للدول المتحالفة مع الولايات المتحدة، ومنح مساعدات عسكرية أمريكية للدول التي تطلب ذلك. توفي عام 1969. للمزيد من التفاصيل يراجع:
The White House, Cited in: https://www.whitehouse.gov/about-the-white-house/presidents/dwight-d-eisenhower; Burton I. Kaufman, Diane Kaufman, Historical Dictionary of the Eisenhower Era, UK, 2009, pp. 82 -84.

الكادر والمستلزمات والأجهزة فضلاً عن الوقود واليورانيوم المخصب. إذ تم نصب هذا المفاعل الذي أطلق عليه مفاعل 14 تموز في مركز البحوث النووية في موقع التويثة الذي يقع جنوب بغداد، ووصل المفاعل إلى حالته التشغيلية في عام ١٩٦٧، وإلى قدرته التصميمية في كانون الثاني عام ١٩٦٨. وأصبح بالإمكان إنتاج النظائر المشعة في هذا المفاعل. وفي عام ١٩٦٩ بدءً موقع التويثة في إنتاج النظائر المشعة، إذ كان الموقع يعمل بطاقة (٢) ميغاواط.

انضم العراق إلى معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية عام ١٩٦٩، والتي أصبحت نافذة المفعول في العام التالي، إذ التزم العراق بجميع الضمانات الواردة في تلك المعاهدة، وأخضع منشآته كافة لرقابة المفتشين الدوليين. كما وقع العراق على اتفاق مع الوكالة الدولية للطاقة النووية عام ١٩٧٢، لتطبيق الضمانات المنصوص عليها في المعاهدة انفة الذكر بشأن جميع النشاطات النووية التي يقوم بها (حمود، 2021، صفحة 19)

واصل العراق جهوده باتجاه تطوير قدراته النووية، إذ وقع اتفاقية مع فرنسا في عام 1975، لتزويد منظمة الطاقة الذرية العراقية بمفاعل نووي بطاقة 40 ميغاواط، يشبه المفاعل الفرنسي في مركز البحوث النووية في ساكلي جنوب باريس، والذي يدعى بمفاعل (أوزيريس) (Osiris)، يصاحبه مفاعل صغير يدعى بمفاعل (إيزيز) (Isis) وبطاقة 800 كيلو واط. ولتميز المفاعل الذي سيزود به العراق، أطلق عليه الفرنسيون اسم مفاعل (أوزيراك) (Osirak) (الساعاتي، 2018، صفحة 25) في حين أطلق العراقيون على المشروع كله اسم مفاعل (17 تموز)، وعلى المفاعل الأكبر اسم (تموز1)، وعلى المفاعل الأصغر (تموز2) (علاي، 2021، صفحة 129). وقد تضمن العقد مع فرنسا تجهيز وتشييد مفاعل 17 تموز، بما في ذلك تجهيز منظومات لستة تجارب هندسية وفيزياوية مختلفة لدراسة مواصفات الوقود النووي ودورات تبريده وخصائص المواد. وبناء وتجهيز ورشة متخصصة لتجميع وفحص منظومات التجارب الستة. وبناء وتجهيز مختبرات حارة لفحص الوقود والمواد بعد تعرضها للإشعاع في مفاعل (أوزيراك). وبناء وتجهيز محطة لمعالجة النفايات المشعة، وتدريب كوادر منظمة الطاقة الذرية العراقية على تشغيل وصيانة المفاعل الجديد، تجميع وفحص ونصب وتشغيل التجارب الستة، الفحوصات والقياسات الفيزياوية للمفاعل وللتجارب عند تشغيلها، التحليلات الكيمياوية، تشغيل المختبرات الحارة وإجراء الفحوصات فيها، تشغيل وصيانة محطة معالجة النفايات المشعة (الساعاتي، 2018، الصفحات 25-27).

كما وقعت لجنة الطاقة الذرية العراقية مع نظيرتها الإيطالية (CNEN)، اتفاقية في 13 كانون الثاني 1976، نتج عنها قيام الشركة الايطالية (Snia-Technit) بتشييد وتجهيز مشروع تم تسميته 30 تموز، يتكون

من مختبر لتصنيع وقود لمفاعلات إنتاج الطاقة، يتضمن قاعة تكنولوجية لبحوث الهندسة الكيماوية، ومختبراً لفحص المواد، وورشة ميكانيكية، وورشة كهربائية، ومختبراً لإنتاج النظائر المشعة، وعدد التشخيص الطبية، ومختبرات فحوص المواد (التميمي، 2019، صفحة 30).

وبعد أن أبلغت فرنسا العراق في عام 1979، أنها تقترح تشغيل مفاعل 17 تموز بنوع من الوقود مطوّر حديثاً ومكون من اليورانيوم قليل التخصيب يدعى (كراميل) (Caramel). رفض نائب رئيس لجنة الطاقة الذرية العراقية آنذاك الدكتور عبد الرزاق الهاشمي قبول الاقتراح معتبراً إياه خرقاً لبنود العقد. لذا سلمت فرنسا العراق مطلع عام 1981، (12) كيلوغراماً من الوقود العالي التخصيب المنصوص عليه في العقد، وتم تسجيل الشحنة أصولياً عند الوكالة الدولية للطاقة الذرية، على وفق متطلبات معاهدة الحد من الانتشار النووي (سلبي ، الجلبي ، و خدوري، 2011، الصفحات 26 - 27.). يتضح مما تقدم أن جهود العراق في مجال الطاقة النووية كانت كلها سلمية، ولم يكن لدى العراق أي شيء يخفيه عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

3. موقف الحكومة الامريكية من الهجوم "الإسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي عام 1981

عبرت الحكومة "الإسرائيلية" في اجتماعاتها مع السفير الأمريكي لدى **"إسرائيل" صموئيل لويس**[1] **Samuel W. Lewis**، منذ تموز 1980، عن قلقها بشأن البرنامج النووي العراقي. وفي الشهر نفسه "**حذر**" السفير لويس الرئيس الأمريكي **جيمي كارتر**[2] **Jimmy Carter**، وزير الخارجية الأمريكي **إدموند**

(1)صموئيل لويس: ولد في هيوستن بولاية تكساس في 1 تشرين الاول 1930. تخرج من جامعتي ييل وجونز هوبكنز، ودخل الخدمة الدبلوماسية في عام 1954، وخدم في نابولي وفلورنسا بإيطاليا. أصبح عضواً كبيراً في هيئة الموظفين في مجلس الأمن القومي ومساعداً خاصاً للمدير العام للخدمة الخارجية في عام 1970. كما شغل منصب نائباً لرئيس البعثة الامريكية في كابول (1971–1974). بعدها أصبح نائباً لمدير موظفي تخطيط السياسات في وزارة الخارجية (1974–1977). عين سفيراً لدى إسرائيل (1977 – 1985). وأقام علاقات وثيقة مع القادة السياسيين الإسرائيليين، وادى دوراً مهماً في مفاوضات السلام الإسرائيلية – المصرية. يراجع:

David Shavit, The United States in the Middle East: A Historical Dictionary, New York, 1988, P.211,

(2) جيمي كارتر: الرئيس التاسع والثلاثون للولايات المتحدة الامريكية (1977 – 1981). ولد في ولاية جورجيا عام 1924. خدم في القوات البحرية بوصفه فيزيائياً حتى عام 1953، بعدها أدار أعمال شركات عائلته. دخل السياسة عام 1962، عندما انتخب عضواً في مجلس شيوخ ولاية جورجيا، وفي عام 1970 انتخب حاكماً للولاية حتى عام 1975. فاز بمنصب

موسكي[1] **Edmund Muskie**، من أن "إسرائيل" تفكر في توجيه ضربة استباقية للمفاعل العراقي إذا لم تسفر الضغوط الأمريكية عن منع فرنسا وإيطاليا من تسهيل حصول العراق على قدرة تصنيع أسلحة نووية (Memorandum from Richard V., 1981).

كما رفض رئيس الوزراء "الإسرائيلي" مناحم بيغن[2] تطمينات إدارة كارتر التي قدمها السفير لويس إليه في 17 تموز 1980، وأشار إلى أن الإسرائيليين قد يستخدمون الحرب العراقية - الإيرانية بوصفها غطاءً لشن هجوم على المفاعل العراقي. وعلى الرغم من أن الاحاطة التي قدمها لويس إلى بيغن في كانون الأول 1980، تضمنت عدم وجود خلاف أمريكي مع الإسرائيليين حول أهداف العراق النووية، إلا أن لويس حذر من أن الهجوم على المنشآت النووية العراقية سيكون بمثابة "**نكسة خطيرة**" للسلام في المنطقة. ومع ذلك

الرئاسة الامريكية عن الحزب الديمقراطي عام 1976، ليصبح أول رئيس من الولايات الجنوبية منذ الحرب الأهلية الأمريكية. لم يتسنَ له تحقيق الفوز على مرشح الحزب الجمهوري رونالد ريغان في انتخابات الرئاسة الامريكية عام 1980. توفى عام 1981. للمزيد من التفاصيل يراجع:

The White House, Cited in: https://www.whitehouse.gov/about-the-white-house/presidents/james-carter; Paula K. Byers and Others, Encyclopedia of World Biography, Vol.3, Second Edition, United States of America, 1998, PP.339 – 342.

(1)ادموند موسكي: ولد في رومفورد بولاية مين في 28 اذار 1914. وبعد تخرجه من كلية بيتس عام 1936، ومن كلية كورنيل للحقوق عام 1939، بدأ بممارسة القانون في ووترفيل بولاية مين. خدم في البحرية الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية، ثم عاد إلى مهنته في ووترفيل. بدأت حياته السياسية عندما انتخب عضواً في مجلس النواب الامريكي عن ولاية مين (1947–1951)، وأصبح أول ديمقراطي منذ 20 عاماً ينتخب حاكماً لولاية مين (1955–1959). كما تم انتخابه لعضوية مجلس الشيوخ الأمريكي (1959–1980). اصبح وزيراً للخارجية (1980–1981). توفي في واشنطن في 26 اذار 1996. للمزيد من التفاصيل يراجع:

Encyclopedia Britannica, Cited in: https://www.britannica.com/biography/Edmund-Muskie.

(2)مناحم بيغن: ولد في بولندا عام 1913. تخرج من كلية الحقوق في وارسو. انضم إلى منظمة بيتار الصهيونية التي انشأت عام ١٩٢٣، بهدف إعداد الصهاينة للهجرة إلى فلسطين وتدريبهم من أجل اقامة الكيان الصهيوني. وعندما دخلت القوات السوفيتية بولندا في أوائل الحرب العالمية الثانية ألقي القبض عليه ووجهت إليه تهمة العمل في المخابرات الإنجليزية، وأمضى فترة في سجن (لوكيشكي) حيث صدر عليه الحكم في نيسان ١٩٤١، بالسجن لمدة ثماني سنوات، وفي ذلك الوقت وقع سيكورسكي مع ستالين اتفاقية اخرج بموجبها المعتقلين البولنديين وكان بيغن من بين الذين أفرج عنهم. وفي عام ١٩٤٢، غادر بيغن بولندا إلى فلسطين وانضم إلى منظمة الارغون الإرهابية، ثم تولى قيادتها في العام التالي. أسس حزب حيروت في أواخر عام ١٩٤٨. نجح بيغن في تشكيل وزارته عام ١٩٧٧، التي استمرت حتى عام 1983. للمزيد يراجع: فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج2، عمان، 2003، ص 530–531.

عبر بيغن عن اعتقاده بأن الدبلوماسية الأمريكية لن تنجح ولم تثنِ فرنسا وإيطاليا عن جهودهما في مساعدة العراق لإنتاج أسلحة نووية (Department, 9 June 1981).

لم تتأخر "إسرائيل" كثيراً في تنفيذ مخططاتها تجاه العراق. ففي يوم الأحد المصادف 7 حزيران 1981، شن سلاح الجو الإسرائيلي غارة مفاجئة على مركز البحوث النووية في التويثة بواسطة ثماني طائرات من طراز (أف 16)، وست طائرات من طراز (أف 15). وقد دمرت الضربات الجوية بشكل كبير مفاعل (تموز 1)، وإلى حدٍ كبير مفاعل (تموز2)، إذ استخدم الإسرائيليون ستة عشر قنبلة حديدية تزن (2000) رطل في الهجوم، الذي استمر من 90 إلى 95 ثانية. وعلى الرغم من إطلاق العراق صواريخ مضادة للطائرات، إلا أنها لم تكن فعالة (Situation, 8 June 1981).

وفي اليوم نفسه بعث السفير الأمريكي لويس رسالة إلى الرئيس الأمريكي **رونالد ريغان**[1] **Ronald Reagan**، ووزير الخارجية الامريكية **ألكسندر هيج**[2] **Alexander Haig**، أشار فيها إلى أن مناحيم بيغن طلب منه إبلاغ الرئيس الامريكي ووزير خارجيته بأن "إسرائيل" نفذت هجوماً على المفاعل النووي العراقي ودمرته بالكامل، وان الطائرات المكلفة بالهجوم عادت جميعها بسلام (U.S. Embassy in Israel Telegram 09089 to the State, 7 June 1981.).

(1)رونالد ريغان: رئيس الولايات المتحدة الامريكية الاربعين (1981–1989). ولد في مدينة تيمكبو بولاية إلينوي. عمل معلقاً رياضياً في محطة إذاعة بعد تخرجه من كلية أيوركا في الينوي عام ١٩٣٢. وقع عقداً للعمل ممثلاً مع إخوان وودنر عام ١٩٣٧، وكان أول فيلم يظهر فيه عام ١٩٤٥. انتخب رئيساً عن الحزب الجمهوري عام ١٩٨٠، وأعيد انتخابه بالأغلبية المطلقة للمرة الثانية عام ١٩٨٤، بعد هزيمة منافسه والترف موندیل المرشح الديمقراطي. للمزيد من التفاصيل يراجع: فراس البيطار، المصدر السابق، ج2، ص 701–703.

(2)ألكسندر هيج: ولد في بنسلفانيا عام 1924. تخرج من الأكاديمية العسكرية الامريكية عام 1947. حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من كلية كولومبيا للأعمال عام 1951، ودرجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جورج تاون عام 1961. اصبح نائباً لرئيس أركان الجيش للعمليات (1962–1964)، ثم سكرتيراً عسكرياً على التوالي لوزير الجيش ووزير الدفاع (1964–1965). عُين مساعداً عسكرياً لمستشار الأمن القومي هنري كيسنجر عام 1969. ثم نائباً لمستشار الامن القومي (1970–1973). اصبح رئيساً لأركان الجيش الأمريكي (1973–1974). كما شغل منصب القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا (1974–1979). ثم وزيراً للخارجية الامريكية (1981–1982). توفى عام 2010. للمزيد من التفاصيل يراجع:

Martin Folly, Historical Dictionary of U.S. Diplomacy during the Cold War, U.S.A., 2015, PP.177–178.

كما تم استدعاء الملحق العسكري الامريكي في "إسرائيل" في 7 حزيران 1981، بشكل عاجل من قبل مدير المخابرات العسكرية "الإسرائيلية" اللواء يهوشوا ساغي، الذي ابلغه بالهجوم الإسرائيلي على المفاعل العراقي في التويثة، واشار الى إن الضربة حققت نجاحاً تاماً، وأن المفاعل دمر بالكامل، واضاف ان بلاده لا تخطط للإعلان عن الهجوم في الوقت الراهن، لا سيما وان العراق لم يعلن عنه بعد (State Department Message to Central Intelligence , June 1981). وفي صباح اليوم التالي التقى السفير لويس بعضو الكنيست موشيه ديان، الذي اشار الى انه على الرغم من تعرضه لضغوط داخلية وخارجية لتبرير الهجوم على المفاعل العراقي، لكنه سينتظر رد فعل **الولايات المتحدة** قبل الإدلاء ببيان. وإن رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن سيبعث رسالة إلى الرئيس ريغان توضح أسباب الهجوم ومبرراته[1] (White House Situation Room Memorandum to Richard V, 8 June 1981).

بينت مذكرة وزارة الخارجية الامريكية الى غرفة العمليات بالبيت الأبيض في 8 حزيران 1981، ردود الفعل الإقليمية الأولية على الهجوم على المفاعل العراقي. اذ وصفت السعودية الهجوم بأنه "**إهانة**" لها وللولايات المتحدة، وانه وضع السعوديين في موقف محرج تجاه العرب الاخرين. على حين ذكر نائب الرئيس المصري حسني مبارك[2] إن الهجوم سيخلق مشكلات لكل من مصر والولايات المتحدة في العالم العربي في الوقت الذي تحاول فيه واشنطن والقاهرة اعادة بناء الثقة، وانه من المؤكد أن الاتحاد السوفياتي وسوريا سيستخدمان الهجوم ضدهما، واكد إن مناجم بيغن سيفعل أي شيء من اجل الفوز في الانتخابات، وأشار إلى أن عمل الاخير غير متوازن (White House Situation Room Memorandum to Richard V, 8 June 1981).

طلبت برقية وزارة الخارجية الامريكية في 8 حزيران 1981، من السفير لويس الاتصال ببيغن أو نائب وزير الدفاع مردخاي تسيبوري في أقرب وقت ممكن للحصول على تفاصيل ومبررات للهجوم الإسرائيلي. وبحسب البرقية فإن الولايات المتحدة كانت "**تواجه مشكلة كبيرة في الموقف العام**". كما طلبت وزارة

---

(2)حسني مبارك: رابع رئيس لجمهورية مصر منذ إلغاء النظام الملكي في عام ١٩٥٢. من مواليد ٤ أيار ١٩٢٨ من قرية كفر المصيلحة في محافظة المنوفية. تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٩، ومن كلية الطيران عام ١٩٥٢. عينه الرئيس جمال عبد الناصر مديراً لكلية الطيران عام ١٩٦٧، ثم عينه رئيساً لأركان حرب القوات الجوية المصرية عام ١٩٦٩. وفي ١٩٧٢ عين قائدا للقوات الجوية. أصبح نائباً لوزير الحربية عام ١٩٧٣. رقي إلى رتبة فريق عام ١٩٧٤، وفي العام التالي عين نائباً لرئيس الجمهورية. انتخب رئيسا للجمهورية المصرية خلفا للرئيس أنور السادات في 13 تشرين الاول 1981، واعيد انتخابه لولاية ثانية عام ١٩٨٧، ثم لولاية ثالثة عام 1993، ثم رابعة عام 1999. للمزيد من التفاصيل يراجع: فراس البيطار، المصدر السابق، ج2، ص623.

الخارجية الأمريكية معلومات من الإسرائيليين حول مدى الضرر والمنشآت التي تعرضت للقصف، والعواقب الخطيرة المحتملة للضربة بما في ذلك الإشعاع الناتج عنها، وما هو دليل "إسرائيل" على أن العراق لديه نشاط لإنتاج الأسلحة النووية، وكيف ستتعامل "إسرائيل" مع الأسئلة المتعلقة باستخدام الطائرات والأسلحة التي تقدمها الولايات المتحدة اليها (Department, 9 June 1981).

سلمت السفارة "الإسرائيلية" في واشنطن إلى وزارة الخارجية الأمريكية في 8 حزيران 1981، بياناً خاصاً من الحكومة "الإسرائيلية"، أشار إلى أن سلاح الجو الإسرائيلي شن يوم الأحد الموافق 7 حزيران 1981، غارة جوية على المفاعل النووي العراقي. وأن الطائرات المنفذة للهجوم أتمت مهمتها بالكامل ودُمر المفاعل وعادت جميعها بسلام. وأشار البيان إلى أن الحكومة "الإسرائيلية" ترى وجوب أن تشرح للرأي العام سبب اتخاذ هذا القرار، من خلال التوضيح أنه منذ مدة طويلة وهي تراقب بقلق متزايد المفاعل العراقي، من مصادر لا شك في موثوقيتها. وعلمت أنه مصمم لإنتاج قنابل ذرية. وسيكون هدف هذه القنابل هو "إسرائيل". وإن القنابل الذرية التي كان المفاعل قادراً على إنتاجها، سواء من اليورانيوم المخصب أو من البلوتونيوم ستكون كبيرة جداً. وهو ما يمثل خطراً مميتاً على الشعب الإسرائيلي. كما أوضح البيان أن الحكومة "الإسرائيلية" علمت من أكثر المصادر موثوقية بتواريخ اكتمال المفاعل وتشغيله. إذ سيتم تشغيل الأول بداية تموز 1981. والثاني: بداية أيلول من العام نفسه. وبحلول ذلك الوقت، فإنه لا يمكن لأي حكومة "إسرائيلية" أن تفكر في قصف المفاعل، لأن ذلك سيتسبب في "**تداعيات إشعاعية قاتلة وهائلة على مدينة بغداد وعشرات الآلاف من سكانها الأبرياء**". لذلك، قررت الحكومة "الإسرائيلية" العمل دون مزيداً من التأخير لضمان وجود شعبها. وأنه تم التخطيط بعناية لتنفيذ الهجوم وجعله يوم الأحد على افتراض أن الخبراء الأجانب العاملين في المفاعل، والذين يتراوح عددهم بين (100) و (150) خبيراً سيكونون غير متواجدين بسبب توافقه مع يوم الراحة للمكون المسيحي، وثبت أن هذا الافتراض كان صحيحاً. إذ لم يصب أي أحد من الخبراء الأجانب. كما اوضح البيان بأن هناك حكومتان أوروبيتان قامت بمساعدة "**الطاغية العراقي**" لصنع أسلحة ذرية مقابل النفط. وان الحكومة "الإسرائيلية" تدعوهما مرة أخرى إلى الكف عن هذا العمل المرعب واللاإنساني. وهي لن تسمح تحت أي ظرف من الظروف لأي عدو بتطوير أسلحة دمار شامل ضد شعبها. وستدافع عن مواطني "إسرائيل" في الوقت المناسب وبكل الوسائل المتاحة لها (Embassy of Israel, 8 June 1981). بدى واضحاً ان البيان "الاسرائيلي" حمل الكثير من الحجج والمبررات الواهية بما في ذلك إنتاج المفاعل العراقي الاسلحة النووية، وأن تلك الأسلحة ستكون موجهة ضد الشعب "الاسرائيلي".

من جانبها، أرسلت وزارة الخارجية الأمريكية تعليمات مشددة إلى سفرائها في الشرق الأوسط وجنوب آسيا في 8 حزيران 1981، أوصتهم فيها بعدم اطلاع أحد على المعلومات الواردة في البرقية، والتي تفيد بأن الحكومة "الإسرائيلية" أبلغت الولايات المتحدة بأنها اتخذت إجراءات عسكرية لتدمير المنشأة النووية العراقية في التويثة، وأن الولايات المتحدة لم تتلقَ أي إشعار مسبق بالهجوم. كما أشارت وزارة الخارجية في برقيتها بأنه على الرغم من أن العراق لم يعلن عن الضربة بعد، إلا أنها تتوقع بأن ذلك سيكون قريباً. وأن الإدارة الأمريكية تعمل على إعداد إرشادات صحفية حول هذا الموضوع. كذلك أوصت البرقية السفراء بعدم إخطار السلطات المحلية بالضربة "الإسرائيلية" ضد العراق، وضرورة اتخاذ البعثات جميع التدابير الأمنية المناسبة. وما أن يعلن العراق عن الضربة فيجب عدم التردد في الاتصال بالسلطات المحلية للحصول على أي مساعدة أمنية يعتقد أنها مطلوبة (Situation, 8 June 1981).

وعلى وفق الرسالة التي بعثتها وزارة الخارجية الأمريكية إلى وكالة الاستخبارات المركزية (Central Intelligence Agency (CIA في 8 حزيران 1981، فإن الحكومة "الإسرائيلية" كانت تحاول في الأيام الأخيرة حث الولايات المتحدة على الإسراع في إنتاج وتسليم الطائرات المقاتلة من طراز (F-15) و (F-16) إليها، وأن كلا الطرازين تم استخدامهما في الضربة ضد العراق (State Department Message to Central Intelligence ., June 1981)

بعث رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية في بغداد **وليام إيغلتون William L. Eagleton**، برقية إلى وزارة الخارجية الأمريكية في 8 حزيران، أشار فيها إلى أنه لم يسمع حتى "الآن" سوى شائعات عن الهجوم "الإسرائيلي"، وأن وسائل الإعلام العراقية لم تذكر أي شيء عنه. كما بين إيغلتون بأن بعثته اتخذت الإجراءات الأمنية المناسبة (Situation, 8 June 1981).

وفي برقيته الى وزارة الخارجية الامريكية في 8 حزيران، ذكر السفير الامريكي لدى السعودية روبرت نيومان Robert G. Neumann، بأن التوجيهات الخاصة بالتعامل مع الهجوم الإسرائيلي التي قدمتها واشنطن حتى "الآن" لم تكن قوية بما فيه الكفاية، بالنظر إلى الدلالات العاطفية العالية للحوادث المتعلقة بالطاقة النووية، وخاصة الأعمال العدائية. وذكر أن مرور الطائرات "الإسرائيلية" التي نفذت الهجوم عبر الأجواء السعودية سينظر إليه السعوديون على أنه من أعمال الحرب. ومن المرجح أنهم سيربطون ذلك بالتحليقات "الإسرائيلية" السابقة على أراضيهم، ويستنتجون أن "إسرائيل" تتجاهل سيادة السعودية. كما سيفسر السعوديون توقيت الهجوم على أنه تقويض لجهودهم للتوسط في الصراع في لبنان. كما أشار **نيومان** إلى أن الحكومة السعودية باتت تعتقد بأنه لا يمكنها الاعتماد في الدفاع عن أمنها على الولايات

المتحدة. لذا، دعا **نيومان** إلى توفير موقف أمريكي أقوى للسعودية والحكومات الصديقة الأخرى يمكن إتاحته للاستهلاك العام(W.A, 08 June 1981) .

اجتمع نائب رئيس البعثة الأمريكية في "إسرائيل" **ويليام براون William Brown**، في 8 حزيران مع رئيس المخابرات العسكرية "الإسرائيلية" **ساغي** ونائب وزير الدفاع **مردخاي تسيبوري**، الذي أوضح أن "إسرائيل" ستنتظر حتى يتم سؤالها عن الهجوم ومن ثم ستقلل من أهميته. وأنه لن يتم إعطاء أي تفاصيل عن الطائرات والأسلحة المستخدمة في الهجوم. من جانبه شدد **ساغي** على الحاجة إلى الحفاظ على سرية المعلومات، وبين أن توقيت الهجوم جاء بسبب الرغبة "الإسرائيلية" في تجنب مشكلة الإشعاع التي كانت ستحدث بمجرد شحن المفاعل (Situation, 8 June 1981).

أفاد إيغلتون في برقيته إلى وزارة الخارجية الأمريكية في 8 حزيران، بأن السفير الايطالي في العراق أكد له أن جميع العمال الإيطاليون في موقع مفاعل التويثة سليمين، لكن السفير الفرنسي أشار إلى أن هناك فنياً فرنسياً مفقوداً. كما أوضح إيغلتون بأن العراق لم يصدر حتى ذلك الوقت أي بياناً رسمياً على الرغم من أنه في وقت الهجوم كان هناك أصوات لصافرات الانذار وإطلاق نيران مضادة للطائرات بشكل كبير. وأن قلة من المسؤولين العراقيين فقط على علم بالضربة، ولم يكن هناك أي رد فعل شعبي (Situation, 8 June 1981). وفي اليوم نفسه، بعث **إيغلتون** برقية أخرى إلى وزارة الخارجية الأمريكية، أشار فيها إلى أنه مهما كانت التبريرات التي ستعلنها واشنطن، فإن القادة العراقيين سيحملون الولايات المتحدة الكثير من المسؤولية عن الهجوم، وسيذكرون أن "إسرائيل" استخدمت طائرات مقاتلة وأسلحة أمريكية متقدمة في الضربة، وأن الولايات المتحدة داعمة باستمرار "لإسرائيل"، "**وأن الولايات المتحدة اما شجعت الهجوم أو أذعنت له**". وأوصى **إيغلتون** بأن تنأى واشنطن بنفسها عن العمل "الإسرائيلي" من أجل أمن بعثته، وأمن الأمريكيين الآخرين في المنطقة (Shipler, June 9, 1981).

أشار وزير الخارجية العراقي **سعدون حمادي**[1] عند اتصاله ب**وليام إيغلتون** في 8 حزيران، إلى أن "إسرائيل" قامت بالهجوم على المفاعل النووي العراقي في التويثة. وبين أن العراق ليس له حدود مشتركة مع

(1)سعدون حمادي: ولد في كربلاء عام 1931. درس الاقتصاد في الجامعة الأمريكية في بيروت، وفي عام 1953، سافر إلى الولايات المتحدة لإكمال دراسته ونال درجة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة ويسكونسن عام 1957. عمل بعد عودته الى العراق مدرساً للاقتصاد في جامعة بغداد. تولى مناصب عدة بما فيها: عضوا في مجلس قيادة الثورة (1986–1991)، ورئيساً للوزراء (23 اذار 1991 – 13 أيلول 1991)، ورئيساً للمجلس الوطني (البرلمان) في دورتين متتاليتين

"إسرائيل" ولم يكن في حرب معها. وأن المنشأة التي تعرضت للهجوم هي مكلفة للغاية، وأن العراق وقع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية. كما أضاف حمادي أن إيغلتون كان أول ممثل لدولة أجنبية يتصل به منذ الضربة، وأن الولايات المتحدة حافظت على موقف علني من الدفاع عن السلام والعدالة، وشاركت في جهد مستمر لتحسين العلاقات مع العراق، وبسبب علاقتها الخاصة مع "إسرائيل" فان الولايات المتحدة كان بإمكانها منع الهجوم إذا كانت ترغب في ذلك. كذلك اوضح حمادي أن العراق سيدعو إلى اجتماع عاجل لمجلس الأمن الدولي، وأعرب عن أمله في الحصول على دعم أميركي. وختم حمادي حديثه بالإشارة إلى رغبة العراقيين في تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة. وبعد أن شكر إيغلتون حمادي على الاتصال به لمناقشة الهجوم "الاسرائيلي" ولفت انتباه الحكومة الامريكية لتداعياته، أشار إلى أنه يتوقع ان تصدر الادارة الامريكية بياناً رسيماً حول الموضوع، وأكد رسمياً على أن الولايات المتحدة ليس لديها علم مسبق بالغارة. وأن الحكومة العراقية سترتكب "**خطأ فادحاً**" في حال اعتقدت خلاف ذلك، وأضاف أن بلاده تعمل على إحلال الأمن والسلام في الشرق الأوسط (Department, 9 June 1981).

وبعد أن أعلنت الحكومة "الإسرائيلية" في 8 حزيران أن طائرات "إسرائيلية" قصفت ودمرت أمس مفاعلاً نووياً بالقرب من بغداد كان من شأنه تمكين العراق من تصنيع الأسلحة النووية. أدانت الولايات المتحدة في اليوم نفسه الهجوم، ووصف متحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية الحدث بأنه "**تطور خطير للغاية ومصدر قلق بالغ**" (Shipler, June 9, 1981, p. 01).

وفي رسالته إلى وزير الخارجية هيغ في 9 حزيران 1981، أوضح السفير لويس أن إدارة الرئيس ريغان غير مدركة للحوار "**الحساس والمحبط**"، الذي جرى بين مسؤولي إدارة كارتر وحكومة "إسرائيل" بخصوص المفاعل العراقية خلال عام 1980. وأنه بات مقتنعاً عقب تلك المناقشات، بأن "إسرائيل" ستضرب المفاعل العراقي قبل أن يبدأ تشغيله. وعلى وفق ما ذكره لويس، فإن توقيت الضربة لن يتسبب في ضرر كبير لجهود واشنطن الدبلوماسية في المنطقة، لاسيما وأن "الاسرائيليون" تجنبوا خطر ضرب المفاعل وهو ساخن، فضلاً عن ذلك، فإن توقيت الهجوم من شأنه أيضاً إرسال رسالة إلى السوريين مفادها إزالة الصواريخ من لبنان سلمياً (W.A, U.S. Embassy Israel telegram 7592 to State Department, Israeli Strike on Iraqi

(2003 –1996). اعتقلته القوات الأمريكية عقب احتلال العراق في نيسان 2003. وبعدما افرج عنه سافر الى خارج العراق عام 2005. توفي في المانيا عام 2007. للمزيد يراجع: حسين لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط2، بيروت، 2013، ص 298.

(Nuclear Facility: Background for the Decision, 9 June 1981). يبدو أن **لويس** كان يرى أن هناك فائدة ستعود على الأهداف الأمريكية المنطقة من جراء الهجوم "الإسرائيلي" على المفاعل النووي العراقي.

أفاد **إيغلتون** في برقيته إلى وزارة الخارجية الأمريكية في 10 حزيران 1981، أن أحد الفنيين الفرنسيين في المنشأة النووية العراقية لقي مصرعه بسبب الأبخرة الناجمة عن الغارة الجوية "الإسرائيلية"، وأنه لم يكن هناك سوى أربعة فنيين فرنسيين في المنطقة المجاورة أثناء وقوع الهجوم. كما أكد إيغلتون أنه علم بإصابة عراقيين عدة بجروح إلا أنه لم يكن على علم بأي وفيات منهم حتى "**الآن**". وأن العمال الفرنسيين لن يعودوا إلى الموقع في ظل استمرار الحرب بين العراق وإيران.

بعث وزير الخارجية الأمريكية هيغ رسالة إلى الكونغرس الامريكي في 10 حزيران 1981، ذكر فيها أن "**انتهاكاً كبيراً ربما حدث**" نتيجة للهجوم "الإسرائيلي" على العراق، وأن التسليم المقرر لأربع طائرات من طراز (F-16) إلى "إسرائيل" قد تم تعليقه في الوقت "**الحالي**". وسيبقى التعليق ساري المفعول بينما تتواصل المباحثات مع الحكومة "الإسرائيلية"، وأثناء نظر الكونغرس في الأمر (W.A, Acting Secretary of State Walter J. Stoessel, Jr., Department of State, to President Reagan, "Political Strategy for Responding to Israeli Attack, 15 June 1981).

وعلى الرغم من أن مستشار الأمن القومي الأمريكي **ريتشارد ألين Richard V. Allen**، أوضح في مذكرته إلى الرئيس **ريغان** في 15 حزيران 1981، أن "إسرائيل" لم تخطر مسبقاً واشنطن بالغارة على المفاعل النووي العراقي، إلا أنه بين أن وزارة الخارجية الامريكية كانت على علم خلال الأشهر الأخيرة من إدارة كارتر بنوايا "إسرائيل" بشأن البرنامج النووي العراقي، بما في ذلك تصميمها على اللجوء إلى القوة إذا فشلت الدبلوماسية الأمريكية في القضاء على التهديد النووي العراقي. لذلك، نصح بأن تكون تصريحات الولايات المتحدة العلنية بشأن الغارة في إطار الخلفية الدبلوماسية للغارة، "**خشية أن تثير غضب إسرائيل بشكل غير ملائم وتستفزها**"، الأمر الذي سيدفع الأخيرة إلى الزعم بأن حكومة الولايات المتحدة ليس لديها "**ذاكرة تاريخية**". كما أشار إلى أن الحكومة الأمريكية ضغطت على فرنسا وإيطاليا لعدم تسهيل حصول العراق على القدرة على انتاج الأسلحة النووية، وأن "إسرائيل" منحت حكومة الولايات المتحدة الوقت لمثل هذه الجهود، لكن الضغط لم يكن فعالاً (Memorandum from Richard V., 1981). يبدو أن ألين كان يحاول إيجاد تبريرات للغارة، وأنه لا يمكن القول أن "إسرائيل" تجاهلت واشنطن ولم تتناقش معها بخصوص الضربة.

كما يتضح من خلال رسالة ألين أن هناك تخوف واضح عند صناع القرار السياسي في واشنطن من ردود الفعل "الإسرائيلية" في حال تم اللقاء الكثير من اللوم على "إسرائيل" وتحميلها تداعيات الهجوم.

وجه القائم بأعمال وزير الخارجية الامريكية **والترستوسيل Walter J. Stoessel**، مذكرة إلى الرئيس **ريغان** في 15 حزيران 1981، أوضح فيها أن الولايات المتحدة ليست مطالبة باتخاذ قراراً قانونياً فيما إذا كانت "إسرائيل" قد انتهكت قوانين تصدير الأسلحة الأمريكية أم لا. ونصح بعدم القيام بذلك "**حتى نهرب من موقف لا مخرج منه**". إذ أوضح **ستوسيل** بأنه إذا وجدت واشنطن أن الضربة كانت غير قانونية، فستكون مطالبة بقطع تدفق الأسلحة إلى إسرائيل. ومن ناحية أخرى، إذا توصلت الولايات المتحدة إلى أن الضربة لم تنتهك القانون الأمريكي وكانت دفاعاً مشروعاً عن النفس وهي مؤيدة لها، فإن ذلك سيضر دون شك بعلاقات الولايات المتحدة مع الحكومات العربية الصديقة.

التقى مساعد وزير الخارجية الأمريكية **نيكولاس فيليوتس Nicholas Veliotes**، ومسؤول مكتب شؤون الشرق الأدنى **دانيال هيرش Daniel M. Hirsch**، مع السفير الإسرائيلي لدى الولايات المتحدة **إفرايم إيفرون Ephraim Evron**، في 16 حزيران 1981. إذ أشار **فيليوتس** إلى أنه على الرغم من أن التقييم الأمريكي الذي صدر في 17 كانون الأول 1980 - المتعلق بالأنشطة النووية في المنشأة العراقية - كان متوافقاً مع وجهات النظر "الإسرائيلية"، وعبر عن مخاوف الولايات المتحدة بشأن إمكانات البرنامج العراقي العسكرية. إلا أن واشنطن لم تتوصل أبداً إلى نتيجة نهائية حول نوايا العراق طويلة الأمد. ومن ثم لا يمكن استخدام هذه المباحثات والتقييمات لتبرير الهجوم "الإسرائيلي". كما أوضح **فيليوتس** إن الولايات المتحدة عبرت في تصريحاتها عن شعورها بالقلق إزاء البرنامج العراقي في سياق سياستها العالمية لمنع الانتشار، ولم تحاول إخفاء مخاوفها. وأضاف أن على "إسرائيل" أن تدرك أن هناك قلقاً على مستوى عال في واشنطن إزاء العمل "الإسرائيلي" المفاجئ لتدمير المنشأة النووية العراقية. ورداً على سؤال من **إيفرون** حول المداولات الجارية في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، قال **فيليوتس** إن الولايات المتحدة ستستخدم حق النقض ضد أي قرار محتمل يفرض عقوبات على "إسرائيل"، لكنها مستعدة للتصويت لصالح قرار يدين الهجوم (W.A., 18 June 1981).

أرسلت وكالة الاستخبارات الوطنية الامريكية National Intelligence Officer، مذكرة إلى وكالة الاستخبارات المركزية في 19 حزيران 1981، أشارت فيها إلى أنه ليس من المحتمل أن يكون رد الفعل العراقي على شكل هجوم ضد "إسرائيل" أو الولايات المتحدة. وأن القيادة العراقية تدرك عدم احتمالية النجاح العسكري، وهي ترى بعض الفوائد من الهجوم لأنها تعتقد أن "إسرائيل" باتت "منبوذة" دولياً، لاسيما وأن

العراق يشدد حالياً على الدبلوماسية في سياسته الخارجية، وهو حريص على إدامة هذا التصور. ومع ذلك أوضحت المذكرة بأن العراق قد يحاول استخدام الفلسطينيين المتطرفين للانخراط في "أعمال إرهابية" ضد إسرائيل. كذلك إشارة المذكرة إلى أن الهجوم الاسرائيلي قد وضع أصدقاء الولايات المتحدة العرب المعتدلين في موقف صعب، وأنه على الرغم من أن التعاون الأمريكي مع العراق بشأن قرار الأمم المتحدة سيساعد في التخفيف من أثار الغارة على الولايات المتحدة، إلا أنه يجب عدم التيقن من إمكانية اتخاذ إجراءات ملموسة ضد المصالح الأمريكية في المستقبل (Memorandum from Richard V., 1981).

صوت مجلس الأمن الدولي بالإجماع على القرار المرقم (487) في 19 حزيران 1981، والذي أشار فيه إلى أنه تم الاستماع إلى البيانات التي أُدلي بها بشأن الهجوم العسكري الإسرائيلي على مركز البحوث النووية العراقي في جلساته من 2280 إلى 2288، وإذ يحيط علماً بالبيان الذي أدلى به المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية أمام مجلس محافظي الوكالة بشأن هذا الموضوع في 9 حزيران 1981، وإذ يحيط علماً بالقرار الذي اتخذه مجلس محافظي الوكالة في 12 من الشهر نفسه بخصوص الموضوع ذاته، فضلاً عن بيان المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية أمام مجلس الأمن في جلسته 2288 المعقودة في 19 حزيران 1981، وإذ يدرك تمام الإدراك حقيقة أن العراق كان طرفاً في معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، منذ دخولها حيز النفاذ في عام 1970، فإنه على وفق تلك المعاهدة، إن العراق قبل بالضمانات التي فرضتها الوكالة على أنشطته النووية كافة، وإن الوكالة قد شهدت بأن هذه الضمانات قد طبقت حتى "الآن" على نحو مرض، وإذ يلاحظ علاوة على ذلك أن "إسرائيل" لم تلتزم بمعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، وإذ يشعر بقلق عميق إزاء الخطر الذي يهدد السلام والأمن الدوليين نتيجة للهجوم الجوي الإسرائيلي المتعمد على المنشآت النووية العراقية في 7 حزيران 1981، والذي قد يؤدي في أي وقت إلى تفجير الوضع في المنطقة، مع عواقب وخيمة على المصالح الحيوية لجميع الدول، وإذ يرى أنه بموجب أحكام الفقرة (4) من المادة (2) من ميثاق الأمم المتحدة، فإن جميع الأعضاء يمتنعون في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة أراضي أي دولة أو استقلالها السياسي، أو بأي طريقة أخرى تتعارض مع مقاصد الأمم المتحدة. كما تضمن القرار النقاط الآتية (Council، 1981، صفحة 10):

- ✓ إدانة بشدة الهجوم العسكري الذي شنته "إسرائيل" في انتهاك واضح لميثاق الأمم المتحدة وقواعد السلوك الدولي؛

- ✓ دعوة "إسرائيل" إلى الامتناع في المستقبل عن أي أعمال أو تهديدات من هذا القبيل؛
- ✓ إن الهجوم المذكور يشكل تهديداً خطيراً لنظام الضمانات الكامل للوكالة الدولية للطاقة الذرية، والذي يشكل الأساس لمعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية؛
- ✓ الاعتراف بالحق السيادي غير القابل للتصرف للعراق وجميع الدول الأخرى، وخاصة البلدان النامية، في وضع برامج للتطوير التكنولوجي والنووي من أجل تطوير اقتصادها وصناعتها للأغراض السلمية وفقاً لاحتياجاتها الحالية والمستقبلية وبما يتفق مع الأهداف المقبولة دولياً لمنع انتشار الأسلحة النووية؛
- ✓ دعوة "إسرائيل" إلى وضع منشآتها النووية على وجه السرعة تحت ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية؛
- ✓ لدى العراق الحق في الحصول على تعويض مناسب عن الدمار الذي لحق به، والذي اعترفت "إسرائيل" بمسؤوليتها عنه؛
- ✓ على الأمين العام للأمم المتحدة أن يُطلع مجلس الأمن بانتظام على تنفيذ هذا القرار.

أعدت الولايات المتحدة تقييماً استخباراتياً مشتركاً بين الوكالات في 1 تموز 1981، استعرض تداعيات الهجوم "الإسرائيلي" على المفاعل العراقي، اوضحت فيه أن الهجوم تسبب في توتر العلاقات الأمريكية - العربية، مما أدى بدوره إلى تقويض أهداف الولايات المتحدة، بما في ذلك حشد الحكومات العربية ضد الاتحاد السوفيتي، وتنظيم مفاوضات السلام العربية "الإسرائيلية، وزيادة المخاوف الأمنية للحكومات في المنطقة، وهو ما سيؤدي على الأرجح إلى تسريع سباق التسلح، إذ سيكثف القادة العرب جهودهم لحشد الأسلحة لموازنة القوة "الإسرائيلية"، وفي بعض الحالات قد يعيدون تقييم علاقاتهم مع واشنطن وتغيير وجهة نظرهم بشأن ما يجب على الأخيرة أن تفعله في الشرق الأوسط . وبين التقييم بأنه على الرغم من أن السوفييت يشعرون بخيبة أمل من التعاون الأمريكي - العراقي في الأمم المتحدة في أعقاب الهجوم الإسرائيلي، فإنهم سيستغلون الغارة لإظهار الدعم السوفيتي للحكومة العراقية، وعكس اتجاهها نحو غرب. ومع ذلك فمن المحتمل أن يتابع العراق انفتاحه على الغرب على الرغم من الجهود السوفيتية (Agency, 1 July 1981).

كما بين التقييم انه على الرغم من ان الغارة قد زادت من التعاطف مع العراق في معظم أنحاء العالم الثالث، لكن اقتراح العراق بأن تزود حكومات العالم الدول العربية برادع نووي من المرجح أن يثني أعضاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن الموافقة على نقل التكنولوجيا النووية في المستقبل إلى العراق. ومع ذلك، قد تكون الغارة قد أضرت بمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ونظام ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، مما أعطى مصداقية للمنتقدين الذين رفضوا فعاليتها. كما خلص التقييم إلى انه من المرجح ان تزيد الغارة من شكوك العالم العربي بمصداقية الولايات المتحدة بوصفها قوة حفظ سلام غير منحازة في الشرق الأوسط، وأنها جعلت من "إسرائيل" قوة عسكرية كبرى لا يمكن حتى للولايات المتحدة كبح جماحها. وأشار التقييم إلى أن ردود الفعل العربية الأشد على الهجوم جاءت من الأصدقاء التقليديين للولايات المتحدة، مثل الأردن، التي كانت تخشى أن تعرضها الضربة ورد فعل الولايات المتحدة عليها لانتقادات كبيرة. على حين كانت الحكومة العراقية منضبطة نسبياً في انتقادها لدعم الولايات المتحدة لإسرائيل (Agency, 1 July 1981). يبدو أن الحكومة العراقية كانت تفكر أكثر في الحرب مع إيران، ولم ترغب في احداث شرخ في علاقاتها مع الولايات المتحدة آنذاك.

قدم مكتب الاستخبارات والبحوث التابع لوزارة الخارجية الأمريكية في 17 آب 1981، تحليلاً لتداعيات الهجوم الإسرائيلي على المفاعل العراقي، أوضح فيه أن الهجوم قوض مصداقية معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، ومثل سابقة للهجمات على المنشآت النووية، وقد يُزيد من احتمالات توسع النفوذ السوفييتي في الشرق الأوسط، ويمكن أن يقلل من مصداقية إدارة ريغان لمنع الانتشار. ومع ذلك بين التحليل إن الضربة ركزت الانتباه أيضاً على خطر الانتشار النووي، واوضحت الحاجة إلى ضوابط أكثر صرامة على الصادرات النووية، ويمكن أن توفر فرصاً للتفاوض بشأن تطوير معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. وعلى الرغم من أن التحليل بين أن الضربة تعد انتكاسة مؤقتة لبرنامج الابحاث النووية العراقي الذي كان يستهدف خيار التسلح، إلا إنها ربما تكون قد زادت من اهتمام العراق بامتلاك القدرة على انتاج أسلحة نووية في نهاية المطاف. كما زادت الغارة من احتمالات إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط (Research, 17 August 1981).

أسفرت الجهود الأمريكية عن فشل العراق في محاولاته لطرد "إسرائيل" من الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وتعليق كل المساعدات وعمليات نقل المواد الانشطارية والتكنولوجيا إليها. فأثناء انعقاد المؤتمر العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية في فيينا في المدة (21-26) ايلول 1981، حذرت الولايات المتحدة من أنها

ستنسحب من المؤتمر، وتعيد تقييم سياساتها بخصوص المشاركة في الوكالة الدولية للطاقة الذرية، إذا ما تم الموافقة على طلب العراق. فعلى الرغم من أن المؤتمر قرر أن هجوم "إسرائيل" على منشآت الأبحاث النووية العراقية يشكل هجوماً على الوكالة الدولية للطاقة الذرية ونظام ضماناتها، وتعليق تقديم أي مساعدة "لإسرائيل" في إطار برنامج المساعدة التقنية للوكالة على الفور، ودعوة الدول الأعضاء في الوكالة إلى وقف كل عمليات نقل المواد الانشطارية والتكنولوجيا إلى "إسرائيل"، والتي يمكن استخدامها في صنع الأسلحة النووية. إلا أنه قرر أيضاً أن ينظر في دورته العادية السادسة والعشرين لعام 1982، في تعليق عضوية "إسرائيل" في الوكالة إذا لم تمتثل بحلول ذلك الوقت لأحكام قرار مجلس الأمن رقم (487) المؤرخ في 19 حزيران1981 (State Department B. o., 11 December 1981.).

وأثناء مناقشة الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني 1981، للتقرير السنوي للوكالة الدولية للطاقة الذرية، والذي تم اعتماده في السنوات الماضية عادة بالإجماع مع القليل من النقاش، قدم العراق تعديلين على التقرير، كان الأول عبارة عن فقرة في الديباجة تشير إلى الغارة "الإسرائيلية" على أنها "**تهديد خطير لجميع ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية**"؛ أما التعديل الثاني فكان فقرة تنفيذية تدعو الدول إلى الامتناع عن استخدام القوة، "**بما في ذلك على وجه الخصوص أي هجوم مسلح على المنشآت النووية** ". وفي 12 تشرين الثاني تم تبني تعديل الأول بأغلبية 119 صوت مقابل رفض الولايات المتحدة وإسرائيل التعديل. على حين امتنعت 10 دول معظمها من أمريكا اللاتينية وإفريقيا عن التصويت. ومع ذلك، صوتت الولايات المتحدة مع 129 آخرين لصالح التعديل الثاني، الذي رفضته "إسرائيل" أيضاً (State Department B. o., 11 December 1981).

من جانب آخر أعربت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 13 تشرين الثاني 1981، عن بالغ انزعاجها إزاء العمل العدواني الإسرائيلي الذي لم يسبق له مثيل، على المنشآت النووية العراقية في حزيران ١٩٨١، والذي شكل تهديداً خطيراً للسلم والأمن الدوليين، وأشارت إلى رفض "إسرائيل" الامتثال لقرار مجلس الأمن المرقم (٤٨٧) والمؤرخ في ١٩ حزيران ١٩٨١. كما أحاطت علماً بالقرار (٢٣) الذي اتخذه مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية في ١٢ حزيران ١٩٨١، والقرار GG(XXV)/RES/381، الذي اتخذه المؤتمر العام للوكالة في ٢٦ أيلول١٩٨١، وإذ تدرك الجمعية العامة للأمم المتحدة تمام الإدراك أن العراق، قد انضم إلى نظام الضمانات الخاص بالوكالة الدولية للطاقة الذرية، وأن الوكالة قد شهدت بأن هذه الضمانات قد طبقت بطريقة مرضية . واذ تلاحظ مع القلق أن "إسرائيل" قد رفضت الانضمام إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وأنها قد رفضت رغم النداءات المتكررة، ومنها نداء مجلس الأمن أن تضع منشآتها النووية

تحت ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وإذ تزعجها المعلومات والدلائل المتزايدة بشأن أنشطة "إسرائيل" الرامية إلى الحصول على الأسلحة النووية وتطويرها. وإذ يقلقها أشد القلق أن "إسرائيل" تسيء استخدام الطائرات والأسلحة المقدمة لها من الولايات المتحدة بارتكاب أعمالها العدوانية ضد البلدان العربية، وإذ تدين التهديدات "الإسرائيلية" بتكرار هذه الهجمات على المنشآت النووية إذا رأت ذلك ضرورياً، وإذ تؤكد الحق السيادي غير القابل للتصرف لجميع الدول في وضع برامج تكنولوجية ونووية للأغراض السلمية، وفقاً للأهداف المقبولة دولياً لمنع انتشار الأسلحة النووية. كما قررت الجمعية العامة ما يلي (Assembly, 1981-1982):

- ✓ إدانة بقوة "إسرائيل" لعملها العدواني المتعمد الذي لم يسبق له مثيل والذي ارتكبته انتهاكا لميثاق الأمم المتحدة وقواعد السلوك الدولي، الأمر الذي يشكل تصاعداً جديداً وخطيراً في التهديد الذي يتعرض له السلم والأمن الدوليين؛
- ✓ توجه تحذيراً رسمياً إلى "إسرائيل" للكف عن تهديداتها وعن ارتكاب مثل هذه الهجمات المسلحة ضد المنشآت النووية؛
- ✓ تكرر نداءها إلى جميع الدول للكف فوراً عن تزويد "إسرائيل" بأي أسلحة أو مواد متعلقة بها من جميع الأنواع تمكنها من ارتكاب أعمال عدوانية ضد دول أخرى؛
- ✓ ترجو من مجلس الأمن أن يحقق في أنشطة "إسرائيل" النووية وتعاون الدول الأطراف الأخرى في تلك الأنشطة؛
- ✓ تكرر طلبها إلى مجلس الأمن اتخاذ اجراءات قمعية فعالة لمنع "إسرائيل" من تعريض السلم والأمن الدوليين للخطر مرة أخرى عن طريق أعمالها العدوانية واستمرار سياساتها في التوسع والاحتلال والضم؛
- ✓ تطالب بأن تدفع "إسرائيل"، نظراً لمسؤوليتها الدولية عن عملها العدواني، تعويضاً عاجلاً وكافياً عما وقع من ضرر مادي وخسارة في الأرواح نتيجة للعمل المذكور.

- ✓ ترجو من الأمين العام أن يبقي الدول الأعضاء ومجلس الأمن على علم بالتقدم المحرز في سبيل تنفيذ هذا القرار، وأن يقدم تقريراً في هذا الشأن إلى الجمعية العامة في دورتها السابعة والثلاثين.

- ✓ تقرر أن تدرج في جدول الأعمال المؤقت لدورتها السابعة والثلاثين البند المعنون (العدوان الاسرائيلي المسلح على المنشآت النووية العراقية وآثاره الخطيرة على النظام الدولي الثابت فيما يتعلق باستخدام الطاقة النووية في الأغراض السلمية، وعدم انتشار الأسلحة النووية، والسلم والأمن الدوليين).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن قرار الجمعية أعلاه تم التصويت عليه بأغلبية (109) صوت مقابل صوتين رفضت القرار هما "إسرائيل" والولايات المتحدة، على حين امتنعت (34) دولة عن التصويت كان معظمها من الدول الغربية وأمريكا واللاتينية، موضحة أنها أدانت الهجوم "الإسرائيلي"، إلا أنها لديها تحفظات على بعض بنود القرار. وذكر ممثلو المفوضية الأوروبية واليابان أنهم امتنعوا عن التصويت على القرار بدلاً من التصويت ضده، لأن العراقيين وافقوا على إسقاط الفقرة "**خاصة جنوب إفريقيا والولايات المتحدة**" من البند الذي أشار إلى مشاركة الآخرين في أنشطة "إسرائيل" النووية (State Department, 11 December 1981). يتضح مما تقدم أن الولايات المتحدة واصلت سياستها الداعية إلى حماية حليفتها "إسرائيل" وعدم القبول بإدانتها وفرض عقوبات دولية عليها.

4.الخاتمة

لم تكن الحجج والمبررات التي أعنتها الحكومة "الإسرائيلية" لإقدامها على توجيه ضربة عسكرية للمفاعل النووي العراقي عام 1981، كافية لإقناع دول العالم بأسباب الهجوم فحسب، بل أن حتى الولايات المتحدة كانت رافضة لها. إذ أن الافتراضات التي اعتقدت "إسرائيل" بها بما في ذلك سعي العراق لتسخير جهوده النووية لإنتاج الاسلحة الفتاكة، وأنها ستكون موجهة ضد الشعب "الاسرائيلي" لم يكن فيها شيء من الواقع. وفي الحقيقة فإن إن امتلاك دولة عربية لقدرات نووية لأغراض سلمية كان خلافاً لإرادة "اسرائيل"، التي كانت تسعى لأن تكون الدولة الوحيدة التي لديها القوة والقدرات النووية في المنطقة.

وعلى الرغم من العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة "وإسرائيل"، إلا أن الأخيرة لم تخبر الإدارة الأمريكية بهجومها على المفاعل النووي العراقي قبل عملية التنفيذ، الأمر الذي أربك حسابات صناع القرار

السياسي والعسكري الأمريكي، وجعل مختلف الوكالات والمؤسسات الأمريكية تعمل على دراسة وتحليل تداعيات الهجوم على المصالح والأهداف الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بأكملها.

حاولت الإدارة الأمريكية أن تنأى بنفسها عن الحادث، وسعت إلى الحفاظ على علاقاتها مع العراق، الذي كان له نفوذ إقليمي كبير كان من الممكن أن يؤثر على التوجهات الأمريكية في المنطقة. وفي الوقت نفسه، فإن العراق لم يكن هو الآخر يرغب في إحداث تصدع في علاقاته مع واشنطن في ظل استمرار حربه مع إيران وحاجته لوقوف دولة عظمى كالولايات المتحدة إلى جانبه.

لم يكن جسامة الفعل "الاسرائيلي" وخطورته، سبباً في تخلي واشنطن عن حليفتها "إسرائيل". فعلى الرغم من إدانة الولايات المتحدة الهجوم في بادئ الأمر، إلا أنها واصلت الدفاع عن الكيان الصهيوني، وعارضت فرض عقوبات دولية عليها، معتمدة في ذلك على قوتها ونفوذها السياسي والعسكري والاقتصادي، وكونها أحد الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن الدولي.

5. قائمة المصادروالمراجع

1.5. مراجع باللغة العربية

- التميمي، ع .(2019) .*الأثير النووي: قصة القنبلة النووية العراقية* .لندن.
- المعيني، م .(2015) .البرنامج النووي العراقي وعملية نزع أسلحة الدمار الشامل، .*مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية*.(50)
- سلبي، الجلبي , ز و خدوري، ع .(2011) .*معالم واحداث غير مكشوفة في البرنامج النووي الوطني العراقي 1981-1991 ، ترجمة: عبدالرحمن اياس* .بيروت باسل الساعاتي. (2018). *القصة من الداخل: البرنامج النووي الوطني العراقي من البداية الى النهاية*. لندن.
- حمود، م .(2021) .العدوان الاسرائيلي على المفاعل النووي العراقي والنظام القانوني للاستخدام السلمي للطاقة النووية .*مجلة دراسات السياسية والاستراتيجية، بيت الحكمة*.(43)
- علاي، س. ج. (2021). *العرب والطاقة النووية البرامج النووية العربية الإسلامية*. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

2.5. مراجع باللغة الإنجليزية

- Shipler, D. (June 9, 1981). *Israeli jets destroy Iraqi atomic reactor; attack condemned by U.S. and Arab nations*, . the New York Times.

- Agency, C. I. (1 July 1981). *Interagency Intelligence Assessment, Implications of Israeli Attack on Iraq.*
- Assembly, U. G. (1981-1982). *Armed Israeli aggression against the Iraqi nuclear installations and its grave consequnces for the established international system concerning the peaceful uses of nuclear energy.*
- Council, S. (1981). *36th year : 1981, Resolution 487 of 19 June 1981.* New York .
- Department, U. E. (9 June 1981). *Israeli Strike on Iraqi Nuclear Facility: Background for the Decision.*
- Embassy of Israel, W. (8 June 1981). *D.C., A Special Statement by the Government of Israel.*
- Memorandum from Richard V. (1981). *Allen to President Reagan, Diplomatic Background to Israeli Raid on Iraq's Nuclear Reactor.* Washington.
- Research, S. D. (17 August 1981). *Current Analysis entitled Nonproliferation Implications of the Israeli Attack on the Iraqi Reactor, Report 198-CA.*
- Situation, D. o. (8 June 1981). *Israeli Attack on Iraqi Nuclear Facilities.* Report No. 1.
- State Department Message to Central Intelligence . (June 1981). *Israel/Iraq/Israel Air Force Makes Long Range Strike.* forwarding Defense Attache report.
- State Department, B. o. (11 December 1981.). *Israel Escapes IAEA Suspension This Year, Report 291-AR.*
- State Department, B. o. (11 December 1981). *Israel Escapes IAEA Suspension This Year," Report 291-AR.*
- U.S. Embassy in Israel Telegram 09089 to the State. (7 June 1981.). *Israeli Jets Destroy Iraqi Nuclear Facility.*
- W.A. (9 June 1981). *U.S. Embassy Israel telegram 7592 to State Department, Israeli Strike on Iraqi Nuclear Facility: Background for the Decision.*
- W.A. (08 June 1981). *U.S. Embassy in Saudi Arabia Telegram 3549 to the State Department, Israeli Raid into Iraq.*
- W.A. (15 June 1981). *Acting Secretary of State Walter J. Stoessel, Jr., Department of State, to President Reagan, "Political Strategy for Responding to Israeli Attack.*
- W.A. (18 June 1981). *State Department Telegram 159555 to U.S. Embassy in Israel, Evron-Veliotes Discussion of Iraqi Nuclear Issue.*
- White House Situation Room Memorandum to Richard V. (8 June 1981). *Allen, Israeli Strike Update,.*

تداعيات التدخل الخارجي على أمن و استقرار العراق بعد سنة (2003)

The Repercussions of External Intervention on The Security and Stability of Iraq after The Year (2003)

م. م. نهى جاسم حسين*

كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، العراق

nuhajasim94@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/08/28 تاريخ النشر: 2024/10/30

****

ملخص الدراسة

يعد التدخل الخارجي لقوى الائتلاف الدولي التي ساهمت في غزو العراق (الإقليمية والدولية) أحد العوامل الرئيسة في خلق حالة عدم الاستقرار فيه بعد عام 2003، إذ خلقت حالة من الفوضى المتعمدة في مجمل الحياة السياسية ونظام الحكم الجديد، وعملت بعض من تلك القوى على تجريد الدولة من ممارسة سيادتها الفعلية، وباتت تتخذ القرار بدلا عنه في شؤونه الداخلية والخارجية، مما جعل التدخل الخارجي تهديداً مباشراً على أمنه واستقراره وعلى وجوده كدولة في محيطها الإقليمي والدولي، ليصبح موضوع الاستقرار من أهم أولويات السياسة العراقية ببعديها الداخلي والخارجي، وقد تركت تداعيات ذلك آثاراً كبيرة على العراق، لاسيّما وأن دولة العراق دولة ذات سيادة وتحظى بمكانة جيوسياسية إقليمية مهمة، وبالتالي كان لابد من اتخاذ التدابير والسياسات الضرورية لضمان الأمن والاستقرار وكل ما من شأنه أن يعزز أواصر التماسك والتضامن الاجتماعي والحفاظ على كيان الدولة الموحد.

الكلمات المفتاحية

* المؤلف المراسل

التداعيات السياسية للدول الإقليمية؛ التدخل الإيراني؛ التواجد التركي؛ المملكة العربية السعودية؛ الكويت؛ الولايات المتحدة الأمريكية.

Abstract

The external intervention of the international coalition forces that contributed to the invasion of Iraq (regional and international) is one of the main factors in creating a state of instability in it after 2003, as it created a state of deliberate chaos in the overall political life and the new regime, and some of those forces worked to Stripping the state of exercising its actual sovereignty, and now making decisions in its place in its internal and external affairs, making external interference a direct threat to its security, stability, and its existence as a state in its regional and international environment, The issue of stability has become one of the most important priorities of Iraqi politics, both internally and externally. The repercussions of this have left major impacts on Iraq, especially since the State of Iraq is a sovereign state and enjoys an important regional geopolitical position. Therefore, it was necessary to take the necessary measures and policies to ensure security and stability and all It would strengthen the bonds of social cohesion and solidarity and preserve the unified entity of the state.

Key words

Political Repercussions for Regional Countries; Iranian Interference; Turkish Presence; The Kingdom of Saudi Arabia; Kuwait; The United States of America.

1.مقدمة

يعد موضوع التدخل الخارجي ظاهرة رافقت تطور العلاقات الدولية على مر الزمن وإن كانت طبيعة هذا التدخل والأدوات المستخدمة فيه تغيرت مقارنة بأشكاله في الماضي التي أخذت شكل التدخل العسكري المباشر كالاستعمار أو الغزو ... وغير أو التدخل غير المباشر في نظامه السياسي والاقتصادي ويظهر هذا التغيير في تأثيره على النظام الجديد وطبيعة القوى المتنافسة في داخله إلى جانب تحقيق أهداف القوى المتدخلة الأخرى.

ولذلك فإن التطورات الحاصلة على المستوى الوطني والدولي والأحداث الإقليمية بعد التدخل عام 2003، قد تركت العراق ليصبح محط أهداف ومصالح بلدان المنطقة في جميع المجالات، الأمر الذي هدد مصالح الدولة الوطنية العليا، وأثر على حماية أمنها الوطني، ليكون التدخل العسكري الأمريكي في العراق عام 2003 من أكبر التدخلات الخارجية في المنطقة, وهذا التدخل الذي لم يؤد فقط إلى انهيار الدولة العراقية، فحسب إنما كانت له تداعيات خطيرة على استقرار الأنظمة السياسية المجاورة، وكان ذلك هو الدافع الأساسي وراء تطلعات الدول الإقليمية لتتدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في الشؤون الداخلية للعراق، مثل إيران التي كان لها أثر بالغ في الشأن السياسي العراقي وإدارة البلاد منذ سقوط النظام السابق وإلى الوقت الحالي ليصبح الاستقرار العراقي على المحك بين مطرقة واشنطن و سندان طهران، الأمر الذي أدى إلى تدهور الأمن و الاستقرار في العراق، وإشعال الفتنة الطائفية واعتماد نظام المحاصصة، خاصة بعد خروج القوات الأمريكية من العراق عام 2011 بهدف إعادة السيادة ،الأمر الذي أدى إلى هيمنة القوى الإرهابية وهيمنتها على قسم كبير من الأراضي العراقية، ثم إن الدول الإقليمية الأخرى (تركيا، السعودية، والكويت) رأت أنه لا بد من أن تكون لها هي الأخرى قدم سياسية واقتصادية في العراق فتدخلت عن طريق مبررات وذرائع متعددة ليصبح العراق بلد الصراعات الإقليمية وبات تحقيق الأمن والاستقرار صعبا للغاية، ولذلك فإنّ هذه الدراسة البحثية تبحث عن الخلفيات والآثار الناجمة عن التدخلات الإقليمية والخارجية ومدى تأثيرها على استقرار العراق.

- **هدف البحث**

يهدف هذا البحث إلى توضيح طبيعة تدخلات القوى الإقليمية والدولية وتسليط الضوء على مشروع هذه القوى الإقليمية تجاه استقرار العراق، ويهدف أيضًا إلى الاطلاع على وسائل التدخل من قبل الجهات الدولية تجاه العراق، وإبراز سبل العراق تجاه هذه التدخلات وتداعياتها.

- **إشكالية البحث**

إن إشكالية البحث الرئيسة تتمثل في الآتي:

ماهي طبيعة تداعيات تدخل القوى الإقليمية والدولية تجاه استقرار العراق، ومن هذا التساؤل الرئيسي تتفرع لدينا مجموعة من الأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها:

- ✓ ما هي تداعيات التدخل الخارجي للقوى الإقليمية (العربية وغير العربية) تجاه أن العراق واستقراره؟
- ✓ ماهي المبررات والدوافع وراء التدخل الأمريكي في العراق؟
- ✓ إلى أي مدى أثر عامل التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للعراق على استقرار نظامه السياسي بعد عام 2003؟

- ➢ **فرضية البحث**

يستند البحث إلى فرضية مفادها وجود تهديدات حقيقية ضد أمن واستقرار العراق نتيجة التدخلات الإقليمية والدولية، ونتيجة هذا التدخل الخارجي كانت هناك تداعيات ومشكلات عديدة عانى منها العراق الجديد بعد عام 2003.

- ➢ **منهجية البحث**

ومن أجل إثبات فرضية البحث اعتمادنا المنهج التحليلي بمعنى التجزئة والتجميع للموضوع للوصول إلى النتائج، والاعتماد على تفكيك العناصر الأساسية للموضوع محل البحث، الذي ساعدنا في تحليل الفترة الزمنية التي مر بها العراق بعد عام 2003، وتأثير التدخلات الخارجية الإقليمية والدولية على العراق واستقراره.

- ➢ **هيكلية البحث**

ستتضمن هيكلية هذا البحث مقدمة وخاتمة، وثلاثة محاور يتناول المحور الأول تأثيرات التدخل الدولي على استقرار العراق (الولايات المتحدة الأمريكية)، وسنتعرض في المحور الثاني إلى تداعيات التدخلات الإقليمية العربية (السعودية، الكويت)، أما في المحور الثالث سنوضح تداعيات التدخلات الإقليمية غير العربية (تركيا، إيران).

2. تأثيرات التدخل الخارجي على استقرار العراق

العراق وما يمر به اليوم من نزاعات وصراعات داخلية ونسيج اجتماعي مشتت وثروات مستنزفة واستقطاب عرقي وديني فضلاً عن كونه مرتعا للجماعات المتطرفة، ولا شكّ في أن التدخل الأمريكي به عام 2003، تحت طائلة ومظلة التفتيش عن الأسلحة النووية المبرر المتاح لتدخلها، الذي لم يكن شرعيا منذ

الوهلة الأولى، إلا أنها تسعى أساسا لنشر الديمقراطية ومحاربة الأنظمة السلطوية ونقل مفاهيم التحضر للشعب العراقي، هذا فضلا عن السبب الرئيسي الذي لم تفصح عنه الولايات المتحدة الأمريكية وهو هيمنتها على منابع النفط العراقي، وأن تتخلص من النظام السابق الذي أعلن عصيانه على القيود الأمريكية، والوصاية التي تريد أن تفرضها على دول المنطقة العربية، فكان الغزو الأمريكي بمثابة العثرة الأولى للعراق، ومنه أدخلت العراق إلى الوقت الحاضر في دوامة وحقبة مظلمة ظلت من خلالها طريق العودة لعراق الماضي الذي كان من أقوى الدول العربية بل أكثرها ثراءً وتأثيراً (عبد العظيم ، 2020، ص 177).

إذ إن الهيمنة الامريكية كانت مرتكز التدخل المسلح للمنطقة، وكان النظام السابق يمثل العقبة الأولى لتنفيذ ذلك المشروع، وبداية التحديات والنزاعات الداخلية التي تدفقت على الدولة العراقية، التي أرهقتها نيران الحرب واستنزفت مواردها، ومن تأثيرات هذه الحرب ونتائجها الظاهرة، كانت بداية ظهور الجماعات المتطرفة التي اتخذت من الدين حجة لتنفذ مخططاتها وتدخلها فيها.

لقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في تطبيق سياسة تفتيت وإضعاف واحتواء النظام السياسي في العراق، وأصبح الطريق معبداً أمامها لتنفيذ هدف مشروع القرن الأمريكي المتمثل في احتلال العراق باستعمال القوة العسكرية، وقد لقي هذا الاحتلال تشجيعاً وتعاوناً كبيرين من بعض القوى العراقية المعارضة سواء كان داخل العراق أو خارجه، بل إن بعض من هذه القوى جاء مع التدخل الأمريكي على متن دباباته (بن رغدة، 2019، ص208).

لذلك سعى البحث من خلال هذا المحور في تسليط الضوء على تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، بوصفه البداية لكل ما يشهده العراق اليوم من التحديات التي تفرض نفسها على الداخل، وللتعرف تفصيلاً على محاور التدخل الأمريكي، ثُمّ يأتي المحور الثاني ليتناول تداعيات الإرهاب العابر للحدود على استقرار العراق وتأثيراته المختلفة.

1.2. تداعيات تدخل الولايات المتحدة الأمريكية

في هذا المحور نسلط الضوء على تداعيات تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في العراق بعد عام 2003، أي منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق بمشاركة حلفائها، والتعرف على صور هذا التدخل المباشر والتدخل غير المباشر، لرصد أهم تبعاته على الداخل العراقي وتداعياته على العراق كدولة مستقلة؛ ولذا يستوجب الأمر التعرف على مسببات التدخل الأمريكي، وكذلك رصد ردود الافعال الدولية خلال الأزمة وما

إذا كان لتلك التداعيات دوراً في الصراعات الداخلية للدولة العراقية، وهذا ما سيتم التطرق له على النحو الآتي:

1.1.2. التدخل الأمريكي المباشر (التدخل العسكري وغزو العراق عام 2003)

جاءت أول صور التدخل الدولي في العراق؛ في الحقبة المستهدفة من البحث من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في صورته العسكرية، وبررت غزو العراق من خلال الزعم بأن العراق كان يمتلك أو كان يطور أسلحة الدمار الشامل، والرغبة في التخلص من دكتاتور ظالم في السلطة، وجلب الديمقراطية إلى العراق، ومن الواضح وفقا للمتابعين للحرب أنها لم تكن حربا للتفتيش عن الأسلحة الكيماوية، أو من أجل محاربة الجماعات الإرهابية المتسللة من المنطقة بل كانت حربا لاحتلال العراق وثرواته في ظل تميز العراق بموقع وتأثير استراتيجي فضًلا عما يملكه من ثروات وتاريخ وتأثير في الشرق الأوسط والمنطقة.

فكان أول اهداف التدخل الأمريكي في العراق؛ هو تأمين حقول النفط ومصباتها في مواقع تواجدها وتمركزها بعد معارك دامية، بين القوات الأمريكية ومقاومة من القوات العراقية وبعد قتال دام طيلة 21 يوما سقطت من خلالها ثلاث محافظات عراقية هي البصرة والناصرية وميسان وتعرض العراق لعمليات النهب والسرقة التي لم ير مثيلا لها في التاريخ، والمستهدف منها هو تدمير ماضي وحاضر ومستقبل العراق، فالماضي بقتل التراث والقضاء على شواهده ودلائله، والحاضر بتفكيك وتدمير ثروات وموارد الدولة وتفكيك وحدتها، أما المستقبل فيتمثل بما سيتبقى من العراق كدولة بعدما وضع المستعمر لمساته على طوائفها، ونظمها، ومؤسساتها ومواردها (رحيمة، 2003، ص.ص 51- 58) .

إن كانت الولايات المتحدة الأمريكية؛ قد تدخلت عسكريا في العراق وبشكل مباشر، فإن الأعداد لتلك الحرب كان قد سبقها استخدام الوسائل غير المباشرة وبالأخص وسائل الأعلام، ولاسيّما بعد رفض الأمم المتحدة التصديق على قرار الحرب ضد العراق، ورفض فرنسا وروسيا الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ذلك، فما كان أمامها إلا أن تمهد الطريق إلى تزييف الحقائق والأدلة المتعلقة بالعراق، وأن تسلط عن طريق وسائل الأعلام العالمية إن تلك الحرب من أجل تحقيق الأمن والاستقرار والسلام للمجتمع الدولي ككل، وخاصة بعدما أصبح العراق في طليعة دول محور الشر، والضلع الأول في مثلثه كما أشارت وسعت لتطويع كافة وسائل التأثير والحرب النفسية لتحقيق ذلك.

2.1.2. التدخل الأمريكي غير المباشر

لقد ساهمت أمريكا في تغيير نظام الدولة العراقية، والسيطرة عليها ليس فقط في استخدام وسائل الحرب بل تدخلت بشكل غير مباشر في النسيج والتكوين الاجتماعي للشعب العراقي، وبالأخص المكونات الطائفية (المكون السني، والشيعي) والمكونات القومية المتباينة (العربي والكردي والأقليات الأخرى)، وهو ما سيتم تناوله من خلال تناول صور التدخل غير المباشر لواشنطن في فرض شروطها، واختيار نظم موالية لتواجدها وسيطرتها في كافة أنحاء الدولة، وهذا ما تم التطرق إليه كالآتي:

- ✓ أن تسعى لتفكيك الدولة العراقية ؛ ولن يتسنى لها ذلك ألا من خلال ضرب النسيج العراقي، وأن تستغل التنوع الديني والعرقي المتواجد في ثنايا العراق، وبالفعل قامت بإشعال لهيب الفتنة عن طريق التمييز بين المكون السني والشيعي والأكراد من خلال المقاعد النيابية، بتمييز المكون الشيعي وإعطائهم مقاعد تزيد عن النصف، ومنها بدأت تظهر الدعوات للحكم الذاتي والانفصال عن الدولة، وظهرت الأحزاب السياسية ذات النزعة الطائفية وبدأ نسيج العراق في التفكك وخاصة في ظل التنوع الذي تتمتع به، وكنتيجة حتمية لمعاهدة أو اتفاقية سايكس بيكو التي خلفت دولاً بنسيج اجتماعي متذبذب وغير متجانس، فضلًا عن تشتت أقلية في حدود أكثر من دولة وهو ما قامت فعليا باستغلاله في العراق، كما قامت بحل الجيش العراقي وذلك لقتل أي مقاومة أو تمرد من الممكن أن يسبب المتاعب لدولتها، وعلى صعيد آخر يسبب حالة من الفوضى داخل العراق ويخلق حالة من الانفلات الأمني وترتب عليه انضمام بعض من أفراد الجيش المنحل إلى جماعات مسلحة على أنه نوع من الانحراف عن المعتاد لتشكيل مقاومة ضد الجيش الأمريكي ومن رحم المعاناة وويلات الحروب تسارعت وتيرة تلك الجماعات , وتحولت من جماعات مقاومة إلى تنظيمات عنيفة كنوع من الانتقام من جراء التمييز الذي افتعله وأشعله المحتل(رحيمة، 2003، ص.ص 69-70).
- ✓ على الصعيد الاقتصادي جاء التدخل الأمريكي غير المباشر؛ بالتأثير السلبي على الاقتصاد العراقي بالتحكم بمنابع النفط ومصادره , فضلًا عن تأمينه له وأحكام قبضته، بل واستغلاله لصالح الاقتصاد، ولم ينته الأمر عند هذا المنطلق بل تخطته وقامت بإغلاق المصانع والمعامل وإيقاف معظم المنشآت الصناعية، وكذلك تأخّر، رفع العقوبات الاقتصادية التي أنهكت الاقتصاد العراقي والشعب العراقي وفضلاً عن تدمير المؤسسات التعليمية هذا كان من ضمن الأهداف التي تسعى عن طريقها أن تظهر العراق بصورة الشعب الضعيف والمشتت والمدمر غير القادر على تولي شؤون بلاده، ويحتاج إلى من يمارس النفوذ ويتحكم في اقتصاده، بل وحياته من أجل أن تقدم أنموذجا

حضارياً عن عراق المستقبل للعالم وذلك حسبما أعلنت من خلال مبرراتها وادعاءاتها بعد الغزو، كما قامت بإصدار مجموعة من القرارات لإجراء الإصلاحات الاقتصادية وتطويع الاقتصاد العراقي للانفتاح على العالم، واستراتيجية معتمدة لتطوير القطاع الخاص والمؤسسات الاقتصادية العراقية، وهو ما لم يحدث في تاريخه إلى تلك الحقبة الحالية من الزمن و كانت بمثابة حجة لكل المشككين في التواجد الأمريكي في العراق (حسان، 2007، ص .ص 208-210) .

ويتضح مما سبق؛ أن واشنطن بافتعالها الأزمة مع العراق قد تدخلت عسكرياً وبشكل مباشر لتضمن سيطرتها على الدولة العراقية واحتلالها، ثم تبدأ في تنفيذ استراتيجية معدة سلفاً واستخدام كافة الوسائل لتحقيقها، وهذا ما تم إلى أن أعلنت خروجها من العراق في عام 2011، وصاحبت تلك الفترة من بداية التدخل الأمريكي في العراق عام 2003، ردود أفعال دولية اقتصرت على إدانة الحرب على العراق واعتبرته تدخلاً لا يحمل الشرعية الدولية، لذلك واجه معارضة من قبل مجلس الأمن، باستخدام فرنسا وروسيا، حق الفيتو لمنع واشنطن من المضي قدما تجاه تلك الحرب، وهو الأمر الذي قوبل بالرفض من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، واعتبرت أنه من حقها الشرعي للدفاع عن النفس، وبالأخص أنها تعتبر العراق من الدول الخارجة عن القانون.

لقد أدى الغزو الأمريكي إلى مأساة في العراق إذ شهد اضطرابات داخلية غير مسبوقة، فقد تفاقم حجم الصراع في العراق، بسبب الانقسامات العرقية والطائفية الجديدة والتحولات الديموغرافية الرئيسية التي غيرت وضع الدولة العراقية ولم تتحدى هذه الصراعات النظام السياسي القائم فحسب، غير أنها قد تجاوزت حدود الدولة وسلامة أراضيها بعد ظهور القاعدة وداعش وهو تنظيم فاعل هدد سلامة الدولة، وأدى إلى تدخلات دولية وإقليمية في الشأن العراقي، وسبب في إعادة التواجد الأمريكي ضمن تحالف دولي لمحاربته.

وقد شهد العراق صوراً من التدخل الخارجي المباشر أو غير المباشر على نحو غير مألوف كانت نتيجته تحقيق الولايات المتحدة الأمريكية هدفها في احتلاله وبعد ذلك الانسحاب منه، وترك العديد من التداعيات والتحديات التي تواجه العراق، سواء في قضية الأكراد ورغبتهم في الانفصال، أو ظهور الجماعات المتطرفة (التنظيمات الإرهابية)، التي وجدت فرصة للانتشار والهيمنة في مناطق واسعة من العراق، مع ازدياد حدة الصراع الديني الطائفي بين المكون السني والشيعي، في ظل تشكيلات سياسية عراقية ضعيفة كانت موالية في تلك الحقبة للإدارة الأمريكية.

هذا فضلاً عن اقتصاد عراقي هش نتيجة ما فرض عليه من ضغوط وانخفاض في أسعار النفط، والأدهى من ذلك ظهور تنظيم داعش الإرهابي بعد فترة من خروج القوات الأمريكية، وسيطرته على جزء كبير من البلاد، وهذا ما لم يكن ضمن الاستراتيجية الأمريكية بعد خروجها من دولة كانت محتلة ومستنزفة الموارد، ولكن الولايات المتحدة ستعود تحت نفس الادعاء والمبررات التي من أجلها دخلت العراق، ولكن هذه المرة على مرأى من العالم وبتفويض من الأمم المتحدة بل وبتشكيل تحالف دولي واسع، بالتعاون مع قوات الجيش العراقي الذي أعيد تشكيله بعد خروج القوات الأمريكية وكأنها صنعت تنظيم داعش الإرهابي ليضمن أن تمارس نفوذها على العراق فالهدف واحد، ولكن تطورت الصيغة والتخطيط الذي تواجدت به، وبصورة محاربة تنظيم "داعش" الإرهابي.

2.2. تداعيات الإرهاب العابر للحدود على الاستقرار العراق

لقد كان هذا الإرهاب العابر للحدود عاملا أساسيا لعدم الاستقرار والأمن في العراق، وعائقا أمام استقراره، حيث تمكن أبي مصعب الزرقاوي الذي كان يقود جماعة التوحيد / فرع القاعدة في بلاد الرافدين عام (2004-2006) من توجيه ضربات مؤذية لقوات التحالف الدولي، ناهيك عن تأجيج الانقسام الطائفي والصراع المذهبي بين السنة والشيعة في العراق، وبعد مقتله من قبل الولايات المتحدة الأمريكية تبعه تنظيم الدولة الإسلامية في العراق بقيادة أبي عمر البغدادي عام 2006، وجاء عام 2010 ليشهد على قتل أبي عمر البغدادي من قبل القوات الأمريكية أي قبل خروجها بعام من العراق وهو ما جاء بأبي بكر البغدادي ليتولى خلافة التنظيم وكان ذلك في عام 2013 وأعقبه قيام الأخير بضم جبهة النصرة في سوريا للتنظيم ليبقى في العراق والشام، لكن لم يدم الحال على ما هو عليه وسرعان ما دب الخلاف بين التنظيمين، وكان ذلك على صعيد نشأة تنظيم داعش أما عن البداية الحقيقية للتنظيم بالأخص في العراق كان في عام 2014 (الهاشمي، 2016، ص 11).

وتمت سيطرة تنظيم داعش على مدينة الموصل في العراق وإعلان أبي بكر البغدادي الخلافة بعد سيطرته على بعض من المناطق العراقية، التي تمتاز بتواجد الطائفة السنية مثل (محافظة الموصل وصلاح الدين) باعتبارها المكان المناسب لسيطرة تنظيم داعش، والإيحاء بالدفاع عن الطائفة المضطهدة في العراق حيث سيطر التنظيم الإرهابي على المناطق المستهدفة بمئات الجنود والعربات في حزيران من سنة 2014، واستطاع التنظيم بسهولة السيطرة على المدن والسبب في هذا الأمر وفق تحليل العديد من الخبراء والباحثين، أن الموصل يسيطر عليها العديد من التنظيمات والجماعات المسلحة الموالية لداعش ومنها جيش

المجاهدين السلفي وتنظيم أنصار السنة الجهادي، لذلك كانت سيطرة تنظيم داعش الإرهابي على مدينة الموصل أمام أنظار القوى الدولية والإقليمية وأنظار العالم أجمع.

ولذلك جاء (التحالف الدولي) ليشكل صورة من صور التدخل المباشر وغير المباشر في العراق وخاصة بعد أن تم تشكيله في عام 2014 لمحاربة ظهور تنظيم داعش الإرهابي في العراق والشام الذي جاء كصنيعة الاحتلال الأمريكي ونتيجة للتمييز الطائفي في غمار الفوضى السياسية التي خلفها الاستعمار وأنظمة سياسية متهالكة ولا تمتلك خبرة كافية للتغلب عن تلك القضايا والتحديات، فجاءت الدول المساهمة في التحالف وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية المساهم الرئيسي ثم جاءت كندا، فرنسا، إيطاليا، بريطانيا، أستراليا وألمانيا بالدعم العسكري وهو ما يمثل تلك التي ستقدم على مواجهة التنظيم مباشرة، بينما على غرار تلك التي ستقدم المساعدات الإنسانية وفضلاً عن المعونات العسكرية لشراء الأسلحة وصفقات السلاح (عبد العظيم، 2020، ص189).

وتمثلت أهم الأهداف المعلنة؛ التي تشكل من أجلها التحالف الدولي في القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في العراق وضرب معاقله وتحرير المناطق التي أعلن سيطرتها عليه وكان من ضمنها الموصل وكركوك وصلاح الدين، وفضلاً عن تهيئة الاوضاع الداخلية في العراق لإعادة الاستقرار المفقود منذ تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، هذا بالإضافة إلى تهدئة الاستقطاب الديني الذي يمر به العراق، لكن لا يمكن أن يمر الأمر بدون التكهن بالأسباب الخفية للتحالف الدولي وخاصة في ظل تواجد واشنطن على رأس التحالف فتمثلت المصالح والأهداف الأمريكية من تأسيس ذلك التحالف بأن تخلص العراق من تنظيم داعش لأنه يهدد مصالحها وتطلعاتها في المنطقة، هذا بالإضافة إلى أن تبقى على نظام حكم موالي لها حتى لا ترفع يدها عن العراق بالرغم من خروجها منه، التأثير بحال أو بآخر على سوريا والتمهيد لتقسيم طائفي لا يقل عما حدث في العراق، ومنه تضمن تواجدها في العراق تحت ذريعة مكافحة الإرهاب وبتجمع دولي لم يسبق له يدعمه غطاء شرعي دولي من قبل الأمم المتحدة ومجلس الأمم المتحدة (عبد العظيم،2020، ص190) .

وعلى صعيد النجاحات التي حققها التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أعلنت قوات التحالف نجاحها في شن ما لا يقل عن 23 ألف غارة، على معاقل التنظيم في العراق، كذلك نجحت القوات العراقية بمساعدة قوى التحالف باستعادة الموصل فضًلا عن نجاح قوات التحالف في أن تحصر التنظيم على صفحات التواصل الاجتماعي التي كانت تعتبر الموقع الرئيسي للتنظيم، لبث عملياته بالإضافة

لفيديوهات تبرر حججه ومن خلالها يستقطب أكبر عدد ممكن من الشباب ومن مختلف الفئات العمرية، أما أبرز الانتقادات التي وجهت لقوى التحالف خلال تلك الحرب فكانت على صعيد كم الانتهاكات التي ارتكبت في حق المدنيين، والمبالغة في تقدير حجم التدمير الذي أصاب المدن التي سيطر عليها التنظيم الإرهابي، فضلاً عن تضارب القول حول إعمار العراق وخطط التنمية، وعدم تواجد استراتيجية واضحة من شأنها أن توضح خطوات بل ومراحل الإعمار، فضلاً عن نزوح الآلاف من العراقيين من مناطق القصف النزاع إلى المناطق الآمنة، أو باللجوء إلى دول الجوار، من جراء عمليات القصف والغارات على المدن التي يتخفى فيها التنظيم ويستهدف بتلك الغارات المدنيين، وهو ما يعد انتهاكا لحقوق الانسان غير المبررة بأي شكل من الأشكال.

لذلك بعد سنوات على تشكيل التحالف في العراق، انحسر تنظيم داعش من المناطق التي كان يأسرها، والفضل كل الفضل يعود بالأساس للقوات العراقية لزحفها فيما وراء التنظيم ومحاصرته في مناطق نفوذه إلى أن استطاعت بدورها أن تحجم من تواجده في العراق (عبد العظيم، ص209).

إن أبرز التحديات التي تواجه العراق، بعد هزيمة تنظيم داعش الإرهابي، كانت كالتالي:

- ✓ قضية إعمار العراق: تعد من أهم التحديات التي تواجه العراق في الحقبة الحالية، وخاصة في ظل التدمير الذي أصاب المدن التي سيطر عليها التنظيم الإرهابي داعش، سواء كانت الموصل أو كركوك أو غيرها من المدن، التي دمرتها الغارات سواء كانت من قوات التحالف أو القصف من قبل داعش، فضًلا عن القوات العراقية، كما على الحكومة العراقية أن تنتهج خطة أو استراتيجية محكمة، تتضمن مراحل إعمار العراق والفترة الزمنية التي بها ستنتهي من عمليات الاعمار، فضلا عن إتاحة الفرصة لتدفق الاستثمارات الخارجية، وخاصة في قطاع الانشاء والبنى التحتية؛ حيث إن الاعمار لا يقتصر على المنشآت بل يتضمن أعمار كافة القطاعات المرتبطة في القطاع الاقتصادي، وإعادة بناء الاقتصاد العراقي من خلال الاستثمار في قطاع الطاقة (النفط)، والتحدي هنا يكمن في عملية الاعمار أو الاستثمارات حيث يجب إن تتم من خلال إقناع المستثمرين بأن العراق خالي من داعش ويمكن الاستثمار فيه، وقد بين البنك الدولي أن عملية إعادة اعمار العراق يجب إن تتم في كافة القطاعات وبالتحديد البني التحتية التي تتضمن النفط والغاز والاستثمار في تلك المنشآت، كذلك قطاع الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فضلاً عن الاعمار في القطاعات الانتاجية الأخرى.

- ✓ التحدي السياسي: أن التحدي السياسي الرئيسي أمام القيادة العراقية؛ أن توفق أوضاع البلاد في ظل تحديات عديده تمثل أحدها كيفية استيعاب الأكراد، أضافة إلى مراعاة شريحة طائفة السنة المضطهدة في فترة الغزو وما بعدها، ومراعاة الأقليات الأخرى التي تسعى للمشاركة في المشهد السياسي، وهي تطالب بالحصول على حقوقها كاملة، فالتحدي السياسي هنا يكمن بإرضاء تلك الأطراف من خلال حكومة توافقية تضم تلك الأطراف أو الطوائف وتمثلهم في الحياة السياسية بإنصاف وعدالة، أضافة إلى تمكينهم وإشراكهم في إدارة الدولة من أجل صهرهم في نسيج اجتماعي واحد، والتحدي الآخر كيفية تنسيق العمل بين مؤسسات الدولة وإعادة تفعيل تلك المؤسسات وتكييف وضعها بما يناسب الوضع الذي يمر به العراق , باعتباره في فترة نقاهة وتعافي بعد مضي سنوات من التدخلات الخارجية والحروب، إضافة إلى تحدي تعديل القوانين وتنفيذها بما يحقق الردع لأي حالة من شأنها أن تعرض حياة المواطنين للخطر، وتؤثر على أمن وسلامة واستقرار العراق، فضًلا عن تفعيل القوانين الخاصة بمكافحة الاعمال الإرهابية، إضافة إلى تعديل قوانين الاستثمار والاقتصاد بما يحقق للعراق حقوقه واستقراره، وتعتبر هذه التحديات ومعالجاتها من وسائل الحد من التدخلات الدولية والإقليمية وتسهم في استقرار العراق وإعماره؛
- ✓ التحدي الأمني: يعد هذا التحدي؛ الذي يتطلب من القوات العراقية الحفاظ على الاستقرار والأمن، في المناطق التي تم تحريرها ويحول دون وقوع عمليات عنف أو إرهاب جديد، ويحد من وجود أي تواجد لتنظيم داعش الإرهابي ويكرس الوسائل التي تمنع كل ما من شأنه أن يعود إلى العراق والمنطقة العربية، وبالذات المناطق التي انتشر فيها من قبل؛
- ✓ ويتطلع من القوات الأمنية تحدي آخر، هو تنظيف وتحرير كل المناطق التي تواجد فيها التنظيم وكانت له هيمنة فيها، ومواجهة أفكاره المتخلفة التي فرضها على المنطقة، وقيام القوات العراقية بانتهاج سبل ووسائل قوية لإنهاء أي تأثير سلبي على تلك المناطق وسكانها، ونشر السلام والاستقرار والأعمار، وذلك سوف يمنع من تواجد بقايا داعش، التي قد يأمل التنظيم فيها جمع شمل تنظيمه والعودة إليها، وبالتالي يفرض هذا التحدي، على تلك القوات إشاعة الثقة والأمان والعدالة ما يجعلها مستقرة وموحدة، وتساند الدولة وتعمل على تهدئة الأوضاع وترسيخ الأمن والاستقرار بين طوائفها.

ومن كل ما تقدم نستنتج مما تقدم بصدد صور التدخل الدولي في العراق، والذي تراوح ما بين التدخل المباشر أي استخدام القوة العسكرية، وغير المباشر، التأثير في المجال الاقتصادي والتجاري، والذي حدد العلاقات والمصالح التي تجمع العراق مع هذه القوى الخارجية في ظل ضعف الدولة وهشاشة نظام الحكم الجديد، الذي جعل من تلك التداعيات تحديات فرضتها تلك القوى، وسببت عدم الاستقرار، وضياع الأمن في البلاد.

3. تداعيات التدخلات الإقليمية العربية

يتناول هذا الجزء من البحث والتحليل بعض التدخلات الإقليمية (العربية) في العراق ويسلط الضوء على دور هذه القوى الإقليمية، ومنها بالتحديد التأثير السعودي في المشهد السياسي العراقي بعد عام 2003، أما المحور الثاني فسيتناول التأثير الكويتي على استقرار العراق والخلافات والمسائل العالقة معه.

1.3. التأثير السعودي على العراق واستقراره

بعد التدخل الأمريكي في العراق عام 2003، قامت الدول الإقليمية والقوى الكبرى بإعادة النظر في نوع العلاقات المستقبلية مع النظام العراقي الجديد، من بينها المملكة العربية السعودية التي كانت تنظر إلى التدخلات الإيرانية، وسيطرتها على المشهد السياسي في العراق، والعملية السياسية بمجملها من موقع الشك وتعاملت بشكل سلبي تجاه العراق، اعتقادا منهم أنها أصبحت جزءاً من المشروع السياسي الإيراني الذي يستند إلى فكرة التمدد الشيعي (الخزرجي، 2019 ، ص2).

من جانب آخر، كانت ما تزال الصورة السيئة تجاه العراق نتيجة غزوه للكويت عام 1990 , محفورة في أذهان السياسيين وذوي الشأن في الدول الخليجية بشكل عام , والمملكة العربية السعودية بشكل خاص، عليه ظلت السعودية تنتهج موقفاً متردداً تجاه العراق، ولم تستوعب اللحظة التاريخية التي تحول فيها العراق من نظام جمهوري دكتاتوري إلى نظام برلماني قائم على تبني النهج الديمقراطي والمشاركة السياسية، فضلاً عن اعتقادها أن وجود عراق قوي يمتلك قدرات عسكرية سيعني بالتأكيد تهديداً مستقبليا للمملكة العربية السعودية (الجبوري، 2006 ،ص. ص92-95).

وعلى صعيد أخر خيم هاجس الوجود الإيراني في العراق على أذهان الساسة في الرياض الذي أصبح عائقا أمام قيام أي علاقات جديدة مع النظام السياسي الجديد في العراق، وعليه استطاعت طهران أن تنمي من قدراتها في السيطرة على العملية السياسية في المنطقة، لتصبح قوة إقليمية ذات شأن كبير

ويحسب لها الكثير قبل اتخاذ أي قرار مصيري في كل من سوريا والعراق ولبنان (المعموري، 2015، ص.ص 108 –109) .

لم يقف الأمر عند هذه النقطة، بل قامت الرياض بالتعاون والمشاركة مع كل من قطر والأمارات وتركيا، بدعم المكون(السني) في العراق، لتشكيل تحالف القوى الوطنية والذي ضم القوى السياسية السنية في المشهد السياسي العراقي، فضلاً عن دعمها لتشكيل قائمة انتخابية بشكل مباشر في انتخابات مجلس النواب العراقي لعام 2018 (الخزرجي، 2019، ص11).

ولقد أخذت العلاقات السعودية العراقية؛ في السنوات الأخيرة مسارات جديدة، حيث تم تبادل الزيارات الرسمية بين البلدين لتعزيز العلاقات وتدعيمها، مع بحث فرص العمل، وتوحيد المواقف تجاه القضايا المصيرية المشتركة، كما أدركت لاحقا المملكة العربية السعودية الخطأ في توجهاتها تجاه العراق، وعرقلة استقراره وضرورة التعامل السليم مع الواقع الجديد للنظام السياسي العراقي، وبدأت تطبيع علاقاتها مع العراق، بعد التواصل والزيارات المتعددة بين البلدين الذي نتج عنه في السنوات الأخيرة تطوير التعاون والتنسيق المشترك، وقد وصلت الجارتان إلى مستوى من التقارب الدبلوماسي والاقتصادي عالي المستوى، والذي أسهم بتعزيز الاستقرار الإقليمي، إضافة إلى ضمان استمرارية مشاريع التنمية التي ستعود بالخير والاستقرار على البلدين.

ويذكر أن مشاريع العراق المتعلقة بالطاقة مع المملكة العربية السعودية، ودول مجلس التعاون الخليجي الأخرى تطورت أيضًا ويظهر أن نجاح المشاريع والتقارب بين العراق والمملكة العربية السعودية وقبول طهران بذلك سيسهم في استقرار العراق والمنطقة ويحد من التداعيات والتدخلات السلبية في أوضاع العراق المتوترة.

ولقد كان من الطبيعي أن تكون هنالك دوافع ساهمت في تغيير السياسة السعودية تجاه العراق وهي:

- ✓ العلاقات المتوترة بين المملكة العربية السعودية ودول المنطقة كانت سبباً رئيساً وراء تطلعات الرياض وتوجهها نحو الاقتراب من العراق، خاصة في ظل الحرب التي تقوم بها ضد الحوثيين في اليمن، والقطيعة التي قامت بها ضد قطر، وقد علت الأصوات في عمان والبحرين والكويت التي تنتقد السياسة السعودية علنا، وفي سوريا التي آلت الأمور فيها لصالح نظام بشار الأسد، وقد كانت السعودية ترغب أن يخلع عن السلطة فيها، وفي لبنان أصبح العداء واضحا بينها

وبين حزب الله اللبناني، ومع تركيا هناك حالة من التقاطع في وجهات النظر تجاه ملفات المنطقة، فضلاً عن المنافسة السعودية الإيرانية التركية القطرية، في الدول التي تهاوت قياداتها السياسية وفي مقدمتها السودان، كل ذلك يدفع السعودية إلى وضع قدم راسخة في العراق قبل أن ينجذب إلى أحد المحاور الأخرى؛

- ✓ الأرباح الاقتصادية والاستثمارية التي من الممكن أن تجنيها المملكة العربية السعودية من رفع مستوى العلاقات الاقتصادية مع العراق؛
- ✓ التأثير الأمريكي على التوجه السعودي هذا لدعم التحركات العسكرية الأمريكية التي من الممكن أن تكون مقدمة لضربة عسكرية على إيران والتي بدأت فعليا باغتيالها لقائد فيلق القدس قاسم سليماني وأبي مهدي المهندس مطلع العام 2020؛
- ✓ ظهور تنظيم "داعش" الإرهابي وسيطرته، على نصف مساحة العراق في عام 2014، وقد أظهر هذا الأمر للدول الإقليمية أن ترك العراق والتعامل معه بأسلوب التفرج والابتعاد من الممكن أن يعصف بالمنطقة وأنظمتها ويجرها إلى مسارات مظلمة؛
- ✓ شعور السعودية أن الفرصة أصبحت سانحة لخلق حالة من توازن مع النفوذ الإيراني في العراق خاصة بعد زيارة الرئيس الأمريكي السابق ترامب إلى الرياض، لذلك رأت السعودية أن من الأفضل احتواء العراق وضمان عدم توجهه إلى معاداة السعودية وزيادة أزمات المنطقة.

2.3. التأثير الكويتي على استقرار العراق والخلافات والمسائل العالقة معه

إن آثار حرب الخليج الثانية، استمرت لغاية تدخل أو احتلال أمريكا للعراق عام 2003، فالتوتر الذي ساد العلاقة، استمر وقف قراءة سلوكيات النظامين السياسيين تحديداً العراقي، والخوف من طموحاته التي قد تنهض بين مرحلة وأخرى. فكانت ذات المخاوف تراود السياسة الكويتية من ذات التوجهات بالنسبة للنظام العراقي، فكان شغل الكويت الشاغل هو العمل على تعزيز مكانتها وأمنها، بالنسبة للتهديدات العراقية وفيما بعد بالمحصلة أرادت أن تتحصن بجملة من التوجهات التي رأت أنها أساسية ومن الممكن أن تقيد العراق، وتحجم دوره واستقراره إلى جانب وضع الخطوات التي تجعل من صانع القرار السياسي العراقي يتوقف عن التفكير بتلك المكاسب التاريخية، والطموحات التي تهدد أمن الكويت ووجودها، بالمقابل كانت على يقين أن دعم النظام السياسي الجديد في العراق هو الفرصة التي من الممكن أن تكسب نقاط التقدم

في أن تجعل منه حليفاً وصديقاً تدفع بذلك كل ما يمكن أن يضع العقبات في طريق الحفاظ على المسافات في العلاقة ولا تجعل منها هدف له (الجاسور، 2022، ص30).

ولكن كما أن تداعيات الأوضاع الأمنية وعدم الاستقرار في العراق , التي أعقبت الاحتلال الأمريكي ستكون مفيدة للجانب الكويتي ,إلا أنها قد تسبب له مزيدا من الأزمات في العلاقات بين البلدين، مما قد ينتج عنه ما لا يحمد عقباه ويولد مشكلات جديدة، إضافة إلى المشكلات والقضايا العالقة بين البلدين، لذلك فإن الفراغ الأمني والصراع الطائفي والفوضى السياسية التي خلفها سقوط النظام والتغيير في العراق الذي جعل من العراق ساحة لتصفية الحسابات مع الخصوم الإقليميين، والجماعات المسلحة العابرة الحدود، أشرت دلالات صعبة بالنسبة للساسة في الكويت، الذين وجدوا أن الوضع العراقي له تداعياته على المنطقة بشكل عام والكويت بشكل خاص، بعد أن أصبح منطقة أزمات وصراعات، ومصدرا لعدم الاستقرار، وبالتالي فإن العراق سيصبح تهديداً من خلال وضعه الأمني والسياسي والاقتصادي، لأمن الكويت ومنطقة الخليج .

لكن رغم ذلك فقد تقدم العراق؛ خطوات في طريق إعادة العلاقة مع الكويت، من خلال الزيارات الرسمية وتسمية السفراء بين البلدين وتنسيق العلاقات وتطويرها، لذلك فأن كلا الطرفين تقدم خطوة، من أجل أعادة ترميم العلاقة وفق مقتضيات الجوار الجغرافي، والمصلحة المشتركة رغم أن السياسة في الكويت استمرت بالضغط والتأثير على العراق، من خلال الملفات العالقة، ومنها ترسيم الحدود وميناء الفاو الكبير.

3. 2. 1. ترسيم الحدود و ميناء الفاو

3. 2. 1. ترسيم الحدود

لم تقنع الكويت بترسيم الحدود بينها وبين العراق عام 1993 وفق قرار الأمم المتحدة (833)، بعد أن تم استقطاع من أرض العراق من ناحية صفوان وأم قصر، وعادت مطالباتها بعد التدخل الأمريكي في العراق عام 2003، مستغلة الفراغ السياسي والأمني في العراق، والانشغال بالأوضاع السيئة التي اجتاحت العراق، وفي العام 2005 قامت الكويت ببناء سياج حديدي على امتداد الحدود الشمالية لها، بحجة تأمين حدودها من الاضطرابات الحاصلة في العراق، لكن هذا السياج دخل الأراضي العراقية بمئات الأمتار، وفي ذات الوقت لم تبق الكويت مكتوفة الأيدي، فقد استمرت وبطرق مختلفة تلعب دوراً في عملية تغيير

الخارطة الحدودية، التي تم الاتفاق عليها مسبقا، ولقد اعترضت شخصيات سياسية عراقية وبرلمانية على الإجراءات المتبعة من قبل الكويت، وإلغاء اتفاقية خور عبد الله التي بالضرورة سوف تضر بالمصالح العراقية، واتفاقية تنظيم الملاحة البحرية في قناة خور عبد الله، وهي اتفاقية حدودية بين العراق والكويت، وصادقت عليها الحكومية العراقية في عام 2013 نزولا لتنفيذ قرار833، الذي صدر من قبل مجلس الأمن في عام 1993، بعد الغزو العراقي للكويت في عام 1990 (الجاسور، 2022، ص33).

ولقد وزعت اتفاقية خور عبد الله بين الدولتين، وهو الذي يقع في أقصى شمال الخليج العربي , بين شبه جزيرة الفاو العراقية (وجزيرتي) بوبيان ووربة الكويتية , وقد أثار الموضوع جدلا كبيراً في العراق لكون هذا التقسيم اقتطع أجزاء من أراضي ومياه العراق لصالح الكويت، ولقد اعتبر البعض أن هذا الأجراء ناجم عن ضعف الحكومة العراقية، فضلاً عن مصالح خاصة أثرت على عملية التفاوض مع الكويت، إلى جانب مشكلة الحدود البرية والإشكالات والمحددات الحدودية الأخرى، اعتبر العراقيون أن هناك قضية تجري في الخفاء، ضمن عمليات الضغط والابتزاز، التي من خلالها يتعرض العراق للحصار البحري، والتي تمثلت ببناء ميناء مبارك على جزيرة بوبيان القريبة من العراق، وهذه واحدة من أكبر التداعيات الكويتية على استقرار العراق.

ولقد عّد العراق في عام 2005؛ أن الكويت تتجاوز على حدوده، حيث شرعت في إقامة الجدار الحديدي على الحدود مع العراق، بذريعة حماية أمن الكويت من الأحداث الجارية في العراق، والتي قد تؤثر وتنتقل إلى الداخل الكويتي وظهرت أثار ردود أفعال رسمية وشعبية عراقية، على هذا التصرف الحدودي.

من جانب آخر تعاني الحدود البحرية العراقية مع الكويت، من مشكلات كثيرة يمكن حصرها بحسب الآتي (حافظ، 2012، ص.ص 180-183)

- ✓ مشاكل تداخل الحدود البحرية والمياه الإقليمية للعراق مع الكويت؛
- ✓ التربة البحرية المنجرفة التي تهدد بإغلاق القنوات الملاحية في البحر، خاصة في قناة خور عبدالله نحو دولة الكويت؛
- ✓ عدم التوصل إلى صيغة اتفاق بين العراق والكويت؛ حول آليات الحدود البحرية بينهما، والاتفاق على مناطق النفط المشتركة الحالية؛

- ✓ المشاكل المتعلقة بالتداخل في الأعمال البحرية والتجارية والعسكرية والنفطية، داخل حدود المياه الإقليمية الضيقة للعراق، خاصة بين العراق والكويت، بعد أن أعلنت الكويت عن رغبتها في إنشاء ميناء مبارك، مما تؤكد جميع التقارير أنه سيؤثر على واقع النشاطات البحرية، والأوضاع الاقتصادية في العراق.

3. 2. 2. ميناء الفاو

تعتبر قضية بناء ميناء الفاو بالنسبة للعراق؛ هي قضية مصيرية ومهمة على اعتبار إن العراق يعاني من الاختناق البحري، بسبب المنفذ المائي الضيق المطل على منطقة الخليج العربي بالتالي فإن الفائدة من بناء ميناء الفاو سيعزز مكانة العراق الاقتصادية، و يعمل على التالي: (الجاسور، 2022، ص34)

- ✓ المساهمة في تنمية الاقتصاد العراقي؛
- ✓ المساهمة في زيادة حركة التجارة؛
- ✓ يربط الميناء؛ الشرق بأوروبا من خلال المرور بتركيا وسوريا عبر ربط السكك الحديدية بينها؛
- ✓ يعمل على تحقيق أرباح مالية تقدر بأضعاف الموانئ الأربعة الأخرى في البصرة (أم قصر، خور الزبير، المعقل، أبو فلوس).

لقد تم وضع الحجر الأساس في محافظة البصرة لميناء الفاو من قبل وزارة النقل العراقية في سنة 2010 ويتضمن المشروع وفق مخططات وتصاميم المشروع إنشاء رصيف للحاويات طوله (39000) متر، وإنشاء رصيف أخر بطول (2000) متر، إضافة إلى إنشاء ساحة للخزن والتفريغ تبلغ مساحتها حوالي مليون وربع متر، وإقامة ساحة متعددة الأغراض مساحتها حوالي (600 الف) متر مربع، وقدرت الطاقة الاستيعابية للمشروع بحوالي (99) مليون طن سنويا، إن إنشاء هذا الميناء وربطه بالسكك الحديدية، وقيامه بربط موانئ الخليج العربي بالموانئ العراقية، ومن ثمّ يربط دول أوروبا تباعا مروراً من تركيا، والذي تمت تسميته بمشروع القناة الجافة، سيجعل الموانئ العراقية في مقدمة موانئ المنطقة، وبعد مرور عام من وضع الحجر الأساس لميناء الفاو العراقي قامت الكويت في سنة 2011، ببناء ميناء مبارك الكويتي الذي يقام على جزيرة بوبيان القريبة من الحدود العراقية، والجزيرة تمثل موقع جغرافي مهم بإطلالتها على خط سير ومرور الناقلات النفطية والسفن التجارية، القادمة للموانئ العراقية، وبالرغم من أن السواحل الكويتية طويلة في الخليج العربي وتقدر بحوالي (500كم)، مقارنة بالسواحل العراقية التي تقدر بحوالي

(50كم)، وعلى الرغم من امتلاك الكويت خمسة موانئ إلا أنها تجد في بناء هذا الميناء ستحقق مصالح سياسية واقتصادية واستراتيجية هامة، وقد تسبب المشروع الكويتي في أزمة سياسية واقتصادية بين الدولتين، بعد أن تبين أن التوجهات الكويتية هذه؛ ستترك نتائج وتداعيات مؤثرة على استقرار ومصالح العراق، ويعتبر العراقيون أن هذه التصرفات تخالف القرار الأممي ذي الرقم (833)، الخاص بترسيم الحدود مع العراق الذي صدر سنة 1993، إضافة إلى أن مختصين عراقيين يرون أن أنشاء هذا الميناء، سيسبب ضرراً ويؤثر على مصالح العراق الاقتصادية والوطنية.

لذلك فقد طالب العراق الكويت؛ التوقف عن بناء الميناء لحين التحقق والتأكد من عدم اضراره بالعراق وسياسته الاقتصادية، ولقد استند العراقيون على جملة من الحجج في طلب إيقاف مشروع ميناء مبارك الكويتي وهي كالتالي: (بدري عيد، محمد ، 2011)

- ✓ سيتم تضيق المسطح المائي في قناة خور عبدالله الذي يعتبر مياها مشتركة، بين العراق والكويت، مما سيعمل على التقليل من أهمية الموانئ العراقية؛
- ✓ سيعمل على تقليص وتضييق المساحات المائية العراقية، مقابل اتساع المساحة المائية الكويتية؛
- ✓ يؤثر بشكل مباشر على قدرات العراق الاقتصادية؛
- ✓ وبالمقابل ردت الكويت على كل التصريحات والمخاوف والمطالب العراقية؛ بأن قرار إنشاء ميناء مبارك الكويتي هو أمر سيادي، يخص الكويت وليس من حق العراق التدخل به، وأن إنشائه لن يؤثر على الملاحة العراقية.

الشكل رقم 01: خريطة توضح ميناء الفاو الكبير

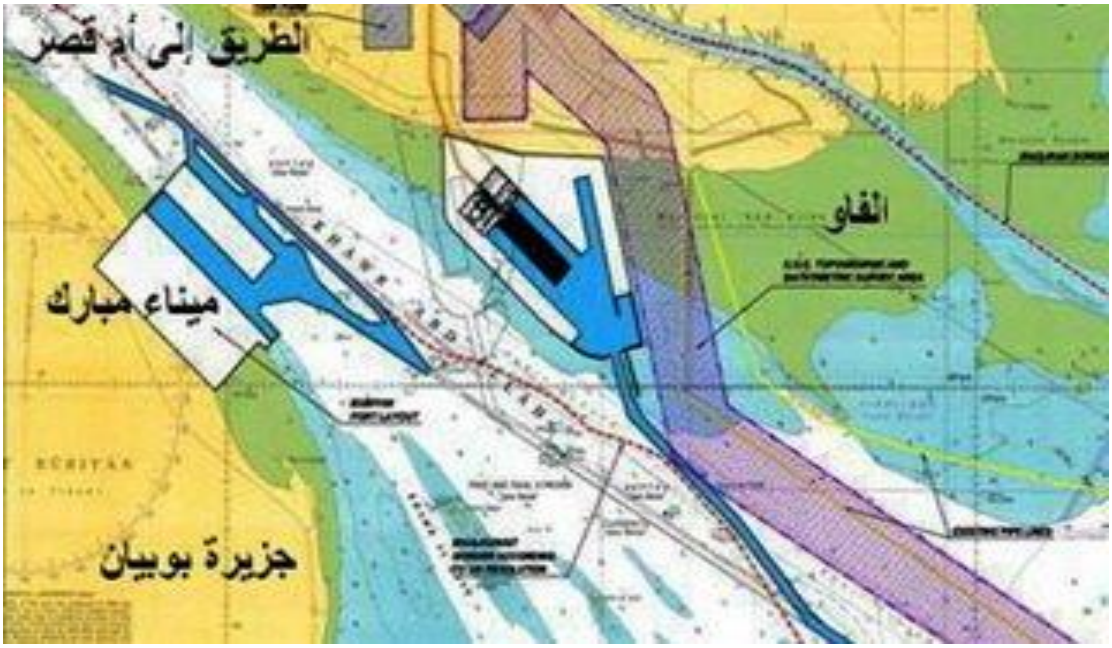

المصدر: (www.m.marefa.org)

4. تداعيات التدخلات الإقليمية غير العربية

في هذا المحور من بحثنا سنتطرق إلى التدخلات الإقليمية غير العربية في العراق، بتسليط الضوء على دور القوى الإقليمية في العراق، وبالتحديد تسليط الضوء على تركيا ودوافع تدخلها في العراق، وصور هذا التدخل سواء بشكل مباشر أو التدخل غير المباشر، وسنوضح دوافع بعض الدول الإقليمية ومصالحها، من الوضع الذي أصبح العراق عليه، فضلا عن الأثر الإيراني وتداعياته وأثره على الاستقرار بعد عام 2003.

1.4.تأثير التواجد التركي على استقرار شمال العراق

ترك التواجد التركي في شمال العراق، تداعياته السلبية على السيادة واستقرار البلاد، فلم تكتف تركيا بمجابهة حزب العمال التركي، الذي جعل من جبال شمال العراق منطلقاً لعملياته ضد تركيا، بل وسعت انتشارها العسكري وعملت على إنشاء قاعدة عسكرية في شمال العراق، وزادت من فعاليتها ونفوذها في الشمال العراقي، وقد كانت قضية أكراد تركيا الانفصاليين، القاطنين على الحدود الشمالية للعراق والجنوبية لتركيا، تشكل هاجساً وخوفاً دائمين، من تزايد النفوذ الكردي وتغلغله في جنوب تركيا وتهديداً

لاستقرارها، وكان اجراء خطوة من قبل حكومة إقليم كردستان العراق وهي الاستفتاء على الانفصال عن العراق، الذي اجرته حكومة الإقليم وطالبت من خلاله بإنشاء دولة كردية مستقلة، دقت ناقوس الخطر على تركيا ومثل بدوره ضغط وتهديد على الحكومة التركية، كذلك عرقلة مرور النفط العراقي من أراضيها يمثل أيضا تهديداً لمصالحها.

وبعد دخول القوات الأمريكية إلى العراق عام 2003، كان الموقف التركي يتسم بالتأييد الشديد للغزو، بل أعلنت عزمها في المشاركة بالغزو، فقد أعلن حزب العدالة والتنمية قبل تولي أوردغان الحكم، باعتزامه المشاركة في التحالف الدولي لغزو العراق، وبالفعل صيغ مشروع قانون ليتم التصويت عليه داخل البرلمان التركي، بتأييد التدخل والمشاركة في التحالف، وفتح المجال التركي للقوات الأمريكية ليتسنى لها الدخول من خلاله للعراق، لكن التصويت فقد مشروعيته ولم يكتمل النصاب القانوني للتصويت، وأعلن حزب العدالة والتنمية، عن تبني وجهة النظر الأمريكية حيث في التاسع عشرة من شهر مارس/ أذار لسنة 2003 صوت البرلمان التركي؛ وبقوة لصالح فتح الأجواء التركية لأمريكا لتتوجه من خلالها إلى شمال العراق، بعد أن طلبت أمريكا من حزب العدالة والتنمية برئاسة أوردغان فتح المجال الجوي، هذا فضلاً عن فتح الحدود البرية لمرور العربات الأمريكية لتقديم الدعم لقواتها في العراق (عرفات، 2012) .

وأعلنت الحكومة التركية اعتزامها ونيتها في نشر القوات التركية على الحدود الجنوبية لتركيا والشمالية للعراق، في ذات اليوم الذي صوت البرلمان التركي على فتح المجال الجوي للقوات الجوية الأمريكية، وفي مايو من نفس العام، أعلنت الحكومة التركية نهاية أعمال المراقبة الخاصة بالجيش التركي شمال العراق، وهو ما أكد عليه التقرير الذي صدر عن الكونجرس الأمريكي، ليشيد بحجم التعاون التركي في عملية التدخل وأثنى على جهودها الحثيثة والدعم الذي قدمته على الصعيد العسكري والسياسي (Migdalovitz, 2003,p.p 6-11).

وكانت المكاسب التي تحققت لتركيا بدخول أمريكا العراق هي:

- ✓ إنها حصلت على وعد من الإدارة الأمريكية، بمنع أي محاولة استقلال لمنطقة الأكراد وانفصالها؛
- ✓ ممارسة نفوذها على أرض العراق ولاسيّما في المنطقة الكردية، لكونها ضمن الائتلاف الدولي؛
- ✓ في الجانب الاقتصادي تحقيق مكاسب من النفط العراقي، ومن مرور أنبوب النفط العراقي لتركيا باعتباره المنفذ الوحيد من شمال العراق؛

- ✓ إقامة المشاريع المائية والسدود؛ على مياه الأنهار باعتبار العراق دولة مصب وتركيا دولة منبع للمياه؛
- ✓ يساهم التدخل الأمريكي؛ في دعم المشروع التركي المتمثل في أحياء الدولة العثمانية.

وبعد ما قررت واشنطن الخروج من العراق في عام 2011 انتهجت تركيا سياسة مغايرة, قائمة على عدة محاور من الممكن أن تنتهجها؛ أولها أن تتصدر الحياد للمجتمع الدولي والإقليمي، بسعيها لتطوير العلاقات التركية - العراقية في مختلف قطاعاتها السياسية والاقتصادية، وبشكل غير مباشر أي من دون أن تتطرق وتتدخل في الشؤون الداخلية للعراق، أما ثانيها فكان العمل على أن تتصدر حالة الانكفاء بمعنى تراجعها داخل حدودها، واهتمامها وانشغالها بالقضايا الداخلية، وتجنب الوقيعة مع إيران وأن تنتظر ما سيلحق بالعراق، ثالثها أن تتقدم وتتدخل في العراق ولاسيما ما تحظى به من دعم من واشنطن، فضلاً عن التحديات التي باتت تهدد العراق وتنعكس بشكل أو بآخر على الأمن القومي التركي، وجاء عام 2015 ليكون شاهدا على تحقق المحور الثالث، وهو التدخل المباشر في العراق بإرسال قوات إلى منطقة "بعشيقة" الواقعة بجوار الموصل شمال العراق، وذلك كمقدمة لتحقيق أهم أهدافها بدخول الموصل بعد صعود تنظيم داعش الإرهابي في عام 2014 وسيطرته على تلك المدينة، وجاء ذاك التدخل بدون موافقة من السلطة العراقية وهو ما يعد بحال بمثابة انتهاك لقواعد القانون الدولي، والميثاق العام للأمم المتحدة الذي يؤكد على عدم التدخل في شؤون الداخلية للدول الأخرى (العبيدي ، 2017).

يتضح مما سبق؛ أن التدخل التركي في العراق منذ عام 2003، وإلى اليوم كان تدخلاً مباشراً سواء بمساعدة القوات الأمريكية في الحرب وفتح المجال الجوي وتواجد بعض القوات التركية أثناء الغزو، واستمرت سلسلة التوغل إلى ما بعد الخروج الأمريكي، وذلك بحجة مواجهة حزب العمال الكردستاني ومواجهة تنظيم داعش الإرهابي، فضًلا عن تحقيق أهدافها ومصالحها المعرضة للخطر بعد انفلات الأوضاع من أيدي الولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن للتدخل العسكري المباشر في شمال العراق لمنع أي محاولة للتوسع من قبل حزب العمال الكردستاني، ومواجهة الخطوات التي تؤدي إلى دولة كردية في العراق، بحكم ونظام سياسي مستقل، كما أنها خلال تلك الفترة أعلنت تحييدها، للعديد من الإرهابيين خلال تواجدها في شمال العراق، وعليه تمثلت أهم الدوافع التركية للتدخل في العراق في النحو التالي :

4.1.1. القضية الكردية

تعدُ القضية الأبرز التي ركزت تركيا عليها في توجهاتها، خاصة كونها تتواجد في شمال العراق، أي على الحدود الجنوبية التركية، وازداد القلق حيال تلك القضية بعدما امتلك الأكراد في شمال العراق صلاحيات موسعة وخاصة في الدستور العراقي، وأصبح إقليم كردستان العراق يتمتع بالحكم الذاتي أي شبه منفصل، ومما يعقد الاستفتاء على الانفصال عن العراق، لكن عدم نجاح الاستفتاء جنب تركيا العديد من الإجراءات التصعيدية والتي قد تصل للحرب الشاملة والعدوان على العراق، ولاسيّما في ظل رفضها القاطع لأي محاولة من شأنها أن تنشئ دولة كردية على الحدود مما سيشكل المزيد من الضغوط على الداخل التركي، وينمي نزعة الانفصال والنزعة العرقية لدى أكراد تركيا جنوب البلاد وهو ما يفسر تواجدها في شمال العراق ونزاعها مع حزب العمال الكردستاني (عبد العظيم، 2020، ص201)

4.1.2. تأثير الاقتصاد التركي في العراق

يعد العراق من أكثر الدول التي تتبادل تجاريا مع تركيا، حيث وصل حجم التبادل التجاري بين البلدين، بعد 2003 وحتى عام 2012 إلى ارتفاع هائل، إذ قفزت من 90 مليون دولار إلى حوالي 11 مليار دولار، الأمر الذي ساعد على النهوض بالاقتصاد التركي خاصة بعد التدهور الاقتصادي بسبب قيام الثورات العربية في المنطقة العربية، ويُعد العراق منذ عام 2011 ثاني أكبر مستوعب للصادرات التركية بعد ألمانيا، حيث بلغت قيمة الصادرات التركية حوالي 12 مليار دولار عام 2013، وقد استوعبت الجزء الأكبر منه محافظات إقليم كردستان العراق (الشبوط، 2016).

من جهة أخرى استثمرت الشركات التركية مبالغ هائلة في السوق العراقية خاصة تلك التي تعمل في المجالات الإنشائية والبناء، حيث عمل العراق على تأهيل إعادة بنائه، بعد دخول القوات الأمريكية للعراق في عام 2003 فواصلت أكثر من 1500 شركة تركية مسجلة في العراق أعمالها حتى نهاية عام 2013، ليصل إجمالي المشاريع التي قامت بتنفيذها إلى 824 مشروعا بقيمة ما يقارب 20 مليار دولار (عبيد، 2015، ص. ص102-103).

وفي ما يتعلق بالطاقة (النفط والغاز)؛ تستورد تركيا أكثر من 70% من حاجاتها من الطاقة من الخارج 99% من الغاز، وأكثر من 90% من النفط الخام، والجزء الأكبر من واردات الطاقة تستوردها من إيران، وروسيا، بنسبة 74% من الغاز، و45% من النفط وفقًا للإحصائيات عام 2012 الأمر الذي لا يترك

الكثير من الخيارات أمام المسؤولين الأتراك، وعليه اتجهت تركيا نحو خيار الاقتراب من العراق لتأمين احتياجاتها من النفط، على اعتبارها الدولة الخامسة التي تملك احتياطي النفط عالميا؛ ولأنها تحتوي على ثاني منتج دولي للنفط في العالم وذلك لمعرفة تركيا أن العراق أيضاً يحتاج إلى الأراضي التركية ومنافذها لتصدير ونقل الطاقة من خلالها إلى الدول الأوربية مستقبلا كمحطة للنقل إلى الأسواق العالمية (عبد الرحمن و الربيعي ، 2016 ، ص31).

ولذلك نستنتج مما تقدم؛ أن تدخل تركيا في العراق كان من أسبابه الرئيسية الحفاظ على خطوط تصدير النفط التي تربط البلدين من خلال ميناء جيهان التركي، ومنع أي محاولة من قبل التنظيمات الإرهابية من السيطرة عليه، وذلك يمثل في حال حدوثه ضربة خطيرة للاقتصاد التركي.

4.1.3 . التواجد العسكري لحزب العمال التركي (البككه) في العراق

تواجه تركيا منذ عقود من السنين، حزب العمال التركي (PKK)، في جنوب شرقي البلاد التركية على الحدود مع العراق، وقد هددت عدة مرات بمهاجمة قواعده، غير أن العراق عارض أية عملية عسكرية تركية في المنطقة، التي تسكنها أغلبية كردية، وقبل الحديث عن أهداف التواجد العسكري التركي يجب الإشارة إلى أسس مشكلة التواجد التركي في العراق، والتي تكمن فيما يأتي:

- ✓ تهديدات تركية بشن حملة عسكرية، من أجل تصفية حزب العمال الكردستاني، الموجود في شمال العراق؛
- ✓ تهديدات كردية عراقية، بتصعيد التمرد الكردي المعارض داخل تركيا.

لذلك وبناء على ما تقدم، يمكن أن نحدد أهداف التواجد العسكري التركي بما يأتي:

- ✓ تصفية القواعد والبنى التحتية العسكرية لحزب العمال (البككه)، وبقية الفصائل الكردية المؤيدة لمنح الحقوق القومية لأكراد تركيا؛
- ✓ اضعاف النفوذ الاقتصادي والسياسي للقوى الكردية العراقية؛
- ✓ تشتيت التمركز الديمغرافي الكردي في المنطقة، وذلك لأن إقليم كردستان العراق أصبح قاعدة للحركات الكردية الموجودة في تركيا والعراق؛ وأصبح يشكل ملاذا آمنا للحركات الانفصالية الكردية، التي أخذت تستخدم الإقليم ساحة للتدريب والإسناد، ومنطلقا لتنفيذ الهجمات ضده؛

- ✓ إقامة منطقة عازلة تركية، على غرار المنطقة العازلة التي سبق وأن أقامتها إسرائيل في جنوب لبنان، وعلى النحو الذي يؤدي إلى منع عناصر البككه من التسلل عبر الحدود إلى تركيا.

لذلك فإن التواجد العسكري التركي؛ هدفه تنفيذ عملية أمنية واسعة للتأثير على الأوضاع السياسية داخل تركيا، وأن احتمالات قيام تركيا بتنفيذ عمل عسكري داخل الأراضي العراقية، تبقى عالية وأهدافها كالتالي:

- ❖ اضعاف حكومة إقليم كردستان العراق، وإظهارها بمظهر العاجز عن الدفاع عن الأكراد؛
- ❖ إعطاء رسالة لدول العالم والأطراف الداعمة للحركات الكردية، بأن تركيا لن تسمح بقيام أي كيان كردي مستقل، أو حتى التمتع بالاستقلال في إدارة ذاتية؛
- ❖ القضاء على كل البنى التحتية؛ للفصائل الكردية المسلحة، وأيضا قيام منطقة عازلة شمال العراق بحيث يكون الوجود العسكري التركي مستمرا بشكل دائم فيها؛
- ❖ إقناع الحركات الكردية التركية؛ بأن المشروع الانفصالي الكردي يظل طريقا مسدودا مهما قدمت من التضحيات.

و لذلك أدى التواجد العسكري لحزب العمال الكردي(ppk) في شمال العراق لإحداث نوع من عدم الاستقرار في المنطقة، في ظل قيام الحزب بشن ضربات في العمق التركي والرد عليه، الأمر الذي يهدد الاستقرار والأمن العراقي، إذ دفع تواجد الحزب في أراضي إقليم كردستان العراق، بالحكومة التركية لاستغلال الموقف والتدخل في العراق من خلال أنشاء قواعد عسكرية في الأراضي العراقية وشن هجمات متتالية داخل الأراضي العراقية، لاسيما أن هذا الحزب يحظى بدعم من قبل سكان منطقة جنوب شرق الأناضول، كونهم من القومية الكردية، فضلاً عن تقارب أهدافهم الاستراتيجية، المتمثلة بقيام الدولة الكردية.

ولذلك فإن التواجد العسكري التركي؛ من شأنه أن يحقق مكاسب تركية، منها ما يتعلق بالأهداف السياسية والاقتصادية، وعلى الرغم من اعتبار حزب العمال التركي (البككه) منظمة إرهابية، وفق قرار دولي فإن المنظمة اتخذت من شمال العراق مسرحا لعملياتها، التي تمتد إلى جنوب تركيا، مما أعطى تركيا ذريعة للتواجد والتدخل في شمال العراق، وتحقيق أهدافها بالرغم من تداعيات ذلك على أمن واستقرار العراق.

2.4. التدخلات الإيرانية في العراق و أثرها على استقراره

لقد كان تأثير إيران في العراق أحد أكثر الجوانب التي يجري الحديث عنها ولكنه أقلّ الجوانب التي يتم فهمها في الوضع الذي أعقب الحرب، لقد كانت علاقة العراق بإيران علاقات متخبطة من قديم الأزل لم تتفق يوما بقدر ما وقد اختلفت، ووصلت حدة الاختلافات إلى إشعال لهيب الحرب بين الدولتين، في حرب الخليج الأولى وهي ليست موضع للنقاش بأي حال، بينما ما يهم هو حقبة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003 إلى تاريخه الآن، وفقا لما سبق طرحه من نتائج الغزو الأمريكي للعراق أنه خلف دولة هشة ونزاعات عرقية وطائفية، كفيلة بأن تقضي على نسيجها كما ترتب على حل الجيش وإنهاء بعض عناصره إلى الفراغ الأمني، فضلاً عن الفراغ السياسي، كما أن سياسة التمييز التي اتبعتها واشنطن في العراق لصالح المكون الشيعي، ترتب عليه تقوية نفوذهم السياسي مما ينبئ بدولة شيعية وهو ما يمثل انطلاقة جيدة لإيران؛ لأنها تبني عليه حججها ومبرراتها للتدخل في العراق والتأثير في استقراره (عبد العظيم، 2020، ص191) .

فضًلا عن الدوافع التقليدية التي يمثل تدخلها في العراق؛ بشكل أو بآخر من تحقيقها، كالنفط العراقي كذلك الأمر باعتبار العراق هي دولة شبه حبيسة ولكن بإطلالها على الخليج العربي، أعطاها ميزة ومتنفسا جيداً، كذلك الموقع الاستراتيجي للعراق فهي تتوسط كل من إيران وتركيا ودول الخليج العربي وأن تواجد إيران أو بممارسة نفوذها في العراق تجعلها على مقربة من الخليج العربي ودوله الذي يعد من ضمن الأهداف الأولى للاستراتيجية الإيرانية في المنطقة؛ ولذا جاءت الاستراتيجية الإيرانية للتدخل في العراق، من خلال عدة محاور رئيسة تتمثل بالآتي: (الهلالي، 2007، ص.ص42-43).

- ✓ تشجيع التداول السلمي والحر للسلطة، من خلال المشروعية الانتخابية، أي مشروعية الصندوق لأنها ستولد تيارا أو مذهبا يخدم ويحقق مخططات إيران وهو المذهب الشيعي، والذي بدوره سيسهل من وضع اللبنة الأولى في الدولة الشيعية، والتي تحمل شارة قيادتها وبها تصبح إيران الدولة المحورية؛
- ✓ الترويج بصورة أو بأخرى لنوع من الفوضى المدارة أو ما يطلق عليها باسم " الفوضى المسيطر عليها" بمعنى التحكم في حجم تصاعد وتيرتها أو انخفاض وتيرة أحداثها، وذلك للسيطرة على مجريات العنف في العراق، والذي بدوره يمكن توظيفه للتأثير على الاستقرار السياسي داخل العراق وهو نوع من السيطرة على مجريات الأمور وتحقيق الاستقرار؛ ولكن وفقا لعقيدة الدولة المتحكمة فقد يكون بتعمد توليد العنف والاضطراب لتتدخل في العراق على النحو

الذي ترتضيها قناعتها، ويتناسب وحجم تأثيرها في ظل مظلة الملف النووي التي تستند عليه، وتبرر به تصرفاتها التي قد تتسم بالعقلانية تارة , والتي تخرج عن طورها تارة أخرى؛

- ✓ في تدخل إيراني أخر تم قصف محافظة أربيل، بحجة تواجد القوات الإسرائيلية فيها، مما استدعى من العراق تقديم شكوى لمجلس الأمن وهذا الفعل يترك آثاراً كبيرة على أمن واستقرار العراق.

إن الذي يعزز ذلك؛ أن مضامين الاستراتيجية الإيرانية تبنى على أساس مصالحها فقط ، ويتناغم ذلك مع المستجدات على الصعيد الإقليمي، أي بمعنى أن إيران تسعى لتوظيف متغيرات البيئة الإقليمية لصالحها، إذ تدرك ضرورة استغلال الفرص المتاحة أمامها لاسيما وأن المنطقة أصبحت تشهد فراغاً أمنياً بعد اختلال معادلة التوازن الإقليمي لصالحها منذ عام 2003، ومن ثم فأن طرح مشروعها الإقليمي، كان استجابة لتطورات إقليمية خدمتها ودفعتها، لتوسيع مجال مصالحها القومية وتعزيز مكانتها الإقليمية، فقد جاءت الحرب على العراق لتعطي دفعة قوية إلى الدور أو المشروع الإيراني في المنطقة، الأمر الذي حفز طموحاتها وتطلعاتها لأداء دور إقليمي رئيسي ومهيمن في المنطقة.

إن الوسائل التي مارستها إيران للتأثير على الاستقرار السياسي والأمني في العراق، والتي نتطرق لها بشكل عام هي:

- ✓ دعم الأحزاب العراقية، إذ تعد الانتخابات من الوسائل الأخرى التي تؤثر بها إيران على أمن واستقرار العراق، وذلك ينسجم مع الدعم الذي تقدمه لحركات وأحزاب شيعية معينة , للوصول إلى السلطة، ويأتي ذلك لغرضين، أولا من أجل أن تظهر مدى تأثيرها على المشهد السياسي، وعملية اتخاذ القرار السياسي في العراق، وأنها قادرة على إيصال من تريد إلى الحكم فيها، ثانيا من أجل أن تضمن بقاء الأحزاب السياسية الموالية لها، قوية في العراق, كي لا تخرج عن السياسات العليا الرامية , لتنفيذ وحماية المصالح الإيرانية، من جانب أخر تحاول إيران أن تبقى الجبهة الشيعية موحدة للمحافظة على الأصوات الانتخابية، من الضياع أو الذهاب لجهات أخرى لا توالي إيران أو مبدأ ولاية الفقيه (العيالي والياسري، 2006، ص473)؛
- ✓ ممارسة دور الوسيط ، حيث مارست إيران هذا الدور في الكثير من النزاعات الحزبية الموجودة في العراق، خاصة عندما كانت تحدث بينهم انشقاقات تؤدي إلى إضعاف البيت الشيعي ومكانته السياسية، ولقد مارست هذا الدور مع التيار الصدري في البداية، حيث استطاعت

أن تقنعه عن العدول عن المقاومة العسكرية المسلحة إلى المقاومة السلمية، ضد القوات الأمريكية الموجودة في العراق، لتدخل من بعدها في العملية السياسية وتحصد الأصوات التي لم تشارك من قبل في الانتخابات، بسبب موقف زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر الذي كان يرفض المشاركة في العملية السياسية من قبل، ولم يكن خفيا على المتتبعين للأحداث السياسية في العراق أن إيران في بعض الأحيان، كانت تختلق المشاكل والصراعات بين الأطياف المتواجدة في المشهد السياسي العراقي، لتقوم بعدها بتمثيل دور الوسيط في حل تلك المشاكل دبلوماسيا، كل ذلك كان من أجل إثبات واقع حال يدل على أن العراق بدون التدخل الإيراني لا يستطيع المضي قدما في إدارة الدولة (خولي، 2014)؛

- ✓ الدعاية والترويج، إن الترويج لأهمية التدخل الإيراني في العراق، هو نوع من السيطرة على مجريات الأمور، وتحقيق مصالحها وفق رؤيتها، وذلك في توليد العنف والاضطراب والصراعات الداخلية القومية والطائفية، للترويج بضرورة تدخلها والمساهمة في حل المشكلات، وتقارب الأفكار وفرض الحلول والمخرجات، على النحو الذي تحقق مصالحها ويتناسب مع حجم تأثيرها في العراق.

4 .2 .1. المصالح الإيرانية في العراق

تحوز إيران على مصالح حيوية في العراق، وهو أمر لا شك فيه، وأن ممارسة نشاطاتها وسياساتها لفرض نفوذها على العراق أمر واضح للعيان، وفي الواقع أنها تستطيع فعل الكثير لزيادة نفوذها فيه، عن طريق فرص التعاون والتنسيق المشترك لتحقيق مصالح البلدين، فكان لزاماً على طهران وبغداد، أن تعملا معاً في قضايا الأمن المشترك لمواجهة تداعيات وتحديات استقرار المنطقة وفق مصلحتهما، وتحقيق سياسة إيران التي تهدف إلى التوسع والهيمنة على المنطقة.

4.1.2.1. المصالح الأمنية

يعد الأمن وحمايته من الأهداف الأساسية الرئيسة للسياسة الخارجية، في جميع بلدان العالم، والدول الإقليمية التي تحاول قدر الإمكان أن توفر نوع من الحماية والأمن لنفسها، وفي حال وجود حالة من عدم الاستقرار في بلد مجاور، سيؤثر ذلك بنوع أو بآخر على الاستقرار والأمن في الدولة المجاورة لها، ولهذا

سعت إيران نحو الحفاظ على الأمن والاستقرار في العراق، لكن على طريقتها وحسب ما تراه مناسبا لها ولمصلحتها الاستراتيجية (العناني، 2005، ص.ص2-3) .

وعارضت إيران في الوقت نفسه أي توجه نحو تقسيم العراق إلى دويلات ثلاث، حسب ما كانت الأمور تسير إليه، وتقسيمه إلى أقاليم للكرد والسنة والشيعة، وقد كرست جهودها السياسية للتوفيق بين الأحزاب السياسية المختلفة، والقيام بتهيئة الوضع داخل العراق لصالح الشيعة بأن تولهم زمام الحكم من خلال التحالف بين الأحزاب السياسية الشيعية والأطراف الأخرى، وهو أمر يضمن بقاء الشيعة في طليعة السلطة العراقية، بدولة تكون ملامحها الجديدة موالية للدولة الإيرانية، وفي ذات التوقيت أن تضمن سيطرتها على الأكراد والسنه الموالين لها، ومن أبرز المصالح السياسية الإيرانية مع الأكراد عرقلة إنشاء دولة كردية في شمال العراق، الذي يمكن أن يكون ذو تأثير كبير على الجمهورية الإيرانية، لأن إنشاء دولة كردية في شمال العراق قد يؤدي إلى تشجيع التوجهات الانفصالية للأكراد في إيران .

2.1.2.4. المصالح الاقتصادية

إن المصالح الاقتصادية تعد مكملة للأهداف السياسية، إذ أن المتغير الاقتصادي؛ يعد من أهم العوامل للمواجهة للسياسة الخارجية وللعلاقات الإيرانية، لأن المتغيرات الاقتصادية والمصالح الاقتصادية الإيرانية فضلاً عن مشكلات الوضع الاقتصادي، تشكل مدخلات مهمة في صنع القرار السياسي الخارجي وموجها لمسيرة وتوجهات العلاقات الدولية الإيرانية. لذا فإن مشاركة إيران للعراق اقتصادياً يعد من أكبر المكاسب التي ستعود بالفوائد الكبيرة ليس في مجال معالجات الأزمات الاقتصادية الإيرانية فحسب، بل في تحويل الاقتصاد الإيراني إلى أكبر اقتصاد إقليمي في المستقبل (مري، 2017، ص155) .

لذلك فإن الحصار الاقتصادي والعقوبات المفروضة من الأمم المتحدة على إيران، نتيجة برنامجها النووي والتسلح، عرقل تنفيذ إيران لبرامجها الاقتصادية والسياسية، وقد اعتمدت العراق منفذ ومنقذ ومخرج من هذه العقوبات. وأن الحكومة الإيرانية التي تهدف إلى أن تصل إيران، إلى أعلى إمكانياتها الاقتصادية على الصعيد الإقليمي، وتعمل على تطوير إمكانياتها لحل مشاكلها الداخلية وجدت أن مخرجها يكون من العراق، الذي يمتلك احتياطياً نفطياً هائلا، لاسيما أن احتياط النفطي الإيراني في تراجع مستمر لذلك تطمع في حقول نفط العراق، لحل مشاكل الطاقة ومشاكل اقتصادها الأخرى، ومتنفساً للحصار المفروض عليها.

فضلا على تلك المصالح؛ فإن إيران ترى في العراق خطراً مباشراً يؤثر على أمنها القومي، لاسيّما مع وجود قوات أمريكية داخل العراق، مما يشكل خطراً مباشرا، على أمنها واستقرارها الذي يستوجب مزيداً من التدخل والنفوذ في العراق.

إن ما يمكن ملاحظته على المصالح الإيرانية في العراق، أنها متعددة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية، ولهذا تسعى إيران إلى ترجمة تلك المصالح إلى نتائج ملموسة، تتجسد في عدد من الأهداف أهمها:

- ✓ تعزيز المنظومة السياسية الوقائية للنظام الإيراني، والتي تتمثل بإنشاء خطوط دفاع متعددة خارج الدولة الإيرانية؛ وتتجسد بدول وحركات موالية لها ويمكن استخدامها كوسائل ردع؛ أو وسائل ضغط وتفاوض، وبالتالي تنفيذ استراتيجيتها وجعلها ممكنة التحقيق؛
- ✓ المساومة على الدور الإيراني في العراق، في سبيل تحقيق غايات أوسع دون أن يعني ذلك التنازل عنه، بمعنى آخر استخدامه وسيلة للتفاوض وكسب مصالح أكثر؛
- ✓ منع عودة أو قيام عراق عربي ومستقر مستقل، لأن ذلك يعني عرقلة للاستراتيجية الإيرانية، وللنظام الإيراني ولنفوذه في المنطقة؛
- ✓ تحقيق الانتشار الإقليمي الاستراتيجي للنفوذ الإيراني، المتمثل في (الهلال الشيعي- الإيراني) والذي يعتبر ركيزة أساسية في الفكر والسياسة الخارجية الإيرانية، ويعتبر مشروع إيراني أساسي، لا يتغير بتغير الأنظمة في المنطقة، ويمكن تغير الوسائل لتنفيذه بدون المساس بجوهره.

5. الخاتمة

إن استقرار العراق وتعزيز أمنه، أو على الأقل المحافظة على حدود أمنه ووحدته، يتطلب من الدولة أن تتخذ جملة من الأليات تتناسب مع حجم المعوقات، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وإذا لم تفعل ذلك فإن مستقبل العراق كدولة موحدة لن يكون مضمونا.

أما عن التدخل الخارجي، الإقليمي وغير الإقليمي، فشهدت المواقف الإقليمية على صعيد دول الجوار تداعيات حولت المنطقة إلى منطقة صراعات، على غرار تركيا وإيران والسعودية والكويت، وكانت أهم الدوافع التي دفعتها للتدخل بصورة أو بأخرى دوافع سياسية وتحقيق مصالحها دون الاهتمام

باستقرار العراق ومصالحه، وعليه يعد التدخل بصورة المباشرة كانت أم غير المباشرة ضرورة استراتيجية لكل دولة لها مصالح وتأثير على العراق، وقد تبدأ بتدخل مباشر كما الولايات المتحدة الأمريكية التي تمثل التدخل الدولي وبعد أحكام قبضتها تنفذ المحاور الأخرى من استراتيجيتها وهو إنهاك العراق في صراعات قومية واثنية وطائفية، أو بتدخل غير مباشر وفقا لما تقتضيه المصلحة الوطنية لدولهم، وبالتالي يتوقف شكل التدخل وفقا لحجم تلك المصلحة المطلوبة من العراق، وفي نهاية بحثنا هذا توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي خرج بها البحث بالشكل التالي:

- ✓ وجود التدخلات من جانب الدول الإقليمية؛ مثلت العائق الأول والتحدي الأكبر أمام تحقيق الاستقرار السياسي في العراق حتى الآن؛
- ✓ بسبب التدخلات الإيرانية المباشرة في الشأن العراقي اجتاحت الصراعات الطائفية والمذهبية وتوسعت داخل العراق بعد عام 2003، وسببت تداعيات كبيرة معرقلة لاستقراره؛
- ✓ الكثير من الدول الإقليمية المجاورة للعراق لا تريد عودته لموقع القوة أو تحقيق الاستقرار، كون ذلك لا يصب في مصلحة هذه الدول؛
- ✓ المشاكل والخلافات التاريخية للحكومة العراقية السابقة قبل سنة 2003 امتدت وظلت مستمرة حتى بعد تغيير النظام السياسي، الأمر الذي شكل عائقا وتداعيات أثرت على استقرار العراق، فضلاً عما تسببه في قيام جماعات وحركات إرهابية داخل العراق، والتي اتخذت منها الدول الكبرى وسيلة لتكريس أجنداتها في العراق؛
- ✓ إن التدخلات المباشرة وغير المباشرة، لدول الجوار والدول الأجنبية التي غيرت النظام السياسي بعد عام 2003، أسست تداعيات واضحة في أعمار واستقرار العراق وأمنه؛
- ✓ لم تستطيع القيادات العراقية أن تشكل هوية وطنية جامعة للشعب وعاملة لمصلحة الوطن، كما لم يسع التدخل الخارجي إلى بنية سياسية لعراق موحد.

6. قائمة المصادر والمراجع

1. 6 . المراجع العربية

- البصراتي، محمد نور، (2016)، النظم السياسية في الوطن العربي، الجامعة بني سويف، دار الكتاب الجامعي.

- بن رغدة، عائشة، (2019)، أثر التدخل الخارجي في استقرار الأنظمة العربية: دراسة حالة النظام العراقي بعد التدخل الأمريكي في سنة 2003، أطروحة دكتوراه غير منشورة، العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بانتة1، ص 208.
- الجاسور، أثير ناظم، (2022)، معوقات السياسة الخارجية الكويتية اتجاه العراق بعد العام 2003، مجلة الباحث الأكاديمي في العلوم القانونية والسياسية، العدد الثاني، ص.ص 24-39.
- -الجبوري، قحطان عدنان حمد، (2006)، العلاقات العراقية - السعودية بعد عام 2003 وملاحمها المستقبلية، مجلة الدراسات الدولية، المجلد10، العدد 38، ص.ص .95-92
- الخزرجي، حمد جاسم محمد، (2019)، العلاقات العراقية - السعودية بعد عام 2003، جامعة كربلاء / العراق، مركز الدراسات الاستراتيجية، ص.ص2-11.
- خولي، معمر الفيصل، (2014/10/20)، كردستان العراق في السياسة الخارجية التركية، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، متاح على الرابط: https://rawabetcenter.com
- رحيمة، عزري، (2003)، الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003، رسالة ماجستير غير منشورة، العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، ص.ص 51-70.
- الشبوط، محمد غسان، (2016/9/15)، العلاقات الاقتصادية التركية العراقية بعد عام 2003، متوفر على الرابط: http://www.ahewar.org/
- عبيد، منى حسين، (2015)، العلاقات التركية العراقية وأثرها في استقرار العراق، مجلة دراسات دولية، العدد 60، ص. ص 102-103.
- طالب حسين حافظ، (2012)، ميناء مبارك وآفاق العلاقات العراقية-الكويتية، مجلة دراسات دولية، العدد53، جامعة بغداد، مركز دراسات دولية، ص.ص 180-183.
- ظافر طاهر حسان، (2007)، العراق والاحتلال الأمريكي: دراسة في مستقبل الاقتصاد العراقي، مركز الدراسات الدولية، العدد 36، ص.ص 208-210.
- عبد العظيم، دينا فتحي جمعة، (2020)، طبيعة التدخل في العراق، مجموعة باحثين: تداعيات التدخل الدولي في إقليم الشرق الأوسط على ظاهرة الإرهاب (سوريا، العراق، ليبيا، اليمن) أنموذجا، ألمانيا/برلين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ص.ص 177-209.

- العبيدي، سند وليد سعيد، (2017/10/17)، أبعاد التدخل التركي في العراق، مقالة في نشرة الحدث.
- علي عبد الرحمن عبد الرحمن، ظاهر عبد العزيز الزهرة الربيعي، (2016)، تحليل جغرافي للعلاقات الاقتصادية العراقية - التركية بعد2003، الدراسات الجغرافية والبيئية، العدد الخامس، ص31 .
- العناني، خليل، (2005)، الدور الإيراني في العراق، تحركات غامضة في بيئة مضطربة، دراسات استراتيجية، العدد 158، ص .ص 2-3.
- العيالي، سمير فليح حسن، الياسري، فاضل حسن، (2006)، دوافع السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق بعد عام2003، العراق، جامعة كربلاء، ص473.
- عيد، محمد بدري، (2011/8/14)، ميناء مبارك الكبير: تحد جديد للعلاقات الكويتية - العراقية، مركز الجزيرة للدراسات، متاح على الرابط: https://studies.aljazeera.net
- محمود عرفات، (2012)، تركيا وغزو العراق 2003: عن بعض الأوهام الأردوغانية، شباب الشرق الأوسط.
- المعموري، نبراس، (2015)، محنة الدستور وإشكالية التعديل، القاهرة، دار العربي للنشر والتوزيع، ص.ص108-109.
- الهاشمي، هاشم، (2016)، عالم داعش من النشأة إلى إعلان الخلافة، لندن، دار الحكمة ، ص 11.
- -الهلالي، نشأت، (2007)، النفوذ الإيراني في العراق وانعكاساته الإقليمية: برنامج الدراسات النووية، القاهرة، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ص .ص 42-43 .

6. 2. مصادر الأجنبية

- Migdalovitz, carol, (2003), Iraq: Turkey, the Deployment of U.S. Forces, and Related Issues, Congressional Research Service ˜ The Library of Congress. P.p. 6-11

مظاهر العلاقات العمانية الشرق- إفريقية

Manifestations of Easterner Africa Omnia Relationship

د. محمد المهدي أحمد [1]* د. ابن عمر عمر عبيد الله[2]

[1] جامعة آدم بركة بأبشة، تشاد

almahadiahmat1@gmail.com

[2] كلية التربية، قسم التاريخ، جامعة كردفان، السودان

Ibnomer886@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/09/29 تاريخ النشر: 30/ 2024/10

****

ملخص الدراسة

إن الروابط العربية الإفريقية ممتدة في عمق التاريخ، خاصة وأن هاجر أم سيدنا إسماعيل عليه السلام وجدة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مصر، كما أن البعض يربط بين أصول اسم افريقيا وأحد ملوك حمير أفريقش/أفريقوش في جنوب الجزية العربية.

سعت الدراسة إلى تسليط الضوء حول الأصول التاريخية للروابط العربية بشرق إفريقيا، مع إشارة خاصة للدور العماني في تأسيس دولة أفروعربية في الشرق الإفريقي، ولتحقيق هذه الغاية، استخدم الباحثان المنهج التاريخي، وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن إقليم شرق إفريقيا يمثل موقعاً جغرافيًا متميزاً سواءً على الصعيد الإقليمي أو الدولي كمعبر مائي وكمدخل للقارة الافريقية، أن الوجود العربي في إفريقيا كان مبكرا وهو سابق للوجود الأوروبي في المنطقة.

الكلمات المفتاحية

مظاهر؛ علاقات؛ شرق إفريقيا؛ الجزيرة العربية؛ الاسلام.

*المؤلف المراسل

Abstract

The Arab-African connections extend deep into history, especially considering that Hagar, the mother of our Prophet Ismail (peace be upon him), and the grandmother of the Prophet Muhammad (peace be upon him) were from Egypt. Some also link the origins of the name "Africa" to one of the kings of Himyar, Afrikush/Afrikash, in the southern Arabian Peninsula.

This study aimed to highlight the historical roots of Arab connections in East Africa, with a particular emphasis on the Omani role in establishing an Afro-Arab state in East Africa. To achieve this goal, the researchers employed a historical methodology. The study concluded with several key findings, including: that the East African region represents a distinguished geographical location both regionally and internationally as a maritime corridor and an entry point to the African continent, and that the Arab presence in Africa was early and predates the European presence in the region.

Keywords

Manifestations; Relations; East Africa; Arabian Peninsula; Islam.

1.مقدمة

كانت شرق إفريقيا من أول المناطق التي وصلت إليها هجرات المسلمين الوافدة من شبه الجزيرة العربية، لكن لم ينجح الوجود العربي في رتق النسيج الاجتماعي والثقافي والحضاري للمنقطة؛ إلا من خلال الوجود العماني، حيث ساهم العمانيون في خلق بيئةٍ ثقافيةٍ تلاقت فيها الحضارتان العربية والإفريقية بآدابها ولغتها وعاداتها، لتخلق مجتمعاً متماسكاً ومتسامياً، وهذا يؤكد أن للعمانيين أدواراً مهمة في تاريخ شرق إفريقيا، بما امتلكوه من مقوماتٍ وإرثٍ حضاريين ساهمت في بنائها الجغرافيا العمانية وموقعها المهم وما تبوأته عمان من مكانة تاريخية متقدمة ساعدتها على نقل الكثير من ملامحها إلى عذو مناطق أثرت فيها تأثيراً واضحاً انعكس على مجتمعاتها ونسيجها الثقافي وحضارتها ولغتها، إذ أصبحت الثقافة العربية جزءً من حضارة شرق إفريقيا.

ومن هذا المنطلق تُعد دراسة العلاقات بين الشعوب من الدراسات اللوجستية بين دول التخوم، وذلك لما تحمله من دلالات تاريخيةٍ وثقافيةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وتجارية، خاصة وأن عامل الهجرة يعتبر من المكونات الأساسية في التداخل المجتمعي،وإذا نظرنا للعلاقة بين عُمان وشرق إفريقيا نجدها تتميز بالبعد التاريخي، باعتبارها علاقة وطيدة توثقت بعوامل الهجرة والتجارة وتطورت وازدهرت بعامل الربط الإسلامي، فلذلك كان للتجار العرب أنشطة تجارية مع الساحل الشرقي لإفريقيا، وأفادت هذه الأنشطة في توسع المد الإسلامي المتسارع عبر البحر الأحمر والخليج العربي تحديداً (خليج عمان)، وبحر العرب إلى ميناء عدن، وكانت بداية الهجرة في العام 695م واستمر الحال حتى العام 1718م، وكان من أهم نتائجها ظهور الأسر الحاكمة من بينها أسرة "اليعاربة" وأسرة " البوسعيد"، وقد ساعد انتشار الإسلام في توسع المد الإسلامي ووصل نحو وسط إفريقيا، الكنغو، الزائير، وذلك بعد عبور التجارة بحيرة تنجانيقا وسط إفريقيا.

- **مشكلة الدراسة**

على ضوء أهداف الدراسة فإن العلاقة بين عمان وشرق إفريقيا تتميز بعلائق تاريخية مميزة، باعتبار أن منطقة شرق إفريقيا مركزاً لاتساع الثقافة العربية وعليه، تجيب الدراسة عن مجموعة من التساؤلات هي:

- ✓ ما هي السياقات التاريخية للعلاقات بين عمان وشرق إفريقيا؟ وكيف تطورت هذه العلاقة بمرور الزمن؟
- ✓ ما الأهمية الاستراتيجية لإقليم شرق إفريقيا من الناحية الجغرافية الإقليمية؟
- ✓ ما مدى إسهام الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا، وأي مجالات الإسهام وجدت قبولاً وتنامياً من قبل المجتمع المحلي؟
- ✓ ما هي الممالك الإسلامية التي قامت بسبب التأثير الحضاري الإسلامي؟
- ✓ كيف يمكن توصيف الاستعراب اللغوي على سكان المنطقة، وما هو تأثيره في تطور أطر الحضارة العربية الإسلامية؟

- **أهمية الدراسة**

تبرز أهمية هذه الدراسة كونها تتعلق بمنطقة شرق إفريقيا التي تعتبر مركز إشعاع للثقافة العربية الإسلامية، كما تركز هذه الدراسة بصورة أساسية على معرفة الروابط التاريخية والاستعراب اللغوي، إبراز القيم الثقافية واللغوية المشتركة، مما يعزز الهوية المشتركة ويشجع على الحفاظ على التراث الثقافي، ومن جهة تكمن أهمية هذه الدراسة كونها ترتبط بجانب من تفاعلات العلاقات الدولية الذي يربط بين منطقتين تنتميان إلى قارتين مختلفتين، وهو ما يسلط الضوء على الأهمية النابعة عن رصد حدود الدور العماني في تشكيل مصفوفة سياسية ومدى تأثيرها على تكوين الازدواجية الأفروعربية، هذا من جهة ومن جهة أخرى تعزز هذه الدراسة من فهم تراتبية الأحداث والتحولات التي شملتها السياقات التاريخية التي شكلت العلاقات بين عمان ودول شرق إفريقيا، مما يساهم في توسيع المعارف حول كيفية تطور هذه العلاقات عبر الزمن.

- **أهداف الدراسة**

تهدف هذه الدراسة إلى:

- ✓ معرفة الروابط التاريخية والاستعراب المجتمعي في منطقة شرق إفريقيا؛
- ✓ بيان العوامل المؤثرة على نمط العلاقات العمانية الشرق إفريقية؛
- ✓ توضيح أوجه العلاقات التجارية عبر الساحل الشرقي لإفريقيا؛
- ✓ تَتَبُّع مسار الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا خلال الفترة من 695- 1204م؛
- ✓ إبراز مظاهر التغيير الثقافي في البنية السلالية والذهنية من خلال الهجرات الوافدة من الجزيرة العربية وتأثيراتها على المكون المجتمعي في المنطقة؛
- ✓ معرفة نشأة تطور الأسر الحاكمة ودورها السياسي والإداري في استقرار الأحوال بالمنطقة.

- **منهج الدراسة**

لإنجاز هذه الدراسة استخدم الباحثان المنهج التاريخي.

➢ **محتوى البحث**

وقد جاءت هذه الدراسة – إضافة للمقدمة والخاتمة- في ستة عناصر على النحو التالي:

- ✓ نبذة تاريخية عن عمان
- ✓ عمان والإسلام
- ✓ نشأة العلاقات بين عمان وشرق إفريقيا
- ✓ العلاقات في عهد أسرة البوسعيد

2. نبذة تاريخية عن عمان

تعتبر عمان من أعرق البلدان في العالم وهي ركن من أركان المهد العربي الأول، سكنها قبائل العرب منذ قديم الزمان، فطسم وجديس سكنوا منطفتي جو(الظاهرة الآن) وتوام (البريمي) ومازن أبن الأزد سكنوا شمال عمان (سأحل عمان أو شاطئ المهادن والإمارات المتصالحة كما تسميه دوائر الاستعمار أو الإمارات العربية المتحدة)، وقبائل سكنت الداخلية ومن سلالتهم بنو ريام (قبيلة الجبل الأخضر) وبنو حديد، وقبائل قضاعة وتميم وسكنت عبد القبس منطقة جعلان، وسكنت مضر مدينة دبا بالساحل وهي أنشأت مدينة مسئدم واتخذت من بعد محزنا كبيرا للسفن والبضائع والوقود (جمال زكريا، 1968، ص 24).

وتروى كتب التاريخ أن يعرب بن قحطان قد أقام ولايات في شبه الجزيرة العربية، وكان الفرس آنذاك يحكمون عمان، فاشتبكوا مع جيش مالك فانضم إليه شعبها العربي هنالك. جمع الفرس ثلاثين ألف مقاتل وجمع مالك ستة آلاف، واشتبك الفريقان في معارك عنيفة قتل في معركتها "الحاسم الرزبان" حاكم البلاد من قبل كسرى دارابن دارا، وقد تفاوض الفرس مع مالك بعد ذلك على أن يبقوا بمركزهم في صحار، وقنع مالك بأن ينتشر في البادية فأقرهم ولكنهم عادوا وكتبوا إلى "دارا" الذي غضب لهزيمة جيشه فأرسل حملةً أخرى باءت بالفشل أيضاً، وخسر الفرس بعدها موافقة مالك لهم، وتدفق العرب المهاجرون من اليمن على عمان. وأشهر القبائل الوافدة الأزد وبنو سامة وبنو تميم وبنو قطن وبنو عبس.

عرفت عمان بين البلدان العريقة في القدم، وأدت دوراً حضارياً ما يزال في حاجة إلى اكتشاف تفاصيله، وإذا ما قدر لهذه البلاد أن يؤمها علماء الآثار حيث يتواجدون في كثير من مدنها، مما يدل على عراقتها.

كان للعمانيين تاريخ بحري بالمحيط الهندى من قديم الزمان، ودليل ذلك سفنهم المتنقلة بين الهند وموانئ الخلي فعرفوا بين الشعوب من البصرة إلى سواحل الهند، ونقلوا معالم الحضارة من الهند والبصرة إلى موانئ الخليج العربي والهند، فقد عرفت هذه الجهات منذ خمس آلاف سنة كان العمانيون رسل الحضارة بين الهند والعراق ويمتازون عن اليونان بسبقهم في معرفة طرق البحار ومواسم الملاحة.

وطبقاً لاكتشافات البعثة الدنماركية التي تنقب عن الآثار في الكويت والبحرين، سعياً لاكتشاف منطقة ديلمون المعروفة بازدهار حضارتها مشاركتها في نشر الحضارة بين الهند والعراق، يمكن للقارئ أن يلمس أهمية عمان الحضارية وحيويتها القديمة.

فكانت عمان إحدى هذه الولايات التي عهد بحكمها إلى أحد إخوانه بالإضافة إلى حضرموت. وانفصلت عمان عن الحكومة المركزية في عهد يشجب ولكنها عادت في عهد حمير بن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان الذى امتد حكمه من الجنوب الشرقي بالجزيرة إلى اليمن، وعين ولده مالك حاكماً على عمان، فاستقل بملكها بعد وفاة أبيه، ولكن أخاه وائل حاول استرجاعها فلم ينجح. (محمد أمين عبد الله 1970)

بالنظر إلى قرب فارس من عمان واتصالها بجيرانها، فقد كان لابد من أن تكون بين القطرين مشاهد تاريخية، وأقدم ما عرف من ذلك هو ما ظهر من طمع الفرس في عمان أيام سرجون الأكدي، فقد كانت تحكمها ملكة اسمها "شمساء" التي عملت بقول الشاعر (فإن كنت مأكولا فكن خير آكل)، واتصلت بسرجون الأكدي ملك العراق واتفقت على استثمار النحاس، وتمكنت بعد ذلك من صد الفرس بمساعدة أبناء العم في العراق.

وعندما انهدم سد مأرب، وفد إلى عمان "كالك بن فهم الأزدي"، وهو ينشد مبرراً تجاهه إلى عمان بدل قومه الذين اتجهوا إلى الحجاز: "تحن إلى أوطانها إبل مالك ومن دونها عرض الفلا والدكادك وفي كل ارض للفتى متقلب ولست بدار الذل طوعاً برامك ستغنيك عن أرض الحجاز مشارب رحاب النواحي واضحات المسالك". وحين وصوله إلى الشجر تخلف عنه قوم "مهرة بن حيدان" فاستقرت هناك وإليهم

ينتسب عرب المهرة المعروفون بالخليج والكويت خاصة، فقد جاؤوها في مستهل نهضتها وانتشروا فيها تجاراً وعمالاً وبلادهم اليوم بين حضرموت وعمان وسلطانهم "ابن عفرير" وعاصمته سيحوت، واستطردت في ذلك اجابة للمشككين في عروبيتهم، ولهم لغة خاصة هي لغتهم القديمة ومن ينصت إليها يستطيع أن يدرك بشيء من الانتباه أصلها العربي. وواصل مالك سيره حتى نزل برجاله ونسائه وأطفاله بمدينة "قلهات" والتي تبعد عن مسقط حوالى ثلاثين ميلاً من جهة الشرق. (جمال زكريا قاسم 1966، ص 43)

وصلت هذه البعثة إلى البحرين عام 1953م موفدةً من متحف ما قبل التاريخ في "أروسا" لتنقب عن الآثار، وقد انشغلت هذه البعثة بدراسة العصر الديلموني المعروف بتميزه بحضارة مستقلة عن الحضارة التي كانت قائمة في السند وبلاد ما بين النهرين. وقفت البعثة في اكتشافها إلى زمن يبدأ عام 3000 قبل الميلاد، وهو الزمن الذى تبدأ به أيضاً حضارة "ديلمون". أصبح المستر بيبي رئيس البعثة أكثر اعتقاداً بأن تلك الحضارة الكبيرة قد قامت في الخليج العربي، فصرح بذلك عند عودته إلى الدنمارك.

ومهما كانت الحال حول موقع منطقة "الديلمون" فإنه مما لا جدل فيه أن الخليج العربي مركز هذه المنطقة، وأن العمانيين قد ساهموا مساهمةً فعالةً في بناء حضارتها، وإذا ما استطاعت اكتشافات هذه البعثة أن تلقي الأضواء على مكانة عمان في نقل الحضارة، فنرجو أن تتاح لها الفرصة لزيارة عمان فلعلها تحصل على ما ينير لها الطريق في مهمتها.(جمال زكريا قاسم 1966، ص 44)

وعدا هذا فإن الفينيقيين لهم في عمان دلائل تنبئ عن علاقتهم بها. فمدنية صور المسماة أيضاً "نيركوس (Nearchus)" هي من أقدم المدن العمانية، وما يزال أهلها يمتهنون التجارة والبحر، ويمتلكون السفن التي ينتقلون بها بين البصرة وسواحل إفريقية الشرقية والهند، وقد أخذ الفينيقيون اسمهم من الاسم المعروف للخليج العربي في القدم وهو "البحر الاحمر" و"فين" بالفينيقية معناها "الأحمر". وفي البحرين أيضا دلائل على أن هؤلاء القوم من الخليج ومنها قريبا عالي وجبيل اللتين سموا بإسميهما مدينتين لهم في لبنان.

وعندما انبثق نور الإسلام شارك العمانيون في ازدهاره فزودوا جيوش الفتح بكثير من رجالهم في معركة القادسية خاصة، وظهر منهم القائد المهلب بن أبي صفرة، وكانت عمان مأوى لكل ما ازدهرت به البصرة من علم وأدب، فهاجر إليها الكثير من رجالها، وتلقى كثير من العمانيين العلم على يد علمائها، ومن اولئك الخليل بن أحمد وهو من أحفاد الفراهيد بن مالك بن فهم، وابن دريد وجابر بن زيد.(رأفت غنيمي الشيخ ص 93)

وللعمانيين دور كبير في نشر الحضارة بإفريقية الشرقية، فقد ألفوا الهجرة إليها منذ القديم، وأقرب مدلول على عراقة الهجرة العمانية إلى إفريقية هو التجاء سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد حاكم عمان إليها هرباً من بطش الحجاج بن يوسف الثقفي، فلولم يكن لها هنالك رهط لما خرجا إليها، ولذلك عندما ادعى الأوربيون اكتشاف أنهر إفريقية وأجزاءها النائية كان العمانيون هم رواد هذه الاكتشافات، وحسبنا أن نذكر الرحالة العربي أحمد بن ماجد صاحب المؤلفات عن طريق البحار ودليل رأس الخيمة "ساحل عمان" ودليل "فاسكودغاما" إلى الهند، وتوغل العمانيين في الكونغو ورواندا وبروندي وكينيا، وما تزال آثار دولتهم العربية في زنجبار وجالياتهم المنتشرة في هذه البلدان تقف دليلاً على أثر العمانيين الكبير في دفع إفريقية الشرقية إلى ركب الحضارة .(جمال زكريا قاسم 1966، ص 44)

3. عمان والإسلام

من المفيد أن نبدأ السير في تاريخ عمان من هذه النقطة المباركة، فنقود القارئ إلى تفصيلها مرحلة بعد مرحلة. كان من حظ عمان أن تشارك مصر وفلسطين في المشعل الذى أتاها بنور الدين الحنيف، فقد ارسل رسول الله عليه السلام إليها عمرو بن العاص بعد توقيع صلح الحديبية ومعه كتاب إلى جيفر وعبد إبني الجندى حاكمي عمان آنذاك قال فيه صلى الله عليه وسلم " من محمد رسول الله إلى جيفر وعبدو إبني الجلندى، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني ادعوكما بدعوة الإسلام، أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين' وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وأن ابيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تطأ ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما".(عبدالرحمن أحمد عثمان 1993، ص 45)

وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريقة التي أسلم بها أهل عمان فقال (رحم الله أهل عمان آمنوا بي ولم يروني).

وكان الإسلام قد دخل إلى عمان بصورة فردية وتذكر المصادر العمانية أن أول مسلم عماني هو "مازن بن غضوبة الطائي" الذى علم عن رسول الله بمدينة سمائل، فركب ناقته إلى المدينة المنورة وأسلم على يدي رسول الله ومكث عمرو بن العاص في عمان يقرئ أهلها القرآن، وينشر فيهم تعاليم الإسلام حتى ورده نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند ذلك قرر عمرو أن يعود إلى المدينة فصحبه وفد عرب عمان منهم "عبد بن الجلندى" و"جعفر بن قشم العتكي" و"أبو صفرة سارف بن ظالم الأزدي" (والد المهلب) الذي كان خطيب الوفد، فقال عند مقابلته الخليفة الأول: "يا خليفة رسول الله، يا معشر قريش هذه أمانة كانت

في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئنا منها إليك"، فأجابه أبوبكر يشكر العمانيين. وفي اليوم الثاني أكرم الخليفة وفد عمان بخطاب أشاد فيه باستجابتهم لدعوة رسول الله، وتسهيلهم مهمة عمرو وعاد الوفد العماني إلى بلاده بعد تفويض من أبي بكر أن يحكم جيفر وعبد نيابة عنه. (سيد نوفل،1969)

وقد شملت الردة القسم الشمالي من عمان ومنطقة الظاهرة، إذ ظهر ذو التاج بن مالك الأزدي، ولكن جيفرا وعبد قاوماه حتى امدهما الخليفة بجيش يقوده "عكرمه بن أبي جهل" ومعه "عجرمة بن هرثمة البارقي" و"حذيفة بن محصن الغلغاني"، فتمكنوا من القضاء على الردتين في مدينة دبا، وبقى حذيفة بن محصن مع جيفر لمساعدته في الحكم وخرج عبد بن الجلندي ومعه جيش من عمان إلى المدينة المنورة للاشتراك في الفتح الإسلامي، وحارب عبد مع المسلمين في معركة اليرموك، كما التحق عدد من العمانيين بجيش سعد بن أبي وقاص في معارك العراق وإيران واستقر كثير منهم بالبصرة إثر بنائها وأكثرهم من الأزد، وقد عين عمر منهم كعب بن سور قاضيا للبصرة.

وفي خلافة سيدنا عمر بن الخطاب أستدعى حذيفة وبقى جيفر يحكم عمان على أمر أن يراجع عثمان بن ابي العاص أمير البحرين، ولكن عثمان عين أخاه الحكم بعمان واتجه هذا إليها وشرع يبني اسطولا صد به القراصنة الهنود الذين كانوا يزعمون أن الخليج العربي ملكاً لهم، كما احتل جزيرة القسم إثر معركة مع الفرس.

خلال الفتنة الكبرى بين الخليفة الرابع ومعاوية بن أبي سفيان، كانت عمان تدار من قبل عباد بن عبد وبقيت كذلك حتى تم الأمر لمعاوية بالنظر ألي بعدها، وقد اعتصم بها بعض من نجوا من معركة النهروان بين علي والخوارج، ولابد أن يكون بينهم عدد من العمانيين الذين حاربوا مع علي ثم عارضوه في التحكيم وعادوا إلى بلادهم بمن معهم من حزبهم فوجدوا بها ملجأ أمينا، وبقيت عمان مستقلة عن الإدارة الإسلامية حتى عز على عبد الملك بن مروان أن تخضع له كل الإقليم وتشذ عمان عن ذلك فوكل أمرهم إلى الحجاج بن يوسف الثقفي الذي بدا بمطالبة أهلها بالزكاة فرفضوا، فأرسل لهم جيشا بقيادة القاسم بن شفوه المزني عام 77هـ، نزل القاسم في قرية الحصة وتقع على ساحل البحر قرب مسقط ومنها اتجه الى وادي حطاط فقتل في إحدى المعارك (إبراهيم الشريفي، 1968، ص 36).

كان عباد قد توفى في هذه الفترة، فحكم ولده سليمان، وحالما علم الحجاج بمقتل القاسم أرسل أخاه مجاعة في جيش بلغ عدده اربعين ألفا دخل عمان من البر والبحر، فقسم منه جاء عن طريق الإحساء

بعد أخترق قطر ودخل أبوظبي المشهورة الآن بالنفط، وعلى اطرافها اشتبك به سليمان في معركة اضطر بعدها جيش الحجاج البحري للتراجع قرب بركاء ودارت بين الفريقين معركة كبيرة كان يقودها مجاعة بنفسة ولم يستطع سعيد أن يصمد فيها فتراجع متحصنا بالجبل الأخضر.

عين الحجاج الخيار بن سبعة واليا على عمان، وعندما تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك ولى عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي ثم يزيد بن سيف بن هاني، وفي خلافة سليمان بن عبد الملك أعيد صالح بن عبد الرحمن، وعندما ولى على العراق يزيد بن المهلب الأزدي عين أخاه زياد عمان فرض عنه أهلها، وفي خلافة عمر بن عبد العزيز تولى أمر عمان عدي بن أرطاه الفزاري ثم تولاه عمر بن عبد الله الأنصاري، وعند وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز تأثر الأنصاري بمعاملة الناس العمانيين له وخشى عليهم ما أن يصيبهم سوء من بنى أمية، وخرج من البلاد مسلما أمرها إلى بن المهلب قائلا له : هذه البلاد بلاد قومك، فشانك وإياهم، فقام زياد بأمرها خير قيام، وبقي كذلك حتى انتقلت الخلافة إلى العباسيين، فعين أبو العباس جناح بن عباد الهنائي عاملا له على عمان، وهو باني المسجد المعروف باسمه في صحار، ثم عزله وولى ولده محمد، فرغب هذا أن يمارس العمانيون كامل سلطانهم وترك لهم الخيار في اختيار طريقة الحكم التي يرتضونها لبلادهم (محمد أمين عبدالله، 1969، ص73).

4. نشأة العلاقات بين عمان وشرق أفريقيا

العلاقة بين عمان وشرق أفريقيا علاقة بعيدة المدى غائصة في تلافيف الزمن حتى لا نكاد نجد بداياتها التي توثقت بأواصر معطيات تاريخية وازدهرت برباط الإسلام، فإذا النسيج متصل وإذا المصير مشترك (عبدالعزيز عبدالغني،1993).

وكان للتجار العرب علاقات تجارية مع الساحل الشرقي لإفريقيا موغلة في القدم وظلت صلاتهم وثيقة بعد الإسلام، وكان مسلكهم إليها الطريق البحري من الخليج إلى البحر الأحمر. وكان التجار وهم من العرب العمانيين دخلوا إلى سواحل إفريقيا الشرقية عبر خليج عمان وبحر العرب إلى ميناء عدن الكبير، ثم انحدر موكبهم على طول الساحل الإفريقي في بحر الزونج إلى قنبلو وزنجبار ومنها إلى بلاد سفالة – موزنبيق- وهي حد أسفارهم وأقصى بلاد الزنج والتي قادتها مراكب العمانيين والسيرافيين للبحث عن الرقيق في سفالة وكثرة معدن الذهب في الواق الواق – ماشوانالاند- التي هي أيضاً من أقاصي بلاد الزنج. ولقد سيطر العرب على سواحل إفريقيا الشرقية وأسسوا فيها مستعمرات ومستوطنات واستولوا على تجارتها وجعلوا منها

سوقاً عربياً ثم إسلامياً لا ينازعهم فيها منازع يوم كانوا أسياد المحيط الهندي (برهان الدين ولو، 1985م، ص 133).

دخل العمانيون إلى شرق إفريقيا من خلال هجرة الجلنيون من قبيلة الأزد العمانية في عام 695م إلى شرق إفريقيا وتبع ذلك هجرة الزيديين الشيعة إلى زنجبار عام 739م وتلي ذلك هجرة العرب النبهانيين بقيادة سليمان بن سلمان بن المظفر النبهاني إلى شرق إفريقيا في عام 1204م (عبد الرحمن أحمد عثمان، 1996م، ص 96).

بحلول نهاية العقد الأول من القرن السادس عشر تمكن البرتغاليون من بسط نفوذهم على ساحل شرق إفريقيا ما عدا مقديشو وجزر القمر بالإضافة لسيطرتهم على النقاط الاستراتيجية في سواحل الجزيرة العربية وإفريقيا وأصبحت ممباسا في عام 1528م من أهم قواعد نشاطهم في شرق إفريقيا لمدة نصف قرن من الزمان (عبدالماجد يوسف، 1999م، ص 312).

وعلى الرغم من أن الإمبراطورية البرتغالية في الشرق أصبحت تشكل قوة بحرية عظيمة بحكم الاستعداد الكبير من سواحل البرتغال إلى سواحل "كاليكون" على سواحل الهند الغربية، عدا دولتين عربيتين هما دولة "اليعاربة" في عمان ودولة الأشراف السعديين في المغرب أن تسهم كل منها في إضعافها، ولعل المؤرخ البريطاني "روبيرت لاندن –Landen" كان ثاقب النظر حين ربط بين انهيار التفوق البرتغالي في الخليج العربي وبين الضربة القاصمة التي لحقت بهم في وادي المخازن في أغسطس 1578م. وقد ظهر الانهيار واضحاً في أعقاب ضم البرتغال إلى التاج الإسباني (1580- 1640م) ومع ذلك كان وراء انهيار الإمبراطورية البرتغالية أسباب أخرى عديدة لعل أهمها العنف والخلق السيء الذي كان طابع معاملات البرتغاليين مع جيرانهم أهالي الشرق(جمال زكريا قاسم، 1974م، ص 173).

قام الإمام اليعربي "ناصر بن مرشد" بعد أن بويع بالأمة الإباضية في عمان سنة 1622م، بجهود موفقة للقضاء على السيطرة البرتغالية، كما تمكن خلفاؤه من بعده من القضاء على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي وشرق إفريقيا(جمال زكريا قاسم، 1974م، ص 173).

وقد استمرت العمليات العمانية ضد البرتغاليين حتى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر. وفي خلال هذه الفترة، أخذت عمان تتحول إلى أكبر قوة بحرية محلية في بحار الشرق، مما مكنهم من طرد البرتغاليين من قواعدهم في شرق إفريقيا حيث سقطت كل من "كلوة" و"زنجبار" و"ممبسة" وقلعة المسيح

في عام 1698م في عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي وكادت تسقط موزمبيق ذاتها، وبدأ اليعاربة يرسون أساس حكم عماني في شرق إفريقيا وهو الأساس الذي سيرتكز عليه فيما بعد البوسعيد بن سلطان (1806-1856م) لكي يبرز إلى الوجود أول دولة آسيوية أفريقية ظهرت في التاريخ الحديث (جمال زكريا قاسم، 1985م، ص 114).

يعتقد بعض الباحثين بأن الوحدة العمانية انتهت في عام 1718م بوفاة "سلان بن سف"، إذ أعقبت وفاته سنوات من الحروب الأهلية استمرت أكثر من ثمانية عشر عاماً، كما انقسم أهل عمان إلى كتلتين هما العناوية – عرب الشمال العدنانيون – والغافريون – عرب الجنوب اليمانية – بالإضافة للصراع المذهبي إذ كان بنو غافر في أغلبهم من الفئات النسبة ولذا كانت تشايعهم معظم القبائل التي كانت تسكن منطقة الظاهرة أم بنو هناة وانصارهم فكان أغلبهم من أصحاب المذهب الإباضي الذي عم الجزء الأكبر من أهل الباطنة في عمان (جمال زكريا قاسم، 1985),

كما اهتم اليعاربة باختيار بعض الأسر العمانية العريقة لتوليتهم شؤون الحكم في المدن والجزر في ساحل إفريقيا الشرقي فتم اختيار الأسرة النبهانية لحكم بانا في شمال كينيا وأسرة الحارث لحكم زنجبر وفي عام 1739م عين سيف بن سلطان لحكم ممبسة محمد بن عثمان المزروعي حيث ظهرت أسرة المزارعة في تاريخ الساحل الشرقي لكينيا (محاسن عبد القادر حاج الصافي، 1974، ص 46).

5. العلاقات في عهد أسرة البوسعيد

وبعد سقوط أسرة اليعاربة انتقل الحكم إلى أسرة البوسعيد بانتخاب أحمد بن سعيد للإمامة منذ عام 1741م وعلى الرغم من أن سيطرة اليعاربة كانت واهية على الممتلكات الإفريقية إلا أنها ظلت مخلصة في تبعيتها وولائها لدولة اليعاربة حتى سقطت الدولة وعندما خلفت دولة البوسعيديين "يعاربة" عمان عمد بعض زعماء وحكام تلك الممتلكات الإفريقية لنزع سلطة العمانيين عنهم وتزعمت ممباسة حركة التخلص من الحكم العماني بزعامة حاكمها محمد بن عثمان المزروعي الذي رفض الاعتراف بولائه للبوسعديين وعمل على الاستقلال ببلاده.(محاسن عبدالقادر حاج الصافي، 1991م، ص 68)

وإذا كان الإمام أحمد بن سعيد قد لقي التمرد والعصيان من جانب "ممباسة" و"بات" فإنه وجد ولاءً وإخلاصا من بعض المناطق الإفريقية كزنزبار – زنجبار- ومركي وكلوة، وقد تكللت جهود الإمام سعيد بن أحمد بدخول ممباسة عام 1785م وإجبار حكامها على إعلان خضوعه وولائه للإمام العماني مما دفع

بالممتلكات الإفريقية الأخرى إلى الاقتداء بممباسة فأكدت هي الأخرى ولاءها وتبعيتها لمسقط(بدر الدين عباس الحصوصي، 1984م، ص 114).

وفي خلال القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر استطاعت عمان أن تكون لها إمبراطورية كبيرة في الشرق الإفريقي (جمال زكريا قاسم، ص1966). وقد انتقلت العاصمة العمانية من مسقط إلى زنجبار في عام 1832م ثم انتقل عاملها السيد سعيد بن سلطان إلى هذه الجزيرة في عام 1840م وكان انتقال السيد سعيد إلى جزيرة زنجبار ونقل حكمه إلى الشرق الإفريقي موضع بحث المؤرخين حول الأسباب الكامنة وراء ذلك القرار أو الدوافع التي دفعت به ويقول الأستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم بأنه يمكن إيجاز الأسباب في أن السيد سعيد قد أحس بداية تفكك القسم الآسيوي من ممتلكاته فآثر الانتقال إلى تلك الجزيرة النائية الواقعة في الطرف الآخر من مملكته، ليجنب نفسه المتاعب التي كان يتعرض لها في مسقط سواءً كانت داخلية مثل ثوران القبائل أو خارجية مثل ضغط الإنجليز المتزايد في منطقة الخليج العربي(جمال زكريا قاسم، 1966، ص 176).

وترجع أهمية عهد السيد سعيد في زنجبار إلى تطبيق سياسة اقتصادية كان الهدف منها زيادة دخل السلطنة باستغلال الأراضي الإفريقية البكرة، مما أدى إلى زيادة موارد الممتلكات الإفريقية، ومما يؤكد ذلك أن السلطان سعيد آثر عند انتقاله إلى زنجبار أن يأخذ معه أثرياء وكبار التجار من العرب والهنود فقاموا بنشاط وافر في القسم الإفريقي.

وإلى جانب نشاط الهنود التجاري وفد مع السيد سعيد مئات من عرب عمان فازدهرت التجارة وانتعشت بمقدمهم إلى درجة لم تكن معهودة من قبل، وبينما كان نشاط الهنود يقتصر على الساحل، استطاع التجار العرب التوغل في المناطق الداخلية التي جهدوا في تقويتها ومن ثم أصبحت تلك المحطات أو المراكز التجارية تتسع في الداخل حتى اشتهر المثل السواحيلي القائل "إذا دقت الطبول في زنجبار رقص الناس طرباً على البحيرات" ما يوضح أن القوافل التجارية أصبحت تصل إلى البحيرات الاستوائية وأعالي الكنغو، وعلى هذا النهج قامت عدة مستوطنات عربية على خطوط القوافل التجارية. وما هو جدير بالذكر صعوبة تحديد ممتلكات السلطنة العربية في شرق إفريقيا لأن النشاط التجاري الذي طبع هذه السلطنة هو الذي حال دون قيام فواصل تحدد مدى اتساع الدولة.

وشجع السيد سعيد بن سلطان تجارة القوافل مع المناطق الداخلية في إفريقيا.(عبده بدوي، شخصيات أفريقية، 2017، ص50)، وبعد استقرار العمانيون في شرق إفريقيا بدأت حركتهم في التوغل إلى وسط إفريقيا(يواقيم رزق مرقص، 1987، ص 76).

وقد نشطت وانتظمت الحركة التجارية إلى داخل القارة الإفريقية، فكثرت وتعددت القوافل وقوامها تجار وعسكر وجمل وخبراء بالدرب ومسالكه وامتزج العمانيون والسواحليون والإفريقيون في هذه الطرق إلى داخل القارة (ابن عمر عمر عبيد الله، ،2021، ص 13).

وقد أشارت بعض الدراسات إلى ذلك بقولها: "ولا شك في أن هنالك من العرب من غير العمانيين ومن غير العرب من ساهم في نشر الإسلام والثقافة السواحيلية في فترات متباعدة وعصور مختلفة. وترتب على الاتصالات العمانية بوسط إفريقيا دخول الإسلام إلى يوغندا في عام 1844م وذلك بعد أربعة أعوام من انتقال السيد سعيد بن سلطان بنفسه إلى عاصمته الإفريقية زنجبار (عبده كاسوزي، 1995م، ص57).

وقد وفد من زنجبار في العهد العماني البوسيعدي التاجر أحمد بن إبراهيم العامري، ويعتبر وصول هذا التاجر من زنجبار إلى بلاط "الكبا كاسنا SUNA" في يوغندا معلماً بارزاً ونقطة تحول في تاريخ مملكة يوغندا، إذ يعتبر هذا الحدث بداية دخول الإسلام في أوغندا. وتشير المصادر بأن الشيخ أحمد بن إبراهيم هو أول التجار المسلمين الذين وصلوا إلى تلك المملكة، وقد وضح ذلك من خلال مذكرات أمين باشا والتي ذكر فيها بأن الشيخ أحمد إبراهيم قد أخبره بأن أول زيارة له ليوغندا قد تمت في عام 1860-1844م..

كما ساهم التجار الزنجباريين والسواحيليين في دعم هذه الجهود، وخاصة في عهد البكاكا موتيسا الأول (1273-1302هـ،1856- 1884م)، وقد تردد في المصادر الأوربية أنه من العوامل العامة التي دفعت "موتسا" لإبداء هذا الحماس الكبير للإسلام هو علاقات مملكة يوغندا مع سلطنة زنجبار العمانية خاصة في المجال التجاري، والذي أصبح يشكل مورداً هاماً ورئيسياً في النشاط الاقتصادي والذي تمتعت به مملكة يوغندا ما اكتسبها دوراً سياسياً رائداً ونفوذاً قوياً في منطقة شرق وأواسط إفريقيا، لكن يمكن القول أن هنالك عامل أساسي وهو قوة العقيدة الإسلامية، فقد وجدت قبائل أوغندا ضالتها في الإسلام وذلك وفقاً لنظرية علماء مقارنة الأديان التي تقرر بأن الدين الأعلى ينسكب في قلوب من لا يدين لهم (إبراهيم الزمي صغيرون، 1982)

6. نتائج الدراسة

- ✓ يمثل إقليم شرق إفريقيا موقعاً جغرافياً متميزاً سواءً على الصعيد الإقليمي أو الدولي كمعبر مائي وكمدخل للقارة الإفريقية، حيث ارتبطت عمان وشرقي إفريقيا منذ أقدم العصور بصلات سياسية واقتصادية وثقافية.
- ✓ توصلت الدراسة إلى أن الوجود العربي في إفريقيا كان مبكراً وهو سبق الوجود الأوروبي في إفريقيا.
- ✓ أدخلت الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا الإسلام واللغة العربية إلى القارة الإفريقية.
- ✓ تُعد عمان من أعرق البلدان في العالم وهي ركن من أركان المهد العربي الأول، فلذلك بداية هجرة العمانيين كانت في أوائل القرن التاسع الميلادي حيث هاجر الجليون من قبيلة الأزد العمانية.
- ✓ أدت الهجرات العمانية إلى قيام دول وممالك إسلامية منها الدولة النبهانية ودولة اليعاربة ودولة البوسعيد.
- ✓ اهتمام العرب بالجوانب الاقتصادية أدى إلى خلق الاستقرار في الأماكن التي حكموها وأنتج تأثيراً فعالاً في انتشار الإسلام في إفريقيا الشرقية على وجه الخصوص.
- ✓ أسهم العلماء العمانيين بدور فاعل في دخول الإسلام واللغة العربية في شرق إفريقيا.
- ✓ ساهمت عمان مساهمة فعالة في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية ليس في جنوب شرق الجزيرة العربية بل في الهند والصين وشرق إفريقيا وحوض نهر الكنغو.
- ✓ تطورت الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لشرقي إفريقيا في عهد البوسعيديين.
- ✓ إن التأثيرات الحضارية التي خلفها العمانيون لا تزال قائمة حتى اليوم في منطقة شرقي إفريقيا ومن أبرزها انتشار الإسلام في المنطقة.

7. الخاتمة

تناول البحث العلاقات بين عمان وشرق إفريقيا، وهي علاقات ممتدة في عمق التاريخِ، ساهم خلالها العمانيون في نشر الإسلام والقافة العربية، كما ساهموا في ازدهار التجارة، وأقاموا عدة مستوطنات عربية على خطوط القوافل التجارية. وقد ركزت الدراسة على دور الإسلام في توطيد العلاقات بين عمان وشرق إفريقيا وذلك بفضل تعليمه السمحاء.

8. المصادر والمراجع

- ابن عمر عمر عبيدالله (2021)، الوجود الإسلامي في حوض نهر الكنغو، المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عمان، الأردن.
- إبراهيم الزين صغيرون(1982)، لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أوغندا، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد السادس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
- إبراهيم الشريفي، (1968) أضواء على الخليج العربي ومسقط وعمان منذ ظهور الإسلام حتى اكتشاف الذهب الأسود
- السيد هلال بن بدر بن سيف البوسعيدي، تاريخ عمان.
- بدرالدين عباس الخصوصي (1984)، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج (1)، ط(2) ذات السلاسل، الكويت .
- برهان الدين ولو(1985)، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، ط1، دار الفارابي بيروت.
- جمال زكريا قاسم(1985)، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول 1507-1840م، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
- جمال زكريا قاسم(1974) ، الخليج العربي، و عبدالكريم رافق، العرب والعمانيون 1516- 1916م، ط(1) دمشق .
- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي(1966)، دراسة لتاريخ الإمارات العربية 1840- 1914م، ط (1)،القاهرة .
- جمال زكريا قاسم، دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا (1741- 1861م)
- حمد أمين عبدالله ،(1970م) عمان منذ 1856 مسيرا ومصيراً.
- حمد أمين عبدالله ، أبوظبي وساحل عمان.
- رأفت غنيمي الشيخ(1992)، التاريخ المعاصر علامية العربية الإسلامية، ط (1) دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .
- سيد نوفل، الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العبي، بيروت ، 1969م.
- عبده بدوي (1994)، شخصيات إفريقية، دار الوفاء ، مصر.
- عبده كاسوزي، (1999)، انتشار الإسلام في يوغندا، ترجمة عبداللطيف سعيد، ط(1) الأسيسكو وجامعة إفريقيا العالمية.
- عبدالماجد يوسف أبوسبيب(1993)، العلاقات العمانية الإفريقية والتنافس الاستعماري في عهد السلطان سعيد بن سلطان 1806-1856م، دراسات إفريقية.
- عبدالمجيد حسيب القيسي، السيد سعيد بن سلطان (1791- 1856م) سيرته ودوره في تاريخ عمان وزنجبار.

- عبدالعزيز عبدالغني (1993) " الشيخان" رابع الزبير وعثمان دقنة في صحيفة رسالة أفريقيا، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم.
- عبدالرحمن أحمد عثمان (1996)، الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم.
- عبدالرحمن أحمد عثمان(1993)، المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية، جامعة أفريقيا الخرطوم.
- محاسن عبدالقادر حاج الصافي(1991)، المؤتمرات العربية الإسلامية على الساحل الشرقي لكينيا في القرن التاسع عشر، " مجلة الدراسات العربية والإفريقية" العدد 2، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم .
- محاسن عبدالقادر حاج الصافي(1993) ، الشيخ الأمين بن علي بن نافع المزروعي والإسلام في شرق إفريقيا، دراسات أفريقية، يوليو.
- يواقيم رزق مرقص(1987)، العرب والكنغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة .

تبييض الأموال وتأثيره على التنمية الاقتصادية في القارة الأمريكية (المكسيك أنموذجاً)

Money laundering and its impact on economic development in the American continent (Mexico as a model)

راغب صافي رمضان*

تخصص علاقات دولية وديبلوماسية

الجامعة الإسلامية في لبنان، لبنان،

raghebramadan21@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/08/29 تاريخ النشر: 30/ 10/2024

****

ملخص الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى تبيان العلاقة بين مفهومين مُهمين ولهُما حيز كبير في النقاش العالمي، وهُما مفهومي تبييض الأموال والتنمية الاقتصادية، وذلك من خلال دراسة تأثير ظاهرة تبييض الأموال على عملية التنمية الاقتصادية المُستدامة، حيث تمّ اعتماد نموذج للدراسة يقوم على تبيان تأثير عمليات وأنشطة تبييض الأموال على المُحددات الثلاثة الأساسية للتنمية الاقتصادية وهُي المُحدد الاقتصادي، المُحدد الاجتماعي، والمُحدد السياسي.

وقد تمّ اختيار دولة المكسيك من قارة أمريكا اللاتينية لتكون عينة القسم العملي لهذا البحث، خاصة وأنّها من الدول التي تشهد انتشاراً كبيراً لظاهرة تبييض الأموال على أراضيها، ولا سيما ما يتعلق بنشاطات زراعة وتجارة المُخدرات، ولذلك سنحاول في هذا البحث تبيان هذا الأثر، وذلك بعد استعراض الواقع التفصيلي لهذه الدولة في المُحددات الثلاثة آنفة الذكر (اقتصادي – سياسي – اجتماعي).

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية

تبييض الأموال؛ التنمية الاقتصادية المُستدامة؛ نموذج الدراسة؛ مُحددات؛ حالة عملية؛ تبيان الأثر.

Abstract

This study aimed to demonstrate the relationship between two important concepts that have a large role in the global debate, namely the concepts of money laundering and economic development, by studying the impact of the phenomenon of money laundering on the process of sustainable economic development, where a model was adopted for the study based on demonstrating the impact of money laundering operations and activities. On the three basic determinants of economic development, which are the economic determinant, the social determinant, and the political determinant.

The country of Mexico was chosen from the Latin American continent to be the sample for the practical section of this research, especially since it is one of the countries that is witnessing a large spread of the phenomenon of money laundering on its territory, especially with regard to drug cultivation and trade activities. Therefore, in this research we will try to demonstrate this impact, after... A detailed review of the reality of this country in terms of the three aforementioned determinants (economic - political - social).

Key Words

Money laundering; sustainable economic development; study model; determinants; practical case; impact demonstration.

1.مقدمة

ترفع العديد من الدول والحكومات شعار تحقيق التنمية الاقتصادية المُستدامة[1] لشعوبها، وهو هدف يحتاج إلى الكثير من الجهود لتحقيقه، خاصة بعد المشاكل العديدة التي أفرزتها النماذج التنموية

[1]عرّف تقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في عام 1990 التنمية الاقتصادية على أنها " عملية توسيع اختيارات الشعوب في الوقت الراهن وتأمينها، مع احترام مصادر الشعوب المُستقبلية".

الاقتصادية السابقة، ولا سيما تهديدها للمصادر الأساسية للحياة بسبب الاستنزاف الكبير لها (الهواء، التربة، المياه، الموارد الطبيعية...)، وقد وُضعت العديد من النظريات والطروحات التي تتناول هذا الموضوع ومن زواياه المُختلفة. حيث أنّ تحقيق التنمية الاقتصادية دونه العديد من المُتطلبات التي يُمكن تلخيصها بثلاثة مُحددات رئيسية وهي: المُحدد الاقتصادي، المُحدد الاجتماعي، المُحدد السياسي.

وقد بينت التجربة العملية أنّ هُناك العديد من المعوقات التي تعترض تحقيق التنمية الاقتصادية المُستدامة بمُحدداتها الثلاثة، وقد برزت عمليات تبييض أو غسيل الأموال[1] ضُمن إطار التنمية بشكل جدلي، بين من اعتبر بأنّ هذه العمليات تُشكل إضافة إيجابية في اقتصادات الدول وتالياً في تحقيقها للتنمية الاقتصادية، نظراً للعوائد المالية الضخمة التي تؤمنها حيث تحدث هذه النشاطات المُخالفة للقانون، وبالتالي زيادة الكُتلة النقدية لهذه الدول. وبين من اعتبرها واحدة من العقبات الأساسية لعملية التنمية، وذلك لكونها تؤدي إلى الكثير من النتائج السلبية والخطيرة على مستويات مُتعددة (اقتصادية، سياسية، ثقافية، أمنية، اجتماعية...)، بحيث لا مجال لتحقيق التنمية الاقتصادية من دون الوقوف بوجه هذه العمليات الخارجة عن القانون، والتي تُشكل مُشكلة واستنزافاً اقتصادياً للاقتصاد العالمي. ومن هُنا تأتي هذه الدراسة لتبيان هذه العلاقة بين المفهومين ضمن الدولة التي تمّ انتخابها كحالة عملية فيها وهي المكسيك، في مُحاولة للإحاطة الشاملة لها ضُمن الحيز العلمي المُحدد الذي تستهدفه.

وفيما يلي من فقرات سيتم استعراض أهم الأُسس المُرتبطة بالمنهجية العلمية للدراسة بشكل عام والتي تُعرف **بخُطّة الدراسة**[2]، والتي تم الاستناد عليها لإتمامها وإنجازها بأكبر قدر مُمكن من الدقة والأمانّة العلمية، مع مراعاة الشروط والمعايير المُرتبطة بمنهجية البحث العلمي القويم والسليم.

[1] **غسيل الأموال Money laundry:** العمليات التي يحاول من خلالها مرتكبو الجرائم المختلفة إخفاء المصدر الحقيقي لهذه الأموال وفصلها عن الأعمال غير القانونية، وطمس هويتها بحيث يصعب في هذه الحالة التعرف على إذا ما كانت هذه الأموال في حقيقتها ناتجة عن أعمال مشروعة أم لا.

[2] **خطة الدراسة:** وفيها يصف الباحث الإجراءات التي قام بها لناحية المنهج المُستخدم مع أسباب اختيار هذا المنهج، مصادر جمع المعلومات، متغيرات الدراسة، مُجتمع وعينات الدراسة، الأساليب الإحصائية المُتبعة، وحدود الدراسة...
وللمزيد من المعلومات حول خطة التقرير يُمكن مُراجعة "الدليل الموجز في أساس ومواصفات كتابة تقرير البحث"، للدكتور محمد فرحات والذي ورد كواحد من مصادر البحث.

- **سبب اختياروأهمية موضوع الدراسة**

في الحقيقة تتعدد الأسباب التي دفعت إلى اختيار هذا الموضوع للدراسة حيث أنّ بعضها شخصي وبعضها علمي أكاديمي، على أنّ الأساس كان الرغبة الذاتية والقناعة بأهمية هذا الموضوع نظراً لانعكاساته الكبيرة على الدول كما أشرنا، والحيز الكبير الذي بات يأخذه في النقاش العالمي، فكان الهدف إنجاز الدراسة دون أن تكون مستندة على الآراء الشخصية والأحكام المُسبقة، بل في استخلاص النتائج النهائية من خلال الدراسة العلمية المبنية على أساس واضح ومعطيات أكيدة لا لُبس فيها، وعلى منهج علمي قويم.

- **إشكالية الدراسة**

إنّ "أيّ دراسة تستهدف موضوع معين، لا بد لها أن تحتوي على إشكالية رئيسية تدور حولها هذه الدراسة، بحيث يسعى الباحث من خلال دراسته إلى الإجابة عنها، ومن هنا تأتي أهمية اختيار الإشكالية التي تحمل في طياتها **الجدلية** الرئيسية والطرح الأساسي الذي يحاول الباحث إبرازه" (فرحات، 2003، ص:9)، والإشكالية الرئيسية في هذه الدراسة هي:

هل هُناك من تأثيرلظاهرة تبييض الأموال على التنمية الاقتصادية في دولة المكسيك؟

وقد استخرجنا من هذه الإشكالية الرئيسية العديد من الأسئلة الفرعية التي تشكل رافداً للإشكالية الرئيسية، وهي:

- ✓ هل هُناك من أثر اقتصادي لظاهرة تبييض الأموال على التنمية الاقتصادية في المكسيك؟
- ✓ هل هُناك من أثر اجتماعي لظاهرة تبييض الأموال على التنمية الاقتصادية في المكسيك؟
- ✓ هل هُناك من أثر سياسي لظاهرة تبييض الأموال على التنمية الاقتصادية في المكسيك؟

- **فرضية الدراسة**

إنّ أي دراسة علمية يجب أن تنطلق من فرضية مُسبقة والتي هي "تخمين أو استنتاج يصوغه ويتبناه الباحث في بداية الدراسة بشكل مؤقت على أن يتم تأكيده، نفيه، أو تعديله في نهاية الدراسة" (فرحات، 2003، ص:56). وانطلاقاً من هذا التعريف ومن الإشكالية الرئيسية للدراسة ومن الأسئلة الفرعية المنبثقة عنها يمكن اعتبار الفرضية الرئيسية لدراستنا هي التالية:

يوجد تأثيرات لظاهرة تبييض الأموال على عملية التنمية الاقتصادية بمُحدداتها الثلاث في المكسيك.

- **منهج الدراسة**

لا يُمكن لأي دراسة علمية أن تُحقق الهدف المرجو منها، إلاّ من خلال اعتماد المنهج أو المناهج العلمية المُناسبة التي تتناسب مع طبيعة موضوع الدراسة ومتغيراتها واشكاليتها ونطاقها البحثي وذلك للوصول إلى الأهداف النهائية المرجوّة منها، ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة بحسب ما تقتضيه الضرورة البحثية فقد تمّ استخدام منهجيين علميين وفق التالي:

- ✓ المنهج **الوصفي**، والذي "يعتمد على دراسة الواقع او الظاهرة كما هي في الواقع، حيث يهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبّر عنها تعبيراً كيفياً عبر توضيح خصائصها، وتعبيراً كميّاً أو رقميّاً بما يوضح حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى" (عبد الحق، 2004، ص:69).
- ✓ المنهج **التحليلي**، وهو المنهج الذي يعتمد على "تفكيك العناصر الأساسية للموضوعات محل البحث، ومن ثَمَّ دراستها بأسلوب متعمق، وفي ضوء ذلك يتم استنباط أحكام أو قواعد، يُمكن عن طريقها إجراء تعميمات تساعد في حل اشكاليات البحث "(مركز مبتعث، 2023).

- **مصادرجمع المعلومات**

استعان الباحث في جمعه للمعلومات بعدد كبير من المراجع والمصادر التي ساهمت في تزويده بكم مناسب من المعلومات لإتمام الدراسة، وتجدر الإشارة إلى أنّ المعيار في اختيار المصادر كان التأكد والثقة من صحة المعلومات المُستقاة منها وموثوقيتها.

- **تقسيم الدراسة**

في إطار تنظيم الدراسة لناحية الأقسام، وتناسباً مع الإشكالية التي تسعى إلى مُعالجتها، فقد تمّ تقسيم الدراسة إلى قسمين رئيسيين، بحيث يكون القسم الأول هو القسم النظري الذي نستعرض فيه تأثير عمليات تبييض الأموال في المُحددات الثلاث للتنمية الاقتصادية بشكل عام، والقُسم الثاني وهو القسم العملي الذي سنستعرض فيه تأثير ظاهرة تبييض الأموال على كُل مُحدد من المُحددات الثلاث في المكسيك، وذلك وفق التالي:

القسم الأول: تأثير نشاطات تبييض الأموال على مُحددات التنمية الاقتصادية الثلاث:

أولاً: الآثار الاقتصادية والنقدية لتبييض الأموال.

ثانياً: الآثار الاجتماعية لتبييض الأموال.

ثالثاً: الآثار السياسية والتشريعية لتبييض الأموال.

القسم الثاني: تأثير تبييض الأموال على المُحددات الثلاث في المكسيك:

أولاً: التأثير الاقتصادي لتبييض الأموال في المكسيك.

ثانياً: التأثير الاجتماعي لتبييض الأموال في المكسيك.

ثالثا: التأثير السياسي لتبييض الأموال في المكسيك.

2. تأثير نشاطات تبييض الأموال على مُحددات التنمية الاقتصادية الثلاث

1.2. الآثار الاقتصادية والنقدية لتبييض الأموال

إن الحديث عن الآثار السلبية لتبييض الأموال هو حديث طويل لا سيما في شقه الاقتصادي، ذلك أن هذه الظاهرة تحمل في طيّاتها الكثير من السلبيات، وإنّ الحديث عن أية إيجابيات في هذا الجانب ما هي إلا إيجابيات ظاهرية لفئة محدودة من الأشخاص أو الكيانات أو المناطق الجغرافية في مقابل الكثير من السلبيات التي تطال معظم البُنية الاقتصادية الداخلية والخارجية للدول وصولاً إلى التأثير على الاقتصاد العالمي برُمّته (الشافي، 2001، ص: 192-193).

ويُمكن أن نبدأ حديثنا عن الأثار الاقتصادية السلبية لتبييض الأموال **بانخفاض مُعدل الإدخار**، وذلك بسبب هروب رأس المال الداخلي إلى الخارج لا سيما عند الحديث عن التحويلات المصرفية بين البنوك المحلية والبنوك الخارجية. وفي مثل هذه الحالة تعجز المدخرات الداخلية عن الوفاء باحتياجات الاستثمار ممّا يؤدي إلى اتساع نطاق الفجوة التمويلية، حيث يتم إيداع المدخرات في البنوك الخارجية دون التوجه إلى قنوات الاستثمار داخل البلاد، وهو ما ينعكس بشكل سلبي ومباشر على الاقتصاد الذي سيفتقر لرؤوس

الأموال المطلوبة من أجل إتمام المشاريع الاقتصادية التي تؤدي إلى تطوير هذا الاقتصاد وتحسينه ورفع ناتجه.

كذلك يؤدي تسرب الأموال المغسولة من الاقتصاد القومي للدول إلى حدوث **تشوه في نمط الإنفاق والاستهلاك** مما ينعكس اختلافاً في توزيع الدخل، إذ انّ الأفراد المستفيدين من تسرب الأموال المغسولة لا يدفعون عنها ضرائب كون مُعظم النشاطات المُنتجة لهذه الأموال تحدث ضمن دائرة الاقتصاد الخفي وليس ضُمن الاقتصاد الشرعي، ممّا يمنع ويُصعب على السُلطات الضريبية في هذه الدول إمكانية رصد ومُلاحقة هذه الأموال.

كذلك تؤثر عملية تبييض الأموال بشكل سلبي على **قيمة العملة الوطنية** وعلى **الاحتياطات الداخلية من العُملات الصعبة**، وذلك نظراً للارتباط الوثيق بين نشاطات تبييض الأموال وبين عمليات تهريب الأموال إلى الخارج[1] مع ما يعنيه ذلك من زيادة الطلب على العملات الأجنبية، حيث يتم تحويل الأموال بالعملات الصعبة ولا سيما بالدولار الأمريكي إلى الدول الخارجية بهدف تبييضها عبر الإيداع في البنوك أو عبر الاستثمار في الخارج (خاصّة في الدول التي لا تتشدد كثيراً في تحديد مصادر الأموال الواردة إليها والتي يُطلق عليها إسم الملاذات الضريبية الآمنة). ولا شك بأنّ النتيجة الحتمية لذلك هي انخفاض قيمة العملة الوطنية مقابل العملات الأجنبية نظراً لما يشكله الاحتياطي الداخلي من النقد الأجنبي ضمانة وقوّة لقيمة العملة الوطنية واستقرارها.

ويؤكد الخبراء الاقتصاديون أنّ ظاهرة تبييض الأموال لها أثار كبيرة وخطيرة على الدخل القومي وعلى **عدّالة توزيع هذا الدخل**، حيث تُعتبر الأموال الهاربة إلى المصارف الأجنبية في الخارج استقطاعات من الدخل القومي للدولة التي تحققت فيها هذه الأموال، سيما أنّ الجزء الاكبر من الأموال المغسولة عادة ما تكون هاربة من الضرائب المُستحقة عليها مما ينتج عن ذلك زيادة المداخيل غير المشروعة، ومن ثم حصول بعض الأفراد على مداخيل لا يستحقونها، وهو ما يؤدي إلى اختلاف توزيع الدخل القومي، بالإضافة إلى سوء توزيع العبء الضريبي (الشافي، 2001، ص:194-195).

كما تؤدي عمليات تبييض الأموال إلى **إفساد مناخ الاستثمار** في الدول، سيما وأنّ مبيضي الأموال لا يهتمون بالجدوى الاقتصادية لأي استثمار يُقدمون عليه، على اعتبار أنّ اهتمامهم ينصب على إيجاد

[1] تُشكل عمليات تهريب الأموال إلى الخارج بهدف تبييضها وإعادّة إدخالها إلى دول المصدر كأموال شرعية مُتأتية من نشاطات غير مُخالفة للقانون واحدة من أساليب تبييض الأموال وهو ما تمّ ذكره في أكثر من موضع من الدراسة.

الغطاء الأمثل لنشاطاتهم عبر عمليات التوظيف والاستثمار الوهمية التي تسمح بشرعنة هذه الأموال، الأمر الذي قد يفسد مناخ الاستثمار العام، ذلك أنّ إدخال المال غير المشروع في الدورة المالية يؤدي إلى إقامة المشروعات الصورية غير ذات جدوى للاقتصاد بالإضافة إلى ضخ كميات كبيرة من النقد في الدورة النقدية والمالية بصورة عشوائية وغير مدروسة.

كما يجب أن لا ننسى أن تبييض الأموال يؤدي إلى حجب مبالغ طائلة من الأموال وذهابها إلى غير الوجهة الاقتصادية الأمثل والمُتمثلة بإقامة المشاريع الاستثمارية الفعّالة والتي تساهم بشكل كبير في تفعيل الدورة الاقتصادية وتنشيط الاقتصاد، لا سيما في ظل الحاجة الماسة للسيولة في الدول التي تعاني من أزمة على هذا الصعيد تحول دون تحقيق الكثير من خُطط التنمية المنشودة.

هذا بالإضافة إلى أنّ عملية تبييض الأموال لا سيما في بعض الدول حيث تنتشر هذه الظاهرة بشكل كبير تُساهم في **تشويه صورة الاقتصاد المحلي** وإلى غياب الثقة به، مما يؤدي إلى ضعف في اجتذاب رؤوس الأموال الخارجية لا سيما الاستثمارية منها، حيث أنّه من غير المنطقي أن يسعى أحد إلى الاستثمار في بلد يسوده الفساد واللصوصية وفيه الكثير من المخاطرة وانعدام الأمن الاقتصادي (الشافي، 2001، ص:195-196).

كما تؤثر عملية تبييض الأموال على السياسة الاقتصادية العامة للدول، فهي تشكل عدواناً عليها في جانبها الخاص بالأمن الاقتصادي الذي تسعى إلى تحقيقه، لاسيما في مجال محاربة السلوكيات المرتبطة بالجرائم المالية وفي طليعتها جرائم الفساد المالي، فالأمن الاقتصادي لا يتحقق بتوفير سُبل العمل والإنتاج وسد الحاجات الضرورية فقط، بل بتحقيق اقتصاد متطور ونظيف يراعي الشروط العامة للتنمية (الشافي، 2001، ص:196-197).

ويجب أن لا ننسى أنّ عدم تسجيل **نشاطات الظل**[1] يجعل من رصد وتحليل واستثمار المعلومات والبيانات الاقتصادية خاطئة وغير دقيقة، مما يؤدي إلى نتائج سلبية على صعيد السياسات الاقتصادية الغير متوائمة مع الواقع الاقتصادي الحقيقي، كونها ستستند على مُعطيات مغلوطة، كما ستؤثر بشكل

[1] **نشاطات الظل Shadow activities**: هي النشاطات الاقتصادية التي لا يتم تظهيرها في الدورة الاقتصادية العلنية للدول، وذلك أنّها غالباً ما تتسم بعدم المشروعية.

كبير على قُدرة الدولة في القيام بالدراسات الاقتصادية الضرورية لأي عملية تطوير تنموي في الشق الاقتصادي.

2.2. الآثار الاجتماعية لتبييض الأموال

تُظهر الدراسات أن عمليات تبييض الأموال ذات آثار اجتماعية سلبية متعددة الأوجه، ومنها ارتباطها **بالجرائم الاجتماعية** وهو ما أكّده العديد من عُلماء الاجتماع في العالم ومنهم عالم الاجتماع الأمريكي روبرت كينغ ميرتون[1] الذي يرى "أنه حيث تكون البنية الاقتصادية ضعيفة تكون معدلات الجريمة مرتفعة"، كما يرى العالم كلارك ليونارد هل[2] "أنّ جرائم الفقراء وجرائم الناس المسلوبة القوة غالباً ما تكون بسبب السخط والكره تجاه الأغنياء"، كما تناول العديد من الفلاسفة القُدامى هذا الأمر حيث قال سقراط[3] "أنّ الفقر هو أبو الثورة وأبو الجريمة" (داوود، 2014).

وقد تؤدي عمليات تبييض الأموال إلى ارتفاع مُعدلات الجريمة لأنها تمثل نوعاً من الآمان المعيشي للحاصلين على مداخيل غير مشروعة سيما لمن يفلتون من العقاب خاصة في الدول التي تضعف فيها الأجهزة الرقابية المعنية عن مكافحة الجريمة، بحيث يشكلون مع مرور الوقت وتعاظم قُدراتهم ونفوذهم طبقة اجتماعية ميسورة، مما قد يشجع الكثيرين من أفراد المُجتمع بالأخص من ينتمون إلى الطبقات الفقيرة في الانزلاق نحو هاوية الجريمة ما سيؤدي بالضرورة إلى زيادة معدلات الجريمة المنظمة وغير المنظمة محلياً وعالمياً.

وتشير الدراسات إلى أنّ خلق فرص العمل يحتاج إلى تفعيل الاستثمارات الناتجة عن المدخرات المحلية والخارجية، ولكننا نرى عند بعض شعوب العالم المعاناة من الفقر والجوع لعدم وجود فرص العمل والإمكانات التي تساعد على النهوض وأقله سد الجوع. وبسبب تلك الظروف التي تعيشها هذه الدول نشأ ما يمكن تعريفه "بالمافيات" أو "العصابات"، حيث شكل هذا الواقع البيئة الخصبة لظهور هذه الجماعات الإجرامية ونموها بشكل متزايد مع ما تحمل معها من ظواهر اجتماعية مُصاحبة حيث نلاحظ أنّ المشاكل

---

[1] **روبرت كينغ ميرتون Robert King Merton:** عالم إجتماع أمريكي ولد عام 1910 وتوفي عام 2003، له الكثير من المؤلفات والدراسات في علم الإجتماع.

[2] **كلارك ليونارد هل Clark Leonard Hull:** عالم نفس أمريكي ولد عام 1884 وتوفي عام 1952، له العديد من الدراسات والأبحاث التي تدرس السلوك البشري.

[3] **سقراط:** فيلسوف وحكيم يوناني عاش في عصر ما قبل الميلاد، يُعتبر من مؤسسي الفلسفة الغربية، وله الكثير من المؤلفات والطروحات الفلسفية والإجتماعية.

الاجتماعية مثل العنف الأسري ومعدلات الجريمة، الدعارة، الميسر، الرق، السرقات... وغيرها من المشاكل تكون نسبها أعلى في المجتمعات الفقيرة منها في المجتمعات المتوسطة والغنية، "فأينما يكون الفقر ترتفع معدلات الجريمة" (عبد الشافي، 2016)، لا سيما وأنّ هذه الجماعات الإجرامية قد أقامت في هذه المجتمعات عالمها الخاص، الذي يُصبح المعيار الاجتماعي لقيمة الفرد داخله هو ملائته المالية بصرف النظر عن مصدر هذا المال وأوجه نشاطه وبالتالي تشجيع السلوك المنحرف وقلب للقيم الاجتماعية السامية التي تمقت الإجرام والمجرمين.

والحديث عن الآثار الاجتماعية لهذه الظاهرة يقودنا إلى الحديث عن تسرب الأموال غير المشروعة إلى المجتمع، الأمر الذي يؤدي إلى **قلب ميزان البناء الاجتماعي** في البلاد وصعود المجرمين القائمين على عملية تبييض الأموال إلى هرم المجتمع في الوقت الذي يتراجع فيه مركز المكافحين إلى اسفل هذا الهرم، مما يؤدي إلى شعور الشباب بالإحباط واهتزاز القيم الاجتماعية المستقرة في المجتمع وتهديد السلام الاجتماعي، كما قد تؤدي عمليات تبييض الأموال إلى **تشويه المناخ الديمقراطي** في المجتمع، حيث أنّ أصحاب المداخيل غير المشروعة يُصبحون نتيجة قدراتهم المالية الضخمة من ذوي النفوذ الكبير وقد يصلون إلى مراكز مرموقة في الدول فتعلو نجومهم إعلامياً، ويشكلون مع الوقت طبقة اجتماعية حصينة لا يُمكن المس بها.

ومن الأوجه السلبية لهذه الظاهرة على المستوى الاجتماعي **الانقسام الطبقي** الحاد الذي قد تؤدي إليه، لا سيما وأنّها ستساهم في إيجاد طبقة من الأغنياء الذين يعمدون إلى تبييض الأموال في مقابل الشرائح الاجتماعية الأخرى الأقل دخلاً، وهو ما سيؤدي إلى تفاوتات اجتماعية كبيرة بين الطرفين.

وفي هذا الإطار أيضاً لا بد من الإشارة إلى أثر خطير مرتبط بتبييض الأموال في شقه الاجتماعي وهو **غياب الأمن** في المناطق التي تنشط فيها هذه العمليات، حيث من الملاحظ أنّ هناك الكثير من الأماكن في العالم باتت تقبع تحت وطأة الفوضى وعدم الاستقرار، نتيجة لتفشي الجريمة المنظمة بشكل فاضح فيها (عبد المولى، 1999، ص: 190).

كذلك سُجلت ظاهرة أيضاً لا بد من الإشارة إليها وهي ظاهرة **التسرب المدرسي** والمرتبطة بالجريمة، حيث تُشير الدراسات إلى أنّ المناطق التي تعاني من الفقر وانتشار الجريمة والاضطراب الأمني يكون فيها الأطفال أكثر تسرباً من المدارس عن نظرائهم في المجتمعات الآمنة، حيث يؤدي تفشي الجريمة وغيرها من المظاهر السلبية التي تحملها معها نشاطات تبييض الأموال إلى إنشغال الأولاد عن الدراسة

والتوجه نحو هذه النشـــاطات. ويجب أن لا ننســى الأثر على **الو اقع الإخلاقي للمجتمع** حيث أنّ الحديث عن تبييض الأموال يعني الحديث عن الجريمة، والتي هي مناقضة للأخلاق تماماً.

ومن خلال ما تقدم معنا من بعض الآثار الاجتماعية لظاهرة تبييض الأموال أصبح واضحاً التأثير السلبي لهذه الظاهرة في شقه الاجتماعي، مع الإشارة إلى أنّ ما ورد معنا يُشكل جزء من هذه الآثار وليس جميعها.

3.2. الآثار السياسية والتشريعية لتبييض الأموال

في الحقيقة إنّ الحديث عن الآثار السياسية لعملية تبييض الأموال لا يقُل أهمية أبداً عمّا سلف من آثار قد تمّ استعراضها (اقتصادية، اجتماعية)، سيما وأنّ الآثار السياسية لهذه الظاهرة قد تُصيب أساس وبنيان الأنظمة السياسية في الدول، كونها ترتبط بشكل أساسي **بالفساد السياسي** والمالي والإداري الذي تتعدد منافذه في المجتمعات المتقدمة والنامية، ولا نبالغ إذا قلنا أن المنافذ السياسية لإشاعة هذا الفساد تعد من أهمها وأخطرها في العديد من الأقطار، ذلك لأن فساد القمة سرعان ما يستشري ويتسرب للمستويات الأدنى (عبد الكريم، ص:16).

ولتبيان حجم تأثير عمليات تبييض الأموال على الفساد السياسي في الدول يكفي الإطلاع على تقرير **مُنظمة الشفافية الدولية**[1] بهذا الخصوص والذي أشار إلى أنّ أكثر من ثُلثي الدول الواردة في التقرير والبالغ عددها 159 دولة قد حصلوا على علامة أقل من 5 درجات على عشرة درجات ضمن المقياس الوارد فيه، وفي تقرير آخر للمنظمة حول تفشي الفساد على المُستوى الإداري أشار إلى أنّ 36% من سُكان العالم اضطروا لدفع رشوة لموظفين حكوميين فاسدين على اختلاف مناصبهم لتسريع وإنجاز مُعاملات خاصة بهم (عبد الكريم، ص: 17).

وقد يكون تفشى **الفساد السياسي** داخل النخبة الحاكمة أخطر تبعات وصول غاسلي الأموال إلى المناصب السياسية المهمة فى دولة ما. بحيث يستغلون فى ذلك ضعف التشريعات القانونية المطبقة والثغرات القانونية لكي ينتشروا في البنية السياسية للدولة، خاصة تلك المتصلة بالتشريع والمجالس النيابية والمحلية. فغاسلوا الأموال ومن على شاكلتهم فى عالم الفساد الذين كوّنوا ثروات ضخمة وحققوا

[1] **منظمة الشفافية الدولية Transparency International:** هي منظمة دولية غير حكومية معنية بالدراسات المُرتبطة بالفساد السياسي وغيره من أنواع الفساد، وتشتهر عالمياً بتقريرها السنوي **مؤشر الفساد**، وهو قائمة مقارنة للدول من حيث انتشار الفساد حول العالم، ويقع مقر المنظمة الرئيسي في ألمانيا.

أرباحاً طائلة، استطاعوا بفضل هذه الثروات أن يُحققوا نفوذاً كبيراً وهم لا يدّخرون وسيلة للوصول إلى الحصانة البرلمانية إلاّ ويلجؤون إليها سيما وأنّها تقف حائلاً أمام مُساءلتهم قانونياً. وبعد ذلك يعملون على الدفع باتجاه سن القوانين التى تمكن من السيطرة غير الديمقراطية لرأس المال على الحكم وهو ما يخلق مناخاً فاسداً قد يعصف بدور الدولة العام لصالح فئة قليلة يوجد بينها وبين مصلحة الوطن تناقض صريح (الشيمي، 2015).

ويمكن القول بأنّ عمليات غسيل الأموال كانت سبباً رئيسياً في تهديد **الإستقرار السياسي** وإلى انتشار الاضطرابات والقلاقل في العديد من دول العالم، وخاصة في الدول النامية التي تكثر فيها هذه الظاهرة، حيث كانت هذه العمليات مصدراً أساسياً لتمويل العديد من التنظيمات الإرهابية والإجرامية، كما ساعدت على تأجيج وتمويل والنزاعات الدينية والعرقية (البازعي، 2002، ص:65)، وانتشار سياسي واسع للمافيا والمُنظمات الإجرامية.

كذلك يُمكن القول أنّ عمليات تبييض الأموال تُساعد على انتشار الفساد السياسي على مُستوى **الموظفين الحكوميين**، حيث أنّ هُناك علاقة تبادلية بين مبيضي الأموال من جهة وبين الموظفين الفاسدين من جهة أخرى، وتتجلى هذه العلاقة من خلال استعانة مبيضي الأموال بالموظفين الحكوميين الفاسدين، حيث يدفعون لهم رشاوى وهدايا، بغية تسهيل إضفاء صفة الشرعية على أموالهم القذرة.

والجدير ذكره إنّ العلاقة التبادلية المنافع بين الفساد المالي والإداري وتبييض الأموال، لهي علاقة خطيرة جدا إذ تتيح الأموال القذرة لأصحابها إفساد الحكومات وأنظمة العدل وإشاعة الفساد في الأعمال التجارية وتخريب الاقتصاد، وبالتالي نجد أنفسنا أمام حلقة مغلقة يجب كسرها لما لها من تبعات سلبية وكارثية على الاقتصاديات والمجتمعات (عبد الكريم، ص: 9).

3.تأثير تبييض الأموال على المُحددات الثلاث للتنمية في المكسيك

1.3. التأثير الاقتصادي لتبييض الأموال على التنمية في المكسيك

إنّ دراسة التأثير الاقتصادي لظاهرة تبييض الأموال في الاقتصاد المكسيكي تُبين لنا أنّ هذه الظاهرة كان لها أثراً كبيراً على الواقع الاقتصادي فيه، نظراً لتغلغلها في مُختلف مُحددات التنمية ومن أبرزها المُحدد الاقتصادي. وعلى الرغم من التطور الكبير الذي حققه الاقتصاد المكسيكي لا سيما في السنوات العشرين الماضية إلاّ أنّ دراسة واقع تأثير ظاهرة تبييض الأموال عليه تُبين لنا بشكل واضح

الخسائر الكبيرة التي تعرض لها بسببها. وسنُحاول فيما يلي استعراض أبرز الآثار السلبية على الاقتصاد المكسيكي، وفق التالي:

1.1.3. خسائر على مستوى القطاع الصناعي

يُمكن القول أنّ ظاهرة تبييض الأموال والتي ما هي إلاّ تعبير عن النشاطات الإجرامية الخارجة عن القانون، والتي حملت معها تأثيراً مُباشراً على الوضع الأمني في المكسيك. هذا الوضع الذي تأثر بمُعدلات الجريمة العالية وانعدام الأمن وضُعف الأجهزة الأمنية لا سيما في المناطق الريفية والحدودية، ما أرخى بظلاله القاتمة على الاقتصاد المكسيكي بشكل عام وعلى قطاع الصناعة فيه بشكل خاص، لا سيما وأنّ نجاح خُطط التنمية في أي دولة يحتاج إلى مقومات عديدة أهمها عنصر الاستقرار الأمني.

وتكفي الإشارة إلى ما تتكلفه السلطات المكسيكية والمُجتمع المكسيكي في مواجهة الوضع الأمني المضطرب من أرقام تقديرية حتى يتبين لنا حجم الخسائر والاستنزافات الفادحة التي يتعرض لها الاقتصاد من موارد وأفراد ووقت وجهد يتم التضحية بهم في سبيل مُكافحة الجريمة على حساب المجالات الاستراتيجية والتنموية الأخرى. وتُقدر التكلفة المباشرة لانعدام الأمن سنوياً للحكومة والشركات والمواطنين في المكسيك بـ 65 مليار دولار أمريكي، أو 8٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وهو يمثل في صورة ثانية 75٪ من إجمالي ضرائب الدخل والمبيعات التي تجمعها الحكومة، وحوالي 2.5 مرّة حجم تدفق التحويلات الخارجية إلى البلاد، و3.5 أضعاف مبالغ الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وهو ضعف حجم صادرات المكسيك من النفط (Devon Duff، 2012).

ويُمكن أن تعكس مواقف عدد كبير من قادة الأعمال ورجاله في المكسيك هذا الواقع من خلال الدراسة الاستقصائية التي أجرتها الغرفة الأمريكية المكسيكية (AmCham) في العام 2011 والتي شملت المديرين الأجانب والوطنيين في البلاد، حيث أكّد 75٪ منهم أنَّ أعمالهم الصناعية قد تأثرت بانعدام الأمن، مؤكدين أيضاً إلى أنّ جُزءاً هاماً من اهتمامهم انصبّ باستمرار في تأمين أمن الموظفين وحماية المسؤولين التنفيذيين على حساب تطوير أعمالهم واستثماراتهم. حيث يرى هؤلاء إلى أنّ أكثر العوامل المساهمة التي لوحظت أكثر من غيرها في هذا المجال تعزيز نشاط الجريمة المنظمة، والإفلات من العقاب في الإجراءات القضائية، والأنشطة المرتبطة بالاتجار بالمخدرات (Devon Duff، 2012).

هذا الوضع الأمني الرديء أدى لتحولات اقتصادية لا يُمكن الإستخفاف بها منها مثلاً بروز سوق الأمن الخاص في المكسيك الذي نمي على أعتاب عجز السلطات المكسيكية في مكافحة الجريمة، حتى بات يساوي حوالي 1٪ من الناتج المحلي الإجمالي، أو 16 مليار دولار سنوياً. هذا المجال الاستثماري الذي أدى إلى ظهور أكثر من عشرة آلاف شركة أمن خاصة في العام 2012 مقارنة بستة آلاف شركة قبل 15 عاما، حيث يعمل في قطاع الأمن الخاص قوة عاملة تبلغ حوالي 500 الف فرد (Devon Duff، 2012)، وهو يُشكل خسارة كبيرة للأيدي العاملة المكسيكية التي كان يُمكن أن يُستفاد منها في مجالات استثمارية وصناعية أكثر إنتاجية للاقتصاد لا سيما في قطاعي الصناعة والزراعة.

2.1.3. الخسائر في القطاع السياحي

يُمكن القول أنّ هذا الوضع في المكسيك كان له تبعات كبيرة على قطاع السياحة، هذا القطاع الحيوي في الاقتصاد المكسيكي تضرر بشكل كبير وتكبد خسائر بعشرات مليارات الدولارات، فقد حول الوضع الأمني المُتردي مناطق سياحية هامّة في المكسيك إلى مُدن أشباح، ومن تلك المناطق مدينة اكابولكو التي كانت إحدى الوجهات المفضلة لمشاهير هوليوود في خمسينات القرن الماضي، لكن هذه المدينة الشهيرة على سواحل المحيط الهادئ هجرها السياح الأجانب بعدما استحالت عاصمة الجريمة في المكسيك، بحيث تشهد المدينة يومياً ما بين جريمتين الى ست جرائم قتل بحسب السلطات القضائية في ولاية غيريرو في جرائم منسوبة غالباً الى عصابات تجارة المخدرات، ما جعل الكثير من الملاهي الليلية تُقفل أبوابها بشكل تام، أو تفتح في فترات محددة خلال أوج الموسم السياحي فقط. والواقع الذي تعيشه هذه المدينة ما هو إلاّ عينة عن واقع مئات المناطق السياحية التي كانت تضُج بالسياح وتُشكل عنصر جذب لهم وللمبالغ الهائلة من العُملة الصعبة التي كانوا يحملونها معهم وينفقونها داخل البلاد، مع ما لذلك من انعكاس إيجابي سابق على الاقتصاد المكسيكي.

3.1.3. الخسائر في القطاع التجاري والمصرفي

من الأوجه السلبية للوضع في المكسيك تضرر التجارة المحلية بشكل كبير لا سيما بفعل التدهور الأمني إذ تُشير التقديرات إلى أنّ عشرات الآلاف على الأقل من الشركات الخاصة قد أقفلت أبوابها، هذا بالإضافة إلى الضرر الكبير الذي أصاب قطاعات مالية ونقدية حيوية في المكسيك ومن أبرزها القطاع المصرفي الذي عصفت فيه قضايا الفساد وتبييض الأموال حيث تورطت الكثير من البنوك الخاصة وسيما الكبيرة منها بهذه النشاطات المشبوهة والمُخالفة للقانون مثل بنك أتش أس بي سي ميكسيكو الذي أُدين

بمشاركته في عمليات تبييض الأموال بشكل واسع وبمبالغ وصلت لعشرات المليارات من الدولارات، وهو حال عدد كبير من المصارف العملاقة الأخرى في المكسيك (راثبون، 2012).

4.1.3. الخسائر في القطاع الزراعي

من الانعكاسات الكبيرة لعمليات تبييض الأموال في المكسيك على القطاع الزراعي، التوجه نحو الزراعات غير الشرعية على حساب الزراعات الشرعية كزراعات الذرة والبن والكاكاو والأفوكا والتي كانت تدُر مبالغ كبيرة وعائدات اقتصادية هامّة، كما كانت محاصيل الذرة والقمح تُساعد في تعزيز الأمن الغذائي لهذه الدولة المُكتظة بالسكان، ولكن نمو زراعات أنواع عديدة من النباتات التي تُشكل المصدر الرئيسي في صناعة المُخدرات كنبات الكوكا والقنب والحشيشة، جعل من الرقع الزراعية الأخرى تتقلص لصالح الأخيرة، هذا بالإضافة إلى هجرة الأيدي العاملة الزراعية في العديد من المناطق الاستراتيجية الزراعية على خلفية الأحداث الدامية التي رافقت حملة القضاء على كارتيلات المُخدرات ولا سيما في المناطق الريفية التي تُشكل عصب الزراعة في المكسيك (Parkinson، 2014).

من خلال ما تقدم معنا من مُعطيات يتبدى لنا بوضوح التأثير السلبي الذي لعبته عمليات تبييض الأموال على الاقتصاد المكسيكي بقطاعاته الرئيسية الثلاثة، هذه الأرقام ما هي إلاّ عينة بسيطة من الواقع الكامل لهذه الآثار التي أفقدت المكسيك فرصاً كثيرة في سبيل تحقيق التنمية الإقتصادية الشاملة، لا سيما وأنّ الاقتصاد المكسيكي يمتلك عوامل قوّة هائلة ساهمت نشاطات تبييض الأموال في إضعاف استثمارها والاستفادة المُثلى من مقدرات البلاد الاقتصادية.

2.3.التأثير الاجتماعي لتبييض الأموال في المكسيك

إنّ الحديث عن التأثيرات الاجتماعية لظاهرة تبييض الأموال في المكسيك هو حديث طويل ومُعقد، فهذه الظاهرة كان لها الوقع الاجتماعي الكبير، حيث ضربت عُمق المُجتمع وتغلغلت فيه مؤثرة على المسار الاجتماعي العام للمكسيك. وسيتم فيما يلي من فقرات استعراض أبرز هذه الآثار وفق التالي:

1.2.3. زيادة مُعدلات العنف

لعل من أبرز ما حملته أنشطة تبييض الأمول المتنوعة في المكسيك هو انعدام الأمن مع ما لهذا الوضع من آثار كارثية تركت بصماتها بشكل كبير وبُنيوي في المُجتمع، حيث أدت في مناطق عديدة من

المكسيك إلى انتشار وتضخم العُنف والجريمة المُنظمة حتى وصلت إلى مُعدلات مُخيفة وضعت المكسيك على رأس قائمة الدول التي تُعاني من الاضطرابات الأمنية ومُعدلات الجريمة المُرتفعة فيها.

وفي هذا الإطار فقد أحصت السلطات المكسيكية في عام 2017 حوالي 25 ألفاً و324 عملية قتل، ليبلغ العدد الذي سجل في 2018 من قبل السُلطات 33 ألفاً و743 جريمة (كان رقماً قياسياً حينها حسب الهيئة الرسمية). ليأتي العام 2019 ويتصدر المشهد حيث سُجل فيه وقوع 34 ألفاً و582 جريمة قتل، وهو أكبر رقم يسجَّل منذ 1997 (السنة التي بدأ فيها تعداد هذه الحوادث)، كما شهد العام 2020 عدداً قريباً للعام السابق بتسجيله 34 الفاً و554 جريمة قتل، لينخفض العدد قليلاً في العام 2021 حيث بلغ 33 الفاً و308 جريمة قتل[1]، وتعني هذه الأرقام المُخيفة أنّ حوالي 95 جريمة قتل تحدث يومياً، أو أربع جرائم في الساعة الواحدة. ونُشير أيضاً إلى أنّ المكسيك تشهد أيضاً آلاف حالات الاختفاء القسري للمواطنين سنوياً ولا سيما من النساء، بسب نشاطات العصابات والمُنظمات الإجرامية[2].

ولم تقتصر هذه الأعمال الإجرامية على المدنيين العاديين وإنّما طاولت الحملات السياسية والانتخابية في البلاد، ففي الفترة التي سبقت الانتخابات المحلية والوطنية لعام 2018 قُتل أكثر من 150 سياسياً بحسب إحصاءات السُلطات المكسيكية بينهم نحو 37 من رؤساء البلديات أو رؤساء البلديات السابقين أو المرشحين لمنصب العُمد[3]، كذلك تشهد البلاد أيضاً حالة من العُنف الشائع والموجه تجاه الموظفين الحكوميين الذين وُضعوا على لائحة الاستهدافات لعصابات المُخدرات سيما الموظفين الذين قد يؤثروا من خلال وظائفهم وسلطاتهم ومهامهم الوظيفية على نشاطات هذه العصابات، هذا بالإضافة إلى تفشي ظاهرة النزاعات المحلية، وانتشار ظاهرة ما يُعرف "**بمنافسة النُخب**"[4]، وضعف آليات الحماية الرسمية لهؤلاء الموظفين، ما جعلهم عُرضة لهذا الاستهداف[5].

---

[1] لا كاتب، المكسيك تُسجل انخفاضاً في عدد جرائم القتل خلال العام 2021، قناة روسيا اليوم، قسم أخبار العالم، 2022/01/21. للمزيد من المعلومات يُمكن الاطّلاع على التقرير كاملاً على الموقع الرسمي للقناة على الرابط التالي: www. arabic.rt.com

[2] لا كاتب، غضب في المكسيك بعد تزايد جرائم قتل النساء، صحيفة الشرق الأوسط، قسم المقالات الأخيرة، 2022/04/30. للمزيد من المعلومات يُمكن الاطّلاع على التقرير كاملاً على الموقع الرسمي للصحيفة على الرابط التالي: www. aawsat.com

[3] لا كاتب، أرقام مثيرة لقتلى الشرطة في المكسيك على أيدي العصابات، تقرير منشور على موقع عربي 21، 2020/07/18. للمزيد من المعلومات يُمكن الإطلاع على التقرير كاملاً عبر زيارة الموقع الرسمي للموقع على الرابط التالي: www.arabi21.com.

[4] **مُنافسة النُخب:** هو مُصطلح يُستخدم للدلالة على حالة المُنافسة الشديدة التي تتعرض لها النُخب في المُجتمعات لا سيما المُتخلفة منها، حيث تواجه هذه النُخب بمُختلف شرائحها وأطيافها منافسة ومواجهة شرسة من الشرائح الأقل منها نخبوية قد تصل إلى حد التنكيل والاعتداء الجسدي المُباشر.

[5] No writer, Mexico: Violent Local-Level Political Dynamics, relief web, 2023/06/22.
For more information visit: www. drugabuse.com.

ووفقاً لأحد مراكز الأبحاث المكسيكية الذي ينشر تقييماً سنوياً حول انتشار العنف في العالم، فإن المدن الخمس الأولى في العالم للعنف في عام 2019 كانت في المكسيك. هذا العنف الذي لم يسلم منه حتى الصحفيين والإعلاميين إذ تُبين التقارير الموثقة في الفترة من عام 2017 حتى عام 2019 قتل صحفي مرة في الشهر في المتوسط، مما أدى إلى وضع المكسيك كواحدة من أخطر دول العالم لممارسة الصحافة (Beittel، p:4).

2.2.3. ارتفاع أعداد القتلى والمفقودين

من الآثار الاجتماعية الخطيرة لعمليات تبييض الأموال والتي تُعتبر استكمالاً أو ناتجاً لرداءة الوضع الأمني، ارتفاع معدلات الجريمة المُنظمة وبالتالي ارتفاع أعداد القتلى المُرتبطين بهذه الجرائم، فقد شهدت المكسيك التي يفوق عدد سكانها 120 مليون نسمة، تفاقماً للوضع الأمني منذ عام 2006 عندما كُلف الجيش مكافحة تهريب المخدرات في إطار ما عُرف بالحرب على كارتيلات المُخدرات. حيث قُتل لغاية العام 2020 حوالى 275 ألف شخص في البلاد حسب الأمانة التنفيذية للنظام الوطني للأمن العام[1].

كذلك سجل العام 2019 ارتفاعاً كبيراً ولافتاً بعدد القتلى من أجهزة الشرطة المكسيكية المُختلفة على يد العصابات وتُجار المخدرات، ما يعطي انطباعاً واضحاً عن قوة هذه المجموعات وتالياً عن حجم التجارة ومروجيها بالبلاد، على الرغم من كُل جهود المُكافحة التي أعلنت السُلطات المكسيكية اتخاذها، والتي لم تستطع من خلالها وقف تمدد نفوذ هذه الجماعات[2].

وإلى جانب الأعداد المُرعبة من القتلى، تتجلى مُشكلة اجتماعية أُخرى لا تقل خطورة عن سابقتها وهي مُشكلة المفقودين حيث تُظهر الأرقام الرسمية فقدان أكثر من 40 ألفاً من المواطنين خلال السنوات الخمسة عشر الماضية، بالإضافة إلى ترك أكثر من 1.5 مليون شخص ديارهم بسبب أحداث العنف، وهذا إن دلّ على شيئ فإنّما يدُل على الانتشار الكبير لأعمال العُنف والجريمة المُنظمة في هذا البلد اللاتيني[3].

[1] لا كاتب، أرقام مثيرة لقتلى الشرطة في المكسيك على أيدي العصابات، مصدر سبق ذكره..

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

3.2.3. زيادة موجات النزوح

من التأثيرات الاجتماعية الخطيرة التي أدت لها أنشطة تبييض الأموال في المكسيك موجات النزوح الكبيرة التي حصلت في أعقاب الحرب على المُخدرات، إذ تُشير تقارير مركز رصد النزوح الداخلي والمجلس النرويجي للاجئين[1] أنّ الأخيرة قد أجبرت عدداً يتراوح بين 160,000 و1.5 مليون شخص أو أكثر على مغادرة ديارهم، وهي بحسب مفوضية الأمم المُتحدة لشؤون اللاجئين[2] كانت ثاني أكبر موجة نزوح مُتصل بأعمال العُنف تحصل في العالم حينها منذ الحرب العالمية الثانية[3].

وقد أدى هذا الواقع إلى تضاعف عدد المكسيكيين الذين يطلبون اللجوء في الولايات المتحدة ثلاث مرات خلال العقد الماضي، هذا بالإضافة إلى حركة النزوح التي شهدها المكسيك لأسباب اقتصادية من أشخاص تركوا ديارهم بسبب العنف وأصبحوا على استعداد للعمل بأجور أقل بكثير من ذي قبل سعياً للحصول على لقمة العيش، وهرباً من الإكراه على الانخراط في الأعمال الإجرامية لا سيما زراعة وتجارة المُخدرات، وهو ما انعكس أيضاً على مُعدلات الفقر في هذا البلد اللاتيني، فالمكسيك وعلى الرغم من امتلاكها لثاني اكبر اقتصاد في أميركا اللاتينية كما أشرنا سابقاً إلا أنّها ما زالت تُعاني من مُعدلات الفقر المُرتفعة، فبحسب برنامج الأغذية العالمي وصل عدد الذين يعيشون تحت خط الفقر ولا يستطيعون تأمين احتياجاتهم الغذائية الأساسية في العام 2020 إلى رقم قياسي بلغ 40.7 % من عدد السكان[4].

4.2.3. انتشار ظاهرة لجان الحماية المُجتمعية

من المظاهر المُجتمعية التي ينبغي التوقف عندها في المكسيك قيام عدد من السكان في العديد من المناطق التي تشهد نزاعات مُسلحة وغياب للدولة فيها إلى تشكيل ما سُميت بلجان الحماية الشعبية، حيث عمد المواطنون إلى حمل السلاح وتنظيم أنفسهم في جماعات شبه عسكرية بهدف الدفاع عن حياتهم ومُمتلكاتهم

---

[1] **المجلس النرويجي للاجئين Norwegian Refugee Council (NRC)**: منظمة إنسانية غير حكومية نرويجية تختص بمساعدة الناس وحقوق الإنسان في الدول التي تستضيف اللاجئين أو التي يكون فيها النزوح الداخلي مثل دول الشرق الأوسط التي جرت بها بعض الأحداث كسوريا والعراق وليبيا وغيرها.

[2] **مفوضية الأمم المُتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR)**: هي مُنظمة عالمية تابعة للأمم المُتحدة تمّ إنشاؤها عام 1950 في أعقاب الحرب العالمية الثانية بهدف تأمين المُساعدة للاجئين الذين يُضطرون لمُغادرة منازلهم بسبب الاضطرابات الداخلية والحروب بين الدول.

[3] بحسب مفوضية الأمم المُتحدة لشؤون اللاجئين فإنّ أكبر موجة نزوح حصلت على أعقاب أعمال عنف بعد الحرب العالمية الثانية، هي موجات النزوح في سوريا التي حصلت على أعقاب الحرب الداخلية التي عصفت في البلاد في العام 2011 ولا زالت مُستمرة.

[4] No writer, Poverty levels moved up 3 points to 40.7% last year, Mexico news daily, 17/02/2021. For more information visit: www.mexiconewsdaily.com.

ضدّ هجمات عصابات المُخدرات المُتكررة، وبحسب وكالة "ذي ديبلي بيست" الإخبارية الأمريكية التي أعدّت تقريرا عن إحدى هذه الجماعات المُسلحة التي أُنشأت تحت إسم "الجبهة المتحدة لشرطة المجتمع في ولاية غيريرو الجنوبية الغربية"، والتي تتألف أساساً من سكان محليين في الولاية قرروا أن يشكّلوا وحدة عسكرية خاصة بهم، لمحاربة عصابات الإجرام في المنطقة، حيث تُشير التقارير إلى أنّ عديد هذه الوحدة فقط يتجاوز 10 آلاف مسلح موزعين على 39 بلدية في الولاية، أي ما يقارب نصف الولاية تقريبا، وهي شبيهة بحركات أخرى انتشرت في جميع أنحاء المكسيك على مدار العقد المنصرم.

5.2.3. ارتفاع مُعدلات التسرب المدرسي عن الأطفال

من التأثيرات الاجتماعية الأخرى التي حملتها أنشطة تبييض الأموال في المكسيك، ارتفاع مُعدلات التسرب المدرسي حيث تؤكد بعض الدراسات أنّ واحداً من كُل مكسيكيين اثنين لم يُكمل التعليم الثانوي، في حين أنّ أكثر من ثلث الذين أنهوا التعليم الثانوي لم يلتحقوا بالجامعة، وواحد من كُل أربعة طلاب دخلوا الكلية لم يتخرجوا منها (Borges، 2016).

6.2.3. زيادة عدد الأرامل والأيتام

من التأثيرات الاجتماعية التي يُمكن رصدها أيضاً زيادة كبيرة في عدد الأيتام والأرامل لا سيما مع اختفاء ومقتل عشرات الآلاف من المواطنين في أعمال العنف وهو ما أكدته الحكومة المكسيكية حيث أفادت في العام 2017 إلى أن هُناك حوالي 40 الف مفقود[1] وهو رقم شكك فيه الكثيرون في داخل المكسيك وخارجها مؤكدين أنّ الرقم الحقيقي أكبر من ذلك بكثير، ومن ضمن من شكك بهذه الأرقام منظمة حقوق الإنسان[2]. كما أدت أنشطة تبييض الأموال إلى تعزيز استغلال الأطفال والنساء بأعمال الدعارة والنشاطات المُسلحة، بالإضافة إلى اختلالات عديدة في التوازن الاجتماعي بين طبقات المُجتمع، وتسجيل الكثير من حالات الاضطرابات النفسية لأفراد المُجتمع سيما من الأطفال الذين عانوا من انتهاكات العنف.

[1] Report issued by human rights wats under the title: Mexico events 2017.
For more info visit: www.hrw.org.

[2] **منظمة حقوق الإنسان (Human Rights Watch)**: هي منظمة دولية غير حكومية تأسست عام 1987 بهدف مُراقبة حقوق احترام حقوق الإنسان في العالم والدفاع عنها والدعوة اليها، يقع مقرها الرئيسي في مدينة نيوروك في الولايات المُتحدة الأمريكية، وهي تعمل من خلال مكاتبها المُنتشرة في عدد كبير من دول العالم على تحديد الانتهاكات وجمع البيانات حول انتهاكات حقوق الإنسان وتحليلها ونشرها، وتعزيز الوعي العام والضغط على الجهات المسؤولة لوقف هذه الانتهاكات بمُختلف الوسائل القانونية.

من خلال ما تقدم معنا من مُعطيات وإن كانت لا تُغطي جميع جوانب الآثار الاجتماعية لعمليات تبييض الأموال في المكسيك، إلاّ أنّه يُمكن القول بأنّه قد بات واضحاً التأثير الكبير لأنشطة تبييض الأموال على المُجتمع المكسيكي.

3.3. التأثير السياسي لتبييض الأموال في المكسيك

إنّ دراسة التأثير السياسي لظاهرة تبييض الأموال في المكسيك تقودنا مُباشرة للحديث وبدون مُقدمات عن الفساد السياسي المُستشري في هذا البلد اللاتيني، هذا الفساد الذي تغلغل في النظام السياسي للمكسيك بدءاً من رأس الهرم وصولاً إلى القاعدة فيه، والذي بلا أدنى شك عززته وكرسّته ظاهرة تبييض الأموال والنشاطات المُخالفة للقانون المُصاحبة لها. وفيما يلي من فقرات سيتم استعراض أبرز هذه التأثيرات وفق التالي:

1.3.3. انتشاروتزايد الفساد السياسي

في الحقيقة إنّ مُشكلة الفساد في المكسيك ليست وليدة الصُدفة أو الحظ أو ظروف طارئة، وإنّما جاءت كنتيجة حتمية لتركيبة النظام فيه، ولتراكم المُخالفات والنشاطات الفاسدة التي استمرت عشرات السنين والتي أدت إلى تأسيس قاعدة داعمة لهذا الفساد من الصعب تخطيها أو مُعالجتها. فقد تم إنشاء النظام السياسي في المكسيك مُستنداً على صفقة بسيطة تقوم على مبدأ الولاء للرئيس من جميع المؤسسات السياسية والقضائية، مقابل الحصول على جزء وحُصّة من الثروة والسلطة والمنافع السياسية، أي أنّ نظرية قالب الحلوى[1] هي القاعدة الأساس السائدة في النظام السياسي في المكسيك.

ومنذ ذلك الحين، تمّ منح المناصب الحكومية سواء كانت انتخابية أو بالتعيين كجزء من عملية مفاوضات لا نهاية لها للحفاظ على سيطرة الطبقة السياسية على البلاد ونظام الغنائم فيها، لا سيما أنّنا نتحدث عن بلد ينعم بالكثير من الخيرات والثروات الهائلة والآفاق الاقتصادية الكبيرة، وهو ما شكّل البوابة الرئيسية للتكاملية بين ظاهرة تبييض الأموال وظاهرة الفساد السياسي، حتى بات من الصعوبة بمكان التمييز بينهما وتحديد العلاقة السببية لهما لناحية الطرف المُسبب للآخر، وهذا الوضع هو ما دفع الكاتب

[1] **نظرية قالب الحلوى Candy bar theory**: هو تعبير مجازي يُستخدم للدلالة على اعتماد اسلوب المُحاصصة وتقسيم الغنائم والمكاسب بمُختلف أشكالها بين أفراد أو جهات مُحددة بشكل حصري ومنفعي. وقد شاع استخدام هذا المفهوم في علم السياسة للدلالة على نفعية السلطة السياسية الحاكمة سواء تألفت من حزب واحد أو من أحزاب مُتعددة، التي تعمد إلى تقسيم الغنائم والمكاسب والمنافع السياسية فيما بينها بشكل نفعي وحصري ودون الاستناد إلى معايير عادلة.

المكسيكي الشهير غابرييل زيد في كتابه "الرئاسة السياسية في المكسيك" إلى أن يقول ويُعبر بصراحة عن هذا الوضع قائلاً بأنّ "الفساد ليس سمة غير مقبولة للنظام السياسي المكسيكي: إنه النظام" (Duarte، 2017).

وفي إضاءة قريبة على ملفات الفساد التي تهز النخبة السياسية في المكسيك، نُشير إلى القضية التي تمّ فيها توجيه اتهامات بالفساد لثلاثة رؤساء سابقين وعشرات الوزراء السابقين والمشرّعين وغيرهم من الموظفين الحكوميين بتُهم تلقي الرشاوى والانخراط بالصفقات المشبوهة، حيث تؤكد وكالة بلومبرغ[1]، أنه وفقاً لنسخة مسربة لشهادة الرئيس السابق لشركة "بتروليوس ميكسيكانوس" العملاقة للنفط إيميليو لوزويا، فإن الرؤساء السابقين بينا نييتو وفيليبي كالديرون وكارلوس ساليناس دي جورتاري كانوا من بين 17 سياسياً مكسيكياً وصحفياً قد تم تحديد أسمائهم كمُتهمين رئيسيين في هذه القضية[2]، وهو ما نقلته أيضاً وكالة رويترز[3].

كما يُمكن القول إنّ النظام السياسي في المكسيك يعزل الساسة عن المواطنين ويحميهم ويوفر لهم سلطات استثنائية للقيام بما يحلو لهم. وعلى الرغم من التنافس السياسي الكبير في الانتخابات على مُختلف المناصب في الدولة، وعلى الرغم من تناوب الأحزاب السياسية في الحكومة والمجالس التمثيلية، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من استمرار حالة الفساد السياسي كونها وكما أشرنا باتت من أركان النظام السياسي في (Rubio، 2017)، هذا الفساد الذي وصل إلى مرحلة مُرعبة حيث تُشير بعض التقارير والدراسات إلى أنّ الفساد في المكسيك يكلف حوالي 5 بالمئة من الناتج المحلي سنوياً أي ما يُعادل نحو 40 مليار دولار وهو رقم كبير جداً خاصّة إذا ما قيس بما يُمكن أن تُحققه عمليات الاستثمار الفعّال لهذا المبلغ من عائدات على مُختلف المجالات في المكسيك (Rodriguez، 2018، P:8).

---

[1] **وكالة بلومبرغ (Bloomberg News)**: هي وكالة أنباء دولية، تأسست عام 1990 و يقع مقرها الرئيسي في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية. تأسست في البداية تحت اسم بلومبرغ بيزنس نيوز لتقديم تقارير متعلقة بالأخبار المالية ثُم بعد ذلك تطور عملها لتشمل مُختلف أنواع الأخبار، أسّسها كل من الأمريكيين رجل الأعمال مايكل بلومبرغ والصحفي ماثيو وينكلر.

[2] لا كاتب، تسريب يكشف حجم تورط النخبة السياسية بالمكسيك في الفساد، منصة الرؤية الإخبارية، 2020/07/20.
للمزيد من المعلومات يُمكن زيارة الموقع الرسمي للمنصة على الرابط التالي: www.alroeya.com.

[3] **وكالة رويترز الإخبارية (Reuters News)**: رويترز هي مؤسسة إخبارية دولية مملوكة لشركة تومسون رويترز، تأسَّست في لندن عام 1851 من قِبل الألماني المولد بول رويترز إلى أن استُحوذَ عليها من قِبل شركة تومسون عام 2008 حيث تُشكّل الآن قسم الإعلام في تومسون رويترز، وهي تُعتبر واحدةً من أكبر وكالات الأنباء في العالم حيث توظف حوالي 2500 صحفي و600 مصور صحفي في حوالي مئتي دولة حول العالم.

2.3.3.استغلال المناصب الحكومية للمصالح الشخصية

لطالما رأى الموظفون الحكوميون في المكسيك مناصبهم فرصاً كبيراً لكسب المال وتكوين الثروات التي لا إمكانية لتحقيقها عبر الرواتب المُقدمة لهم في إطار وظائفهم فقط، وهو ماجعل عدداً كبيراً من شاغلي المناصب الحكومية وبمُختلف مستوياتها يستغلون صلاحياتهم وسلطاتهم الوظيفية والمعلومات الخاصة بوظائفهم لتحقيق الكسب الشخصي، بينما يسّرت تعييناتهم في حالات أخرى السرقة الصريحة، لا سيما تلك التي استندت على منطق المُحاصصة والمُقايضة بعيداً عن منطق الكفاءة والنزاهة ونظافة الكف. وما دفع هؤلاء الموظفين للسير في نهج الفساد هو غياب المُحاسبة الفعّالة، بحيث أنّ هؤلاء الموظفين لا يتم مقاضاتهم إلا عندما يخرقوا القاعدة الذهبية وهي مُعارضة الرئيس والمنظومة الحاكمة، أو حينما لم يعد يُنظر إليهم على أنهم موالون، وهو أخطر ما وقع فيه النظام السياسي في المكسيك.

3.3.3. فشل إقراروتنفيذ قوانين مُكافحة الفساد

لطالما كان مطلب مُكافحة الفساد هو النيّة المحورية للسياسة المكسيكية وهي نيّة اقتصرت على الخطابة والوعود الانتخابية فقط دون التنفيذ الفعلي، وهو الموضوع الذي تدور حوله المناقشات العامة والحملات الانتخابية والقرارات المُتعلقة بالمُدخرات والاستثمارات، وحسابات السياسيين مهما أنكروها (Rodriguez، 2018، P:8). ولذلك نرى أن الطبقة السياسية دائماً ما تعمد إلى تمرير بعض التشريعات الآنية والصورية لمكافحة الفساد إرضاءً للنُشطاء، أو في إطار المُنافسة الانتخابية وتبييضاً لصورتها السياسية ولتخفيف بعض ضغوط الرأي العام عليها وهو تكتيك اعتمدته مُعظم الأحزاب التي وصلت إلى السُلطة، وهو ما تؤكده الوقائع من خلال كون مُعظم قوانين مُكافحة الفساد المُقرّة تُعالج في الغالب أعراض وباء الفساد وليس أصله وأسبابه، حيث تُحافظ هذه القوانين على السلطات التعسفية غير الخاضعة للرقابة في يد السلطات الحكومية، كما أنها تترك سلطة تقرير ما يجب التحقيق فيه من عدمه في أيدي المسؤولين المعنيين الذين يدينون بالولاء للرؤساء السياسيين، ما يقودنا للحديث عن قوننة الفساد من خلال الاستنسابية التي يتمتع بها هؤلاء وهو ما يساعد على استمرار الوضع على ما هو عليه دون تغيير حقيقي نحو الأفضل.

4.3.3. الفساد في النظام القضائي

من المهم أن نذكر أن النظام الفاسد في المكسيك لم يشمل فقط المؤسسات والأحزاب السياسية ولكن أيضا **النظام القضائي**. حيث يتم دائما تحديد القواعد القانونية التي تحكم المؤسسات السياسية بطرق غامضة وتقديرية. وهذا ما يمنح المدّعين العامين سلطة استنسابية في تحريك الدعاوى واتخاذ الإجراءات القضائية المطلوبة عندما يرون ذلك ضرورياً، في حين يغفلون عمّا يُريدون من القضايا عندما يجدون ذلك ملائماً لمصالحهم ومصالح الأحزاب التي يدينون بالولاء إليها على الرغم من أنّ الكثير من هذه القضايا تكون كبيرة وواضحة. وهذه السُلطات تسمح لهم بتسييس تهم الفساد على النحو الذي يرونه مناسباً أيضاً. وقد استُخدمت تهم الفساد على مر العقود كوسيلة لمعاقبة الخصوم السياسيين والحفاظ على الانضباط السياسي داخل النظام.

4. الخاتمة

في ختام هذه الدراسة والتي تناولنا فيها ضمن القسم الأول النظري تأثيرات نشاطات تبييض الأموال على المُحددات الثلاث للتنمية الاقتصادية (اقتصادية، اجتماعية، سياسية) بشكل عام، وفي القسم الثاني العملي تأثيرات الظاهرة على المُحددات الثلاث في دولة المكسيك (عينة الدراسة).

وقد تبين معنا في النهاية صحّة الفرضية التي انطلقنا منها لناحية وجود تأثيرات مُباشرة وكبيرة لنشاطات تبييض الأموال على المُحددات الثلاث للتنمية الاقتصادية في المكسيك، وقد كانت هذه التأثيرات ذات طابع سلبي بالمُجمل، حيث أدى انتشار وتعاظم نشاطات تبييض الأموال ولا سيما ما يرتبط بزراعة وتجارة المُخدرات في هذا البلد اللاتيني إلى تأخير وإعاقة تحقيق هذه التنمية بشكل كبير. ويُمكن القول وكمُحصلة عامّة أنّه لا إمكانية لتحقيق عملية التنمية الاقتصادية المُستدامة في المكسيك من دون الوقوف بوجه نشاطات تبييض الأموال والحد منها بشكل تدريجي وصولاً إلى القضاء النهائي عليها، لكونها تُشكّل حجر عثرة واضحة في هذا الإطار.

وفي الختام برزت لدينا مجموعة من التوصيات والمُقترحات المُرتبطة بالنتيجة النهائية للدراسة، على أنّ القاعدة الأساس في هذه التوصيات هي اعتماد "**الخُطّة الوطنية لمُكافحة تبييض الأموال**"، هذه الخُطة العامة والاستراتيجية من المُفترض أن تحمل معها مجموعة متنوعة وواسعة من الخُطط الفرعية التي يجب أن تكون شاملة لجميع النواحي المُرتبطة بمُكافحة هذه الظاهرة، ومنها:

- ✓ مواجهة الفساد السياسي والإداري في المكسيك ووضع حد له.
- ✓ إجراء إصلاحات وتعديلات على الأنظمة والقوانين ولا سيما تلك المُرتبطة بمُكافحة الجريمة المُنظمة والفساد.
- ✓ تحسين وتطوير عمل الأجهزة الإدارية للدولة من خلال مجموعة من التغييرات وعلى رأسها تطوير وسائل وأساليب العمل الإداري.
- ✓ وضع معايير جديدة للتوظيف في الوظائف الحكومية تقوم على أسس واضحة ومتينة.
- ✓ رفد الكادر البشري في التنظيم الإداري للدولة وخاصة الهيئات والإدارات المُتخصصة بمكافحة تبييض الأموال، بالخُبرات والإمكانات المطلوبة.
- ✓ تحسين وتطوير مهارات الموظفين الحكوميين ولا سيما العاملين منهم في الأسلاك المُرتبطة بمواجهة نشاطات تبييض الأموال (القضاء، القوى الأمنية والعسكرية...).
- ✓ وضع التشريعات والقوانين التي تُنظم عمل البنوك والمؤسسات المالية والمؤسسات التي تُمارس نشاطاً نقدياً.
- ✓ إقرار مجموعة من قوانين العفو العام المدروسة، ضُمن إطار تسهيل مجهودات المفاوضات التي يتم إجراؤها مع الجماعات المُسلحة.
- ✓ حل مُشكلة انتشار السلاح وتفشيه بشكل كبير جداً بين المدنيين.
- ✓ السعي إلى ضبط الحدود بشكل مُشدد ومنع عمليات التهريب ولا سيما تهريب المُخدرات.
- ✓ بسط السيطرة الكاملة على كامل أراضي الدولة.
- ✓ محاولة القضاء على زراعات النباتات المُستخدمة لصناعة المُخدرات، وإحلال الزراعات البديلة مكانها.
- ✓ اتخاذ مجموعة من الخطوات في الجانب الاجتماعي ومنها: الحد من التمييز الطبقي، حماية المدنيين من العنف، الحد من التفاوت الاجتماعي والفقر.

- ✓ السعي لتخفيف مُعدلات العُنف في المجتمع.
- ✓ العمل على جعل المواطنين شُركاء في خُطة القضاء على نشاطات تبييض الأموال من خلال التوعية ونشر المفاهيم المُرتبطة بذلك.

5. قائمة المصادروالمراجع

أ- باللغة العربية

• البازعي، أحمد عبد الحسن، (2002) "الأثار الإقتصادية والأمنية لغسيل الأموال"، مكتبة الملك فهد الوطينة، الرياض، السعودية،

• حسن، هديل، (2024) "حدود الدراسة في البحث العلمي"، مركز تيمز أكاديمي للدراسات الأكاديمية والجامعية، تاريخ الاسترداد: 2024/05/28، تمّ الاسترداد من الموقع الرسمي للمركز على الرابط التالي: www. teams-academy.com.

• داوود، عصام عثمان، (2014) "متلازمة الفقر والجريمة"، **دراسة اجتماعية حول علاقة الفقر بالجريمة**، منصة سوداريس، تاريخ الاسترداد: 2024/07/17، تمّ الاسترداد من الموقع الرسمي للمنصة على الرابط التالي: www.sudaress.com.

• راثبون، جون بول، (2012) "تجارة المخدرات تُنظف أموالها القذرة في مغاسل المصارف"، تحقيق منشور في صحيفة فاينشال تايمز البريطانية، ترجمة ونشر صحيفة الإقتصادية.

• الشافي، حلمي عبد، (2016) "الفقر هو أساس الجريمة"، مصر، صحيفة اليوم السابع.

• الشافي، نادر عبد العزيز، (2001) "تبييض الأموال (دراسة مُقارنة)"، منشورات الحلبي. بيروت، لبنان.

• الشيمي، محمد نبيل، (2015) "ظاهرة غسل الأموال: نشأتها، أهدافها، أليتها وآثارها على المجتمع"، دراسة منشورة عبر المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، مصر، تاريخ الاسترداد: 2024/07/11، تمّ الاسترداد من الموقع الرسمي للمركز على الرابط التالي: www.democraticac.de.

• عبد الحق، كايد، (2004) "البحث العلمي"، الطبعة الأولى، دار محدلاوي للنشر، عمان، الأردن.

• عبد الكريم، نادية، "تبييض الأموال كمظهر من مظاهر الفساد المالي والإداري في الدول العربية"، مجلة الدراسات الاقتصادية والمالية، المجلد السابع، العدد الأول.

• عبد المولى، سيد شوربجي، (2014) "عمليات غسيل الأموال وانعكاساتها على المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، السعودية، العدد 28.

• فرحات، محمد، (2003) "الدليل الموجز في أسس ومواصفات كتابة تقرير البحث"، الطبعة الأولى، لا ناشر، لا مكان نشر.

• فرحات، محمد، (2003) "تقنيات البحث العلمي وأساليبه"، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، 2003.

• قناة روسيا اليوم، (2022) "المكسيك تُسجل انخفاضاً في عدد جرائم القتل خلال العام 2021"، ، قسم أخبار العالم.

تاريخ الاسترداد: 2024/05/17، تمّ الاسترداد من الموقع الرسمي للقناة على الرابط التالي: www. arabic.rt.com.

• صحيفة الشرق الأوسط، (2022) "غضب في المكسيك بعد تزايد جرائم قتل النساء"، قسم المقالات الأخيرة، 2022/04/30. منشور على الموقع الرسمي للصحيفة، تاريخ الاسترداد: 2024/04/01، تمّ الاسترداد من الموقع الرسمي للصحيفة على الرابط التالي: www. aawsat.com.

• موقع عربي 21، (2020) "أرقام مثيرة لقتلى الشرطة في المكسيك على أيدي العصابات"، تاريخ الاسترداد: 2024/05/22، تمّ الاسترداد من الموقع الرسمي للموقع على الرابط التالي: www.arabi21.com.

• منصة الرؤية الإخبارية، (2020)، "تسريب يكشف حجم تورط النخبة السياسية بالمكسيك في الفساد"، تاريخ الاسترداد: 2024/07/07، تمّ الاسترداد من الموقع الرسمي للمنصة على الرابط التالي: www.alroeya.com.

• مركز مبتعث للدراسات والاستشارات الأكاديمية، (2024)، المنهج التحليلي في البحث العلمي، تاريخ الاسترداد: 2024/08/14، تمّ الاسترداد من الموقع الرسمي للمركز على الرابط التالي: www. mobt3ath.com.

ب- باللغة الأجنبية

• Charles Parkinson, (2014) « **How Agricultural Price Shocks Affect Mexico's Drug Trade »**, Report posted on Insight Crime, Online Available at: www. insightcrime.org, Accessed 17/07/2024.

• Devon Duff, and Jen Rygler, (2012) « **Drug Trafficking »**, Violence and Mexico's Economic Future, Wharton university Pennsylvania.

• Javier Duarte, (2017) « **Mexico's corruption problems are still among the world's deepest »**, the conversation news Paper, Online Available at: www.theconversation.com, Accessed 11/08/2024.

• Guilherme Borges,(2016) « **Influence of mental disorders on school dropout in Mexico »**, Posted **by the National Library of Medicine, Mexico,** Online Available at: www. pubmed.ncbi.nlm.nih.gov., Accessed 09/06/2024.

• Jose Rodriguez,(2018) « **Understanding the Problems and Obstacles of Corruption in Mexico »**, rice university baker institute for public policy, Mexico.

• Luis rubio, **(2017)** « **Corruption Is Mexico's Original Sin** », Report posted on foreign policy, Online Available at: www.foreignpolicy.com, Accessed 17/05/2024.

• relief web, (2023) « **Mexico: Violent Local-Level Political Dynamics »**, Report posted on foreign policy, Online Available at: www. drugabuse.com, Accessed 01/08/2024.

• Mexico news daily, (2021) « **Poverty levels moved up 3 points to 40.7% last year »**, Online Available at: www.mexiconewsdaily.com., Accessed 02/07/2024.

• Report issued by human rights wats under the title: Mexico events 2017, Online Available at: www.hrw.org, Accessed 13/06/2024.

حلف شمال الأطلسي وأمن الخليج العربي

رؤية للعلاقات الاستراتيجية مع مجلس التعاون الخليجي في ظل التحديات الإقليمية

NATO and Gulf Security

A Strategic Vision for Relations with the Gulf Cooperation Council Amid Regional Challenges

د. محمود عزت عبد الحافظ*

مدير مركز الدراسات الاستراتيجية، مكتبة الإسكندرية

أ.م. بالأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري، الإسكندرية، مصر

Mahmoud.ezzat@bibalex.org

تاريخ الإرسال: 2024/08/29 تاريخ النشر: 31/ 2024/10

****

تؤدي الاعتبارات الجيوسياسية والجيوستراتيجية لأي إقليم دوراً كبيراً في تحديد ماهية العلاقات البينية لدول هذا الإقليم وأشكالها، وآليات التفاعل التي تحكم هذه العلاقات وتحديد مساراتها واتجاهاتها وأهدافها، فالعلاقات الدولية عادة هي انعكاس لمتطلبات واقع جغرافي وسياسي واقتصادي معين يفرض على أطراف هذه العلاقة طبيعة السلوك السياسي المتبع في علاقاتها مع الأطراف الأخرى سواء على الصعيد الإقليمي أو الدولي.

ولا شك أن التحولات العالمية والإقليمية المحيطة منذ بداية الحرب الروسية الأوكرانية والتي مر عليها ثلاث سنوات وما رتبتها من تداعيات جيوستراتيجية على حلف شمال الأطلسي، وكذلك التهديد الإيراني المستمر لأمن منطقة الخليج العربي، سوف يدفع حلف شمال الأطلسي لتبنى وبناء وتطوير العلاقات الاستراتيجية مع دول مجلس التعاون الخليجي؛ فنجاح سيطرة روسيا على أوكرانيا وربحها للحرب سيضع حلف شمال الأطلسي لإعادة التفكير الاستراتيجي والعسكري وعدم تصعيد الأزمة والانجرار نحو حرب

عالمية كبرى ضد روسيا وتجنب هذا السيناريو الكارثي. ولكن هذا الوضع سيضع حلف الناتو في وضع تقييم لقدرته على حفظ الأمن والدفاع عن أعضائه وسيضع تلك القدرة محل شك. وهو ما سيعيد أيضًا تشكيل الخريطة العسكرية العالمية. وعليه فسيسعى الحلف لانتهاج استراتيجية جديدة تستجيب ومعطيات البيئة الأمنية العالمية المتغيرة، ومنها منطقة الشرق الأوسط وكذلك منطقة الخليج العربي. كذلك التهديد الإيراني المستمر لمنطقة الخليج يمثل تحديًا لحلف شمال الأطلسي، فهناك تحديات ومخاطر أمنية يواجهها الحلف، منها الدول الفاشلة، والإرهاب، وانتشار أسلحة الدمار الشامل، والقرصنة، وأمن الطاقة. وهي الرؤية التي عززتها بعض الدراسات الصادرة عن كلية الدفاع التابعة للحلف. فإن اهتمام الناتو بمثل هذا النوع من التهديدات يتعين أن يكون سابقًا ولاحقًا للازمات.

وتُعد وثيقة المفهوم الاستراتيجي لحلف شمال الأطلسي والتي صدرت عام 2022 بمثابة الإطار الرسمي لعقيدته الأمنية، وتحدد التحديات الأمنية التي تواجه الحلف، كما تحدد المهام السياسية والعسكرية التي سينفذها الناتو لمعالجتها، وتقود التكيف الاستراتيجي للحلف وتطوره السياسي والعسكري في المستقبل، لذلك تمثل وثيقة المفهوم الاستراتيجي أهميةً كبرى لدى الحلف والدول المتفاعلة معه أو ضده، لكونها تعد بوصلة توجيهية لقدرات التحالف وسبل التعاطي مع التحديات الأمنية القائمة والجديدة بشكل جماعي ومؤسسي لمراعاة التغييرات في بيئة الأمن العالمي والتأكد من استعداد الحلف للتعامل معها.

وحيث أن منطقة الخليج العربي تحتل موقعًا جيوستراتيجي كبير على خارطة الاهتمامات والمصالح الدولية، باعتبارها منطقة ذات بعد جيوسياسي، وتأتي أهمية الخليج العربي من أهمية الموقع الجغرافي الذي يسيطر على ممرات استراتيجية تمر عن طريقها الإمدادات النفطية العالمية مثل مضيق هرم، ومضيق باب المندب، وخليج عُمان، بالإضافة إلى امتلاكها للاحتياطيات النفطية التي تبلغ 65% من نسبة الاحتياطي العالمي، مما يجعل من منطقة الخليج محل اهتمام حلف شمال الأطلسي، وهو ما قد ظهر جليًا لأول مرة منذ مشاركته بحرب الخليج الثانية عام 1991، وزاد اهتمامه بأمن الخليج بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 في إطار الإستراتيجية الجديدة التي تبناها والتي تقوم على ضرورة توسيع الحلف لنطاق عملياته إلى خارج أوروبا وبناء علاقات تعاون مع كل الدول.

وقد تبين ذلك أيضًا من خلال التعاون العسكري مع دول منطقة الخليج العربي، ووضع استراتيجيات دفاعية خليجية يمكن أن تتكامل مع الاستراتيجيات الأمريكية واستراتيجية الحلف، بعيدًا عن مظاهر التدخل العسكري في الحفاظ على السلم والأمن الدوليين ومن خلال الاستشارات والتدريب والتعاون في مجالات عديدة.

وعلى الرغم من أن الحوار بين دول مجلس التعاون الخليجي وحلف شمال الاطلسي قد بدأ منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، إلا أن التطور الحقيقي بهذا الشأن تمثل في مؤتمر تحولات حلف شمال الاطلسي والأمن في الخليج العربي والذي عُقد في قطر عام 2004؛ حيث كان بمثابة تمهيد لقمة اسطنبول من أجل إيجاد آلية للتعاون المستقبلي بين دول الخليج العربي والحلف، حيث أكد الحلف أن تعزيز العلاقات بدول مجلس التعاون الخليجي يمثل أولويات الحلف في السنوات القادمة. ثم كانت ندوة إسطنبول والتي عُقدت في يونيو عام 2004، واعتبرت الركيزة الأساسية والرئيسية لبرنامج التعاون بين الحلف ودول الخليج، حيث هدفت إلى التأكيد على أمن الخليج وإن كان مسؤوليةَ دولهِ فهو أيضًا مسؤوليةُ الدول الكبرى. كما تهدف لتأسيس الشراكة الإستراتيجية بين دول الخليج وحِلف شمال الأطلسي، فيما يخص القضايا والتحديات، مثل الإرهاب، وأسلحة الدمار الشامل، والدولِ المارقة، والاتجار بالبشر، وتجارة المخدِّرات.

وتم تدشين أول مركز لحلف شمال الأطلسي في منطقة الخليج العربي بدولة الكويت في يناير 2017؛ بهدف تعزيز التعاون والتشاور، ورفع مستوى التنسيق في مجالاتِ حِفظ السلام والأمن والدفاع، ومكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل كما جاء على لِسان أمينه العام، إلَّا أن القوى الرئيسية الفاعلة في الخليج لا تزال تعارضُ المبادرة، لأنها لا تأخذ بالاعتبار مصالحها الأساسية.

1. رؤية استراتيجية للعلاقة بين حلف شمال الأطلسي ودول مجلس التعاون الخليجي

انطلاقًا من سياسات واستراتيجيات الأمن الجماعي لمنطقة الخليج العربي والتي تؤكدها دوله بشكل دائم وانطلاقًا من الهدف الرئيس لحلف شمال الاطلسي بشكل عام في ضمان الأمن الجماعي للدول الأعضاء في مواجهة جميع التهديدات أياً كان مصدرها بصفته تحالفاً دفاعياً بالأساس.

وقد أشار المفهوم الاستراتيجي الجديد للناتو إلى أن مصالح دول الحلف الأمنية يمكن أن تتعرض للخطر من قطع مصادر الطاقة (مثل النفط) ولهذا ناقشت الدول أعضاء الحلف عام 2006 قضية أمن الطاقة. ووافقوا في اجتماع القمة في بوخارست عام 2008 على تفعيل التحالف في هذا المجال بصورة أكبر. لكن هذا ليس هو المتغير الوحيد الذي يفسر اهتمام الحلف بمنطقة الخليج العربي، فمواجهة الجماعات الإرهابية ومنع حصولهم على أسلحة الدمار الشامل من الأسباب الأخرى لاهتمام حلف شمال الأطلسي بمنطقة الخليج العربي. وعليه يسعى الناتو لتنظيم أعماله وإجراءاته في المناطق المعنية ومن بينها الخليج العربي بشكل خاص، ووفقًا المفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف. فيجب أن تكون العلاقة بين الطرفين مبنية على عدة استراتيجيات ألا وهي:

✓ **تطوير قدرات وآليات الدفاع والردع**

مهمة الدفاع والردع هي العمود الفقري لأي تعاون عسكري بين طرفين، لذا استخدام الأدوات العسكرية وغير العسكرية بطريقة متناسبة ومتماسكة ومتكاملة للرد على جميع التهديدات لأمن الخليج بالطريقة والتوقيت وفي المجال المناسب لدول المنطقة. كذلك أهمية الأمن البحري لتعزيز الردع؛ وردع جميع التهديدات البحرية، ودعم حرية الملاحة، وتأمين طرق التجارة البحرية في الخليج والمضائق وحماية خطوط الاتصالات الرئيسية. إلى جانب تسريع عملية التحول الرقمي وتعزيز الدفاعات الإلكترونية وزيادة الاستثمارات في التقنيات الناشئة، وانتهاج نهج تنسيقي بين الطرفين لبناء المرونة على المستوى الوطني لكل دولة في منطقة الخليج ومستوى الحلف في مواجهة التهديدات العسكري وغير العسكرية.

✓ **منع الأزمات وإدارتها**

وذلك من خلال وضع آليات منع الأزمات والاستجابة لها عندما يكون من المحتمل أن تؤثر في أمن الخليج، وسيتم ذلك، من خلال عدة آليات، منها الاستثمار في الاستجابة للأزمات وإدارات من خلال التدريبات المنتظمة وقدرات التنسيق المشترك، ومضاعفة جهود توقع الأزمات والصراعات ومنعها، وتعزيز الاهتمام بالأمن البشري، بما في ذلك حماية المدنيين وتخفيف الأضرار التي تلحق بهم، بما يتطلب تعزيز التعاون مع الجهات الفاعلة لمعالجة الظروف التي تؤجج الأزمات وتقوّض الاستقرار في مختلف الدول، والعمل على دعم الاستقرار وإعادة الإعمار.

✓ **تحقيق الأمن التعاوني**

وذلك في القضايا ذات الاهتمام المشترك، مثل تأثير تغير المناخ على الأمن، والتقنيات الناشئة والمدمرة، والأمن البشري، فضلاً عن العمل لمعالجة التهديدات والتحديات الأمنية المشتركة في منطقة الخليج العربي.

✓ **أمن وحماية حرية الملاحة البحرية**

والهدف هو حماية وتأمين الملاحة البحرية من الهجمات والقرصنة في مياه الخليج، مرورًا بمضيق هُرمز نحو بحر عُمان ووصولًا إلى باب المندب في البحر الأحمر، والعمل من أجل تعزيز التدفق الحرِّ للتجارة، وردع التهديدات التي تواجه السفن وحماية أمن الملاحة البحرية في مياه الخليج العربي. إذ ما يزيد عن ثلث

النفط المنقول عبر البحار في العالم يمر عبر مضيق هُرمز والذي هددت إيران عدة مرات بإغلاقه. وكذلك وضع حد للتهديد الإيراني بالمنطقة.

2. التحديات التي يمكن ان تواجهها العلاقات العسكرية والأمنية مع حلف شمال الأطلسي في منطقة الخليج العربي

على الرغم من هناك تطور ومحطات تعاون كبيرة بين دول مجلس التعاون الخليجي وحلف شمال الأطلسي ودوله الأعضاء والتقاطع في المخاطر والتهديدات التي يواجهها الطرفين، إلا أن القضية الأهم في هذا الشأن هي أمن الخليج والدور المحتمل أن يقوم به الحلف مستقبلاً في الترتيبات الأمنية مع الدول الخليجية، وما يمكن أن تواجهها تلك العلاقة من تحديات، مثل:

- ✓ تعامل دول منطقة الخليج العربي مع أطراف المنظومة الأمنية الإقليمية التي قد يقترحها الحلف مستقبلاً والتي قد تضم عددًا من الدول العربية، بالإضافة إلى تركيا وإسرائيل.
- ✓ التوفيق بين التزامات دول مجلس التعاون الخليجي تجاه الحلف والتزاماتها بشأن الصراع العربي الإسرائيلي، في ظل تزايد حدة التوجه الشعبي الخليجي تجاه قضية التطبيع مع (إسرائيل) بعد الحرب على غزة وفي في ظل تماديها في أعمال القتل والتخريب والدمار ضد الفلسطينيين.
- ✓ التراجُع الأمريكي وعودة التنافس الدولي إلى منطقة الخليج العربي؛ فلم يعد لدى الولايات المتحدة الحماسة نفسها التي كانت في السابق لدعم المبادرات الأمنية وحِفظ التوازُنات في منطقة الخليج، واتجاهها نحوَ سحب قواتها وإعادة تمركز بعض القوات في إطار رؤية استراتيجية شاملة إعادة التموضع على المسرح الدولي، وذلك في إطار سياساتها للتوجه شرقًا لمواجهة الخطر الصيني. وهو ما ترك الساحة أمام بعض القوى الدولية الأخرى للمنافسة، وقد استفادت إيران من وجود تلك القوى كروسيا والصين التي تتمتع معها بعلاقات قوية. وبالتالي فإن الترتيبات الأمنية الجديدة باتت تتعامل مع واقع معقد ومتشابك من حيث العلاقات والمصالح.
- ✓ التباين في تصنيف التهديدات الإيرانية وتحديد مستواها؛ حيث تختلف وجهات النظر في تحديد مستويات التهديدات الإيرانية على المستوى الوطني، فعلى سبيل المثال تقييم قطر

وسلطنة عُمان للتهديدات الإيرانية منخفضٌ مقارنةً بتقييم المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، كما أن الكويت لها تقدير مختلف لحساسية علاقاتها مع إيران. أما على المستوى الدولي فهناك أيضًا تباين في العلاقات مع إيران، فألمانيا وفرنسا لم تنضم إلى التحالف الدولي لحماية الملاحة البحرية في الخليج، وذلك على خلفية الخلاف مع الولايات المتحدة حول السياسية الأمريكية تجاهَ إيران.

- ✓ تركيز معظم الترتيبات والمبادرات الأمنية المطروحة على مواجهة التهديدات العسكرية والأمنية، وتجاهل مصادر التهديد الأخرى، فبعضُ الدول في منطقة الخليج العربي تواجه خطر التغلغل الإيراني وهو ما يؤثر على استقرارها وعلى وحدة أراضيها وسلامة المكون الاجتماعي، مثل العراق، وهنا يجب تفعيل آلية جماعية مستجدة لمواجهة هذا الخطر.
- ✓ عدم وجود رؤية إستراتيجية تعاونية جماعية حتى الآن، فأغلب الترتيبات والمقاربات الأمنية - باستثناء التحالف الدولي لأمن وحماية حرية الملاحة البحرية - لم تحقق أي تفوق إستراتيجي في مواجهة الخطر الإيراني، والتي يجب أن تتناسب مع حجم الدول ومركزها الإقليمي.
- ✓ مع تعدد الترتيبات الأمنية المشتركة، فنجد تعثر بعض المبادرات والترتيبات بين الطرفين.
- ✓ المصالح الروسية الصينية في منطقة الخليج العربي، وهي تعتبر من التحديات الكبيرة أمام التعاون الخليجي مع حلف شمال الأطلسي ولا سيما بعد الحرب الروسية الأوكرانية والتنافس الصيني الأمريكي في المنطقة، وعمل الولايات المتحدة الامريكية بكثافة على كبح الصعود الصيني الاقتصادي ومشروعاته في المنطقة. وقد تعزز التعاون بين عدد من دول مجلس التعاون الخليجي وبين الصين وروسيا، بعد اندلاع الحرب الروسية، كما قامت الصين بدور رئيسي في إيجاد مصالحة سعودية-إيرانية. كما تسارعت وتيرة تطور العلاقات الخليجية مع الصين. ومن هنا تشكل تلك العلاقات تحديًا جوهريًا لمصالح حلف شمال الأطلسي. فضلاً عن أن المصالحة الخليجية ونهاية الأزمة بين السعودية وقطر يمكنها تفعيل نموذج مبادرة أمنية خليجية خالصة.

ورغم تلك التحديات المذكورة سيبقى حلف شمال الاطلسي شريك عسكري وأمني وتكنولوجي هام واستراتيجي بالنسبة لمعظم الدول العربية وكذلك دول مجلس التعاون الخليجي. فمفهوم الأمن في منطقة الخليج يمكن تحقيقه رغم وجود تناقضات في مصالح وسياسات الدول، ولكن الجوهر هو استنكار استخدام القوة لحل تلك التناقضات بين وحدات النظام الدولي، من خلال الجهود المشتركة بين مختلف

دول العالم سواء من حيث الشق الوقائي والذي يتمثل في إجراءات وقائية تحول دون وقوع التهديد أو العدوان، أو الشق العلاجي والذي يتمثل في إجراءات لاحقة في حالة وقوع العدوان أو التهديد مثل إيقافه وعقاب المعتدين.